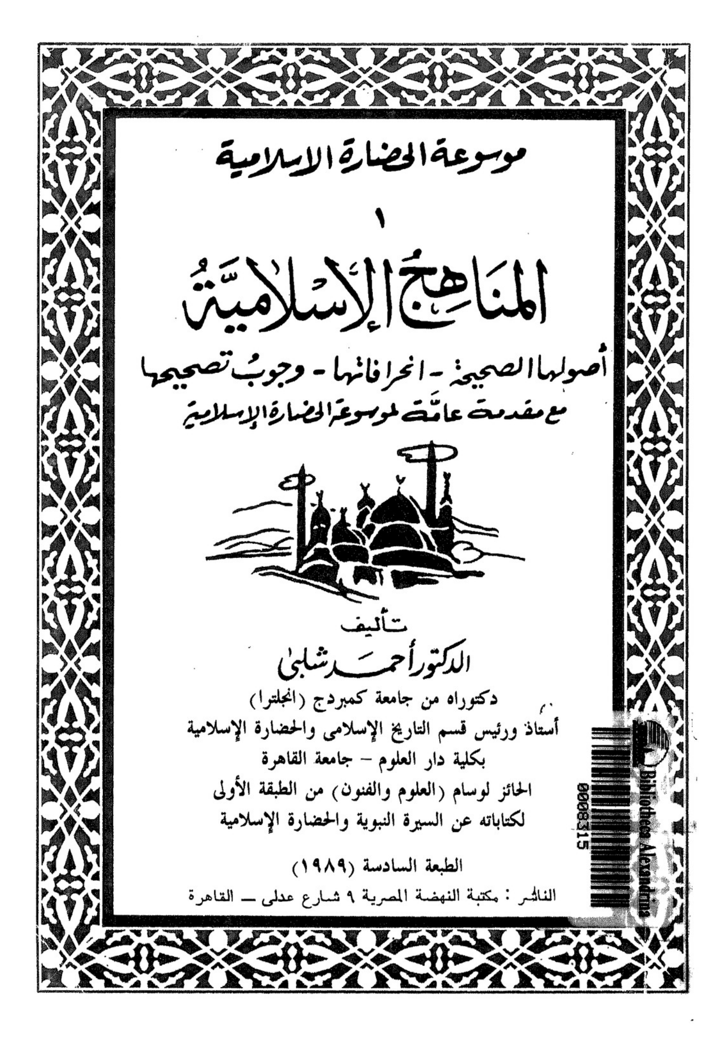


موسوعة الحضارة الإسلامية

١

المناهج الإسلامية

أصولها الصحيحة - انحرافاتها - وجوب تصحيحها

مع مقدمة عامة لموسوعة الحضارة الإسلامية

تأليف

الدكتور أحمد شلبي

دكتوراه من جامعة كمبردج (انجلترا)

أستاذ ورئيس قسم التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية

بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

الحائز لوسام (العلوم والفنون) من الطبقة الأولى

لكتاباته عن السيرة النبوية والحضارة الإسلامية

الطبعة السادسة (١٩٨٩)

الناشر: مكتبة النهضة المصرية ٩ شارع عدلى - القاهرة

موسوعة الحضارة الإسلامية

١

المناهج الإسلامية

أصولها الصحيحة - انحرافاتها - وجوب تصحيحها

مع مقدمة عامة لموسوعة الحضارة الإسلامية

تأليف

الدكتور أحمد شلبي

دكتوراه من جامعة كمبردج (انجلترا)
أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية
بكلية دار العلوم — جامعة القاهرة

والحائز لوسام « العلوم والفنون » من الطبقة الأولى
لكتاباته فى السيرة النبوية والحضارة الإسلامية

الطبعة السادسة (١٩٨٩)



ملتزمة الطبع والنشر
مكتبة النهضة المصرية
لأصحابها حسن محمد وأولاده
٩ شارع عدلي باشا بالقاهرة

الطبعة الأولى سنة ١٩٧٨

الطبعة الثانية سنة ١٩٨٢

الطبعة الثالثة سنة ١٩٨٤

الطبعة الرابعة سنة ١٩٨٦

الطبعة الخامسة سنة ١٩٨٧

الطبعة السادسة سنة ١٩٨٩

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحضـــارة الإســلامية ...

منحة الإســلام لهداية البشرية

دكتور أحمد شلبي

كتب للمؤلف

أولا : موسوعة التاريخ الاسلامى

دراسة تحليلية شاملة فى عشرة مجلدات لتاريخ العالم الاسلامى كله، من مطلع الاسلام حتى الآن ، مع دراسة الجوانب الحضارية التى حققتها الدول الاسلامية عبر التاريخ . (الطبعة الرابعة عشرة)

الجزء الأول : السيرة النبوية العطرة وعصر الخلفاء الراشدين .

الجزء الثانى : الدولة الأموية وانصاف تاريخها .

الجزء الثالث : الخلافة العباسية والدور الحضارى خلال عصرها الأول .

الجزء الرابع : الأندلس الاسلامية ، انتقال الحضارة الاسلامية الى أوربا . المغرب – الجزائر – تونس – ليبيا من مطلع الاسلام حتى الآن .

الجزء الخامس : تاريخ مصر وسوريا من مطلع الاسلام حتى الآن – الحروب الصليبية – تاريخ الامبراطورية العثمانية .

الجزء السادس : الاسلام والدول الاسلامية جنوب صحراء افريقية منذ دخلها الاسلام حتى الآن : موريتانيا – السنغال – جامبيا – غينيا – مالى – النيجر – نيجيريا – تشاد – السودان – الصومال – جيبوتى .

الجزء السابع : دول الجزيرة العربية والعراق من مطلع الاسلام حتى الآن. المملكة العربية السعودية – اليمن – جمهورية اليمن الجنوبية – عمان – دولة الامارات العربية – قطر – البحرين – الكويت – ثم العراق .

الجزء الثامن : الدول الاسلامية غير العربية بآسيا : ايران – افغانستان – الباكستان – بنجلاديش – ماليزيا – اندونيسيا – الأقليات الاسلامية فى الهند والصين وروسيا والفيلبين .

الجزء التاسع : ثورة ٢٣ يوليو من يوم الى يوم . عصر جمال عبد الناصر : عصر المظالم والهزائم .

الجزء العاشر : ثورة ٢٣ يوليو من يوم الى يوم : عصر أنور السادات .

كتب للمؤلف

ثانيا : موسـوعة الحضارة الاسـلامية

دراسة تحليلية شاملة فى عشرة مجلدات، تبرز الاتجاهات الحضارية التى جاء بها الاسلام لهداية البشرية فى شئون الفكر ، والسياسة ، والاقتصاد ، والعلاقات الدولية ، وفى مجال الحيـاة الاجتماعية والتربوية والتشريعية والقضائية والعسكرية ، كمـا تبرز جهود المسلمين فى الحضارة التجريبية كالطب والرياضـة والفلك ...
(الطبعة العاشرة)

الجزء الأول : موجز عـام للحضارة السـلامية ـ المناهج الاسلامية : أصولها الصحيحة ـ انحرافاتها ـ وجوب تصحيحها .

الجزء الثانى : الفكر الاسلامى : منابعة وآثاره .
مآثر المسلمين فى مجال الدراسات العلمية والفلسفية .

الجزء الثالث : السياسة فى الفكر الاسلامى ـ مع المقارنة بالنظم السياسية المعـاصرة .

الجزء الرابع : الاقتصاد فى الفكر الاسلامى ـ مع المقارنة بالنظم الاقتصادية المعـاصرة .

الجزء الخامس : التربية والتعليم فى الفكر الاسلامى .

الجزء السادس : المجتمع : تكوينه وعلاج مشكلاته فى الفكر الاسلامى .

الجزء السابع : الحيـاة الاجتماعية فى الفكـر الاسلامى : نطاق الأسرة ونطاق المجتمع كالأفراح والمآتم والموسيقى والغنـاء .

الجزء الثامن : التشريع والقضاء فى الفكر الاسلامى .

الجزء التاسع : العلاقات الدولية فى الفكر الاسلامى .

الجزء العاشر : رحلة حياة : تجربة تعرض مجموعة من قضايا الحضارة الاسـلامية .

ثالثـا : التفسير الميسر للقرآن الكريم .

تفسير موجز وواضح يهدف لأن تفهم القرآن الكريم اذا قرأته أو سمعته ، مع وقفات تفصيلية عند بعض القضايا القرآنية المهمة .

كتب المؤلف

رابعا : مقـــارنة الأديـــان

سلسلة من الكتب فى مقارنة الأديان ، تعتمد على أدق المراجع بمختلف اللغات ، وتمتاز دراستها بالحيدة والعمق ، وتشمل :

(الطبعة التاسعة)

الجزء الأول : اليهـودية :

— دراسة لشتى المسائل اليهودية : اليهود فى التاريخ من عهد ابراهيم حتى الآن : الصهيونية ، أنبياء بنى اسرائيل، عقيدة بنى اسرائيل، يهوه اله بنى اسرائيل ، التعدد والتوحيد فى الفكر اليهودى ، التابوت والهيكل ، الكهنة والقرابين ...

— مصادر الفكر اليهودى : العهد القديم ، التلمود ، بروتوكولات حكماء صهيون .

— اليهود فى الظلام : الماسونية ، والروتارى ، الاغتيال ، التجسس ، البابية والبهائية .

— من صور التشريع فى اليهودية .

(الطبعة التاسعة)

الجزء الثانى : المسيحية :

— المسيح والمسيحية فى نظر المسلمين واليهود والمفكرين الغربيين والكنيسة .

— بولس واضع المسيحية الحالية ، التثليث ، صلب المسيح للتكفير عن خطيئة البشر .

— شعائر المسيحية ، المصادر الحقيقية للمعتقدات المسيحية ، المجامع ، طبيعة المسيح والآراء فيها ، الطوائف المسيحية ، الرهبنة والاديرة ، خرافة ظهور العذراء فى كنيسة الزيتون ، حركة الاصلاح الدينى ونتائجها ونقدها .

(الطبعة التاسعة)

الجزء الثالث : الاسلام :

— الله فى التفكير الاسلامى ، النبوة فى التفكير الاسلامى ، غير المسلمين فى المجتمع الاسلامى ، الدين المعاملة ، المرأة فى الاسلام ، الرق وموقف الاسلام منه ، السياسة والاقتصاد فى الاسلام . آراء المفكرين الغربيين فى الاسلام ورسول الاسلام .

(الطبعة التاسعة)

الجزء الرابع : اديان الهند الكبرى :

« الهندوسية — الجينية — البوذية »

— تقديم عن : جغرافية الهند ، سكان الهند ، اللغات فى الهند ، الأديان فى الهند .

— دراسة الكتب المقدسة الهندية : الويدا : مهابهارتا : بوجاواسمسلها ، كيتا .

— أهم العقائد الهندية : الكارما والتناسخ ، الانطلاق والنرفانا ، وحدة الوجود .

— تاريخ الهندوسية والجينية والبوذية وتاريخ واضعيها .

كتب للمؤلف

خامسا : كتب فى الثقافة العامة وكتب بلغات أجنبية

٢٥ — **كيف تكتب بحثا او رسالة**

دراسة منهجية لكتابة البحوث واعداد رسائل الماجستير والدكتوراه

(الطبعة العشرون — مع ثلاثة ملاحق مهمة)

٢٦ — الحروب الصليبية : بدؤها مع مطلع الاسلام ، واستمرارها حتى الآن :

عرض للهجمات الصليبية الغربية عسكرية وفكرية على العالم الاسلامى عبر العصور .

كتابان باللغة الانجليزية هما :

٢٧ — **ISLAM : Belief - Legislation - Morals**

٢٨ — **History of Muslim Education**

وباللغة الفرنسية :

٢٩ — Islam : Croyance - Législation - Morale

(مكتبة النهضة المصرية)

وباللغة الاندونيسية والماليزية :

٣٠ — **Neeres dan Pemerintahan Dalam Islam**

٣١ — **Masjarakat Islam**

٣٢ — **Hukum Islam**

٣٣ — **Sedjarah dan Kebudajaan Islam I**

٣٤ — **Sedjarah dan Kebudajaan Islam II**

٣٥ — **Sedjarah dan Kebudajaan Islam III**

٣٦ — **Perbandingan Agama (Jahudi)**

٣٧ — **Perbandingan Agama (Masihi)**

٣٨ — **Perbandingan Agama (Islam)**

٣٩ — **Perbandingan Agama (Agama2 yang Terbeser di India : Hindu-Jaina-Buddha)**

٤٠ — **Sadjarah Pendidikan Islam**

٤١ — **Politik dam Ekonomi Dalan Islam**

٤٢ — **Kehidupan Social Dalam Pemikiran Islam**

٤٣ — **Perkembangan Keagamaan Dalam Islam dan Maschi**

٤٤ — **Perang Salib**

٤٥ — **Kurikulum Islam Dalam Perkembangan Sedjarah**

٤٦ — **Pengajian Al Quraan**

٤٧ — Sedjarah Kehakiman Dalam Islam

(**Pustaka National (Singapore)**)

كتب للمؤلف

سادسا : المكتبة الإسلامية لكل الأعمار

تخطيط يشمل ١٠٠ جزء ، يقرؤها كل فرد من أفراد الأسرة ظهر منها ٥٨ جزءا كالآتى :

المجموعة الأولى : السيرة النبوية العطرة (١٦ جزءا)

وتشمل سيرة الرسول ﷺ وجوانب منها تُدَوَّن لأول مرة .

المجموعة الثانية : العشرة المبشرون بالجنة (٧ أجزاء)

المجموعة الثالثة : دراسات قرآنية (٥ أجزاء)

نزول القرآن وتدوينه – القرآن والعلم – فضائل القرآن – اعجاز القرآن – الأخلاق الاسلامية من القرآن الكريم .

المجموعة الرابعة : من قصص القرآن الكريم (٧ أجزاء)

المجموعة الخامسة : الدولة الأموية : تاريخ يحتاج الى انصاف (٥ أجزاء)

لماذا انحرف تدوين التاريخ الأموى ؟ ماذا عن محاسن الأمويين؟ مدعو التشيع وسمومهم – قمم فى التاريخ الأموى :
معاوية – عبد الملك بن مروان – الوليد بن عبد الملك – عمر ابن عبد العزيز – التوسع الاسلامى والحضارى فى العهد الأموى – قصة استشهاد الامام الحسين والمسئول عنها .

المجموعة السادسة : صراع وشهداء وانتصارات (٦ أجزاء)

– من شهداء الاسلام .
– الحروب الصليبية: بدؤها مع مطلع الاسلام واستمرارها حتى الآن
– شهر رمضان وانتصارات المسلمين فيه .

المجموعة السابعة : الاسلام والمرأة (٥ أجزاء)

حالة المرأة فى الحضارات غير الاسلامية – ماذا قدم الاسلام للمرأة؟ نماذج من السيدات المسلمات: من بيت النبوة«السيدة زينب والسيدة سكينة » ونماذج فى السياسة والآداب والعلوم والفنون – زيجات شهيرة فى التاريخ : « زبيدة – بوران – قطر الندى » .

الميراث فى الشريعة الاسلامية : دراسة شاملة .

تاريخ الطب فى الاسلام .

حركات فارسية ضد الاسلام والمسلمين عبر العصور .(٣ أجزاء فى مجلد واحد)
دوْر « دار العلوم » فى تطوير دراسة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية
(الأجزاء التالية ستظهر قريبا ان شاء الله)

كتب للمؤلف

سابعا : تعليم اللغة العربية لغير العرب

وقواعد اللغة العربية

— برنامج شامل ميسّر لتعليم اللغة العربية بكل فروعها لغير العرب .
— أول سلسلة من نوعها فى المكتبة العربية تملأ هذا الفراغ .
— دراسات شاملة سهلة لقواعد اللغة العربية من نحو وصرف .
— تضم هذه السلسلة الكتابين التاليين :

٤٨ — **تعليم اللغة العربية لغير العرب :** (الطبعة الرابعة)
يبدأ هذا الكتاب من المرحلة الأولى : مرحلة الهجاء ، ويتطور للقراءة ، فالتعبير ، فالاملاء ، فالخط والنصوص ، ثم يقفز بالطالب الى مرحلة متقدمة فى القراءة والمحادثة والكتابة ، مستعملا فى هذه المرحلة موضوعات جذابة من الفكر الاسلامى والعربى اختيرت من أمهات الكتب العربية ثم صيغت فى أسلوب مناسب ، مع أسئلة وتمرينات مفيدة .

٤٩ — **قواعد اللغة العربية والتطبيق عليها :** (الطبعة الرابعة)
عرض لجميع أبواب النحو العربى بطريقة تربوية سهلة
ودراسة واضحة لأهم أبواب الصرف

هذا الكتاب ضرورى للمثقف العربى وغير العربى

كتب نفدت ولن يعـــاد طبعها

٥٠ — فى قصور الخلفاء العباسيين :
اكثر مادة هذا الكتاب تضمنها الكتاب رقم ٣ من هذه القائمة .

٥١ — مصر فى حربين (١٩٦٧ و ١٩٧٣) دراسة مقارنة :
واكثر مادة هذا الكتاب تضمنها الكتاب رقم ٩ من هذه القائمة .

٥٢ — الحكومة والدولة فى الاسلام :
واكثر مادة هذا الكتاب تضمنها الكتاب رقم ١٢ من هذه القائمة .

٥٣ — الاشتراكية : دراسة علمية نقدية يدعمها اليقين الروحى .

٥٤ — النظم الاقتصادية فى العالم عبر العصور واثر الفكر الاسلامى فيها .
واكثر مادة هذين الكتابين تضمنها الكتاب رقم ١٤ من هذه القائمة .

٥٥ — الجهاد والنظم العسكرية فى التفكير الاسلامى :
واكثر مادة هذا الكتاب تضمنها الكتاب رقم ١٩ من هذه القائمة .

محتويات الكتــاب

مقدمة عامة لموسوعة النظم والحضارة الاسلامية ١٧
ما الثقافة وما المدنية وما الحضارة ؟ ١٩

أنواع الحضارة الاسلامية اجمالا :

١ ـ حضارة الدول أو حضارة التاريخ ٢٣
٢ ـ الحضارة الاسلامية الأصلية ٢٣
٣ ـ الحضارة المقتبسة أو التجريبية ٢٤
أى الحضارتين أكثر نفعا ؟ ٢٥

الحضارة الاسلامية الأصيلة وتعريف سريع باتجاهاتها :

العقيدة والأخلاق فى الاسلام ٢٦
السياسة فى الاسلام ٣٠
الاقتصـــــاد ٣٣
التربيــة والتعليم ٣٤
المجتمع الاسلامى ٣٦
الحيــاة الاجتماعيــة ٣٦
القــانون والقضــاء ٣٧
العلاقـــات الدولية ٣٨
حرية التدين وحقوق المرأة والقضاء على الرق ٤٠

حضارة البعث أو الحضارة التجريبية :

الحضارات القديمة :

مصر ٤١
من أعاجيب الحضارة الفرعونية ٤٣
اليوت سميث والحضارة المصرية ٤٣
أسباب نشأة الحضارة بمصر ٤٤
الحضارة المصرية تظهر فى مناطق مختلفة ٤٤
الفينيقيون ٤٦
بابل وآشـــور ٤٧
اليمن ٤٧
فـــارس ٤٧
الهنـــد ٤٨
قبس من حضارة مصر والشرق ينتقل لليونان ٤٨
شهادة جورج سارتون ٤٩

الموضـــــــــوع	الصفحة

شهادة طه حسـين ٤٩
شهادة فيليب حتى ٥٠
شهادة ألبرت فور ٥٠
الانتاج الجماعى ساعد على إخفاء دور مصر ٥١
اليونان والحضارة ٥٣
أوربا والحضـارة ٥٤
نهاية الحضارات القديمة ودور روما والكنيسة والكهنة فى ذلك ٥٦
العصر العباسى الأول : عصر التدوين والترجمة ٦١
تدوين الحضارة الأصيلة ٦١
الحضارة التجريبية وبيت الحكمة ٦٢
مراحل العمل فى الكتب الأجنبية ٦٣

لمحـة عـن جهود المسـلمين فى الحضـارة التجريبية

علم الاجتماع وابن خلـدون ٦٤
الجغرافيا والمقدسى والاصطخرى ٦٤
علم الفلك والزرقالى ٦٥
علوم الرياضة والخوارزمى ٦٥
الموسيقى واخوان الصفا وابن مسجح ٦٦
الكيمياء وجابر بن حيان ٦٦
العلوم الطبيعية وابن الهيثم ٦٧
الطب والرازى وابن سينا ٦٧
جهود المسلمين فى المجال العمرانى ٦٨
الحضارة المصرية احدى الأسس المهمة للحضارة الاسلامية ٦٩
المسلمون فى ظل الحضارة الاسلامية ٧٠
أوربا تقتبس مرة أخرى من الشرق ٧٠
أشهر المترجمين الأوربيين ٧١
كيف انتقلت للغرب الحضارة التجريبية والحضارة الأصلية ؟ ٧٢
وسائل انتقال الحضارة التجريبية ٧٢
وسائل انتقال الحضارة الأصيلة ٧٣
اعترافـات الغربيين ٧٣

أشعة مهمة من الحضارة الاسلامية

أولا : الحضارة الاسلامية هبة الاسلام لهداية البشرية ٧٧
ثانيا : هدف الحضارة الاسلامية بقسميها اسعاد الانسان ٧٨
ثالثا : السياسة هى المسيطرة والموجهة والمسئولة عن كل الشئون .. ٧٩
رابعا : الشورى فى الاسلام هى الشورى الحقيقية ٨٠
خامسا : الديمقراطية لها معنى واحد ٨١
سادسا : دين متطور ، كيف ؟ ٨٢

الموضـــــــوع | الصفحة

سابعا : مجانية التعليم بريق كاذب ٨٣
ثامنا : اللامبـــــالاة !! ٨٥
لمـاذا انتكس المسلمون بعد نهضتهم ٨٦
أمل فى المستقبل ٨٨

برنامج شـــامل
لتقديم الحضارة الاسلامية

أولا ـ الحضارة الاسلامية كاملة للكليات الاســلامية وكليات الآداب
وكليات الاعلام ٩٠
ثانيا ـ موجز لجوانب الحضارة الاسلامية لكل الكليات الأخرى .. ٩٠
النهج الاسلامى فى السياسة لكليات العلوم السياسية ٩٠
النهج الاسلامى فى الاقتصاد لكليات التجارة والاقتصاد ٩٠
النهج الاسلامى فى التربية لكليات التربية ومعاهدها ٩١
النهج الاسلامى عن الحياة الاجتماعية فى معاهد الخـدمة
الاجتماعية ٩١
النهج الاسلامى عن العلاقات الدولية فى الكليات العسكرية
وكليات الحقوق والقانون ٩١
النهج الاسلامى عن النظم القضائية بكليات الحقوق والشرطة ٩١
ثالثا ـ تقديم الحضارة الاسلامية التجريبية للكليات العملية مع موجز
عن الحضارة الاسلامية كلها ٩١
النظم والحضـــارة ٩٣
الحضارة الاسلامية والفن ٩٥

تاريخ المناهج الاســلامية

مقدمـــــــة ١٠٤
تحريف المناهج وخطورته ١٠٦
كيف كان الاسلام يُعَلَّم فى صدر الاسلام ؟ ١٠٨
منافذ ثلاثة حرفت المناهج الاسلامية ١٠٨

دراسات تمهيدية عن المناهج التعليمية فى الاسلام :

أولا ـ موقف الاسلام من العلم ١١١
ثانيا ـ السلوك والعلوم ١١٢
ثالثا ـ العلوم النظرية والعملية بالمعاهد الاسلامية ١١٤
رابعا ـ كلمات وعبارات اصطلاحية ١١٥

الموضـــــــوع | الصفحة

المناهج الإسلامية فى صدر الإسلام

مقارنة الأديان علم اسلامى مهم ١١٧
الغرب والدعوة لإحياء علم مقارنة الأديان ١٢٣

الحضارة الاسلامية : ———
١ - حضارة الخلق أو الحضارة الاسلامية الأصيلة ١٢٥
٢ - بيت الحكمة ودوره فى الحضارة التجريبية ١٢٨
علوم أخرى مع مقارنة الأديان والحضارة الاسلامية ١٢٩
التعليم بالاقتداء ١٢٩

عصــــور الظــلام
وماذا فعلت بالمناهج الاسلامية

مقدمـــــــــــة ١٣٤

١ - علوم اختفت من المناهج الاسلامية :
اختفاء علم مقارنة الأديان وأسباب ذلك ١٣٥
اختفاء علم الحضارة الاسلامية وأسباب ذلك ١٣٦

٢ - علوم انحرفت عن المسار الصحيح :
الفقـــــــه ١٤١
التفســــير ١٤٤
الحــديث ١٤٨
مصطلح الحديث ١٥٥
اللغة العربية ١٥٥
التاريخ الاسلامى ١٦١

٣ - علوم برزت على انها اسلامية وهى ليست كذلك :
علم الكـــلام ١٦٥
المنطق ١٦٨
الفلســفة ١٧٠

شيخ الأزهر ورأيه فى المنطق والفلسفة ١٧٠
مناهج عصور الظلام تنحدر للعصر الحاضر ١٧٤
عبد الناصر والأزهر والاسلام ١٧٣

الموضـــــوع — الصفحة

اصلاح المناهج الاسلامية

العناية بالعلوم الاسلامية :

أولا : اعادة العلوم المهمة التى اختفت ١٧٧
ثانيا : تصحيح العلوم التى انحرفت ١٧٨
الدعوة للاصلاح قديمة :
منهج ابن حزم فى الاصلاح ١٨٠
منهج الجاحظ فى الاصلاح ١٨١
تعليق على رأى الجاحظ وابن حزم ١٨٢
منهج مجمع اللغة العربية بمصر ١٨٣
ثالثا : اعادة النظر فى العلوم التى ادعت أنها اسلامية ١٨٤
العناية بالسلوك ١٨٥

توزيع المناهج على مراحل التعليم

الدراسات الاسلامية بمدارس التعليم العام ١٨٦
الدراسات الاسلامية بمعاهد التعليم الدينى ١٨٨
الدراسات الاسلامية بالكليات الاسلامية ١٨٩
الدراسات الاسلامية فى الكليات العامة ١٩٢
الجماهير والثقافات الاسلامية ١٩٣

خاتمـة وأمـــل ١٩٣
الأزهر بين الماضى والحاضر والمستقبل ١٩٦
معاهد الدعوة الاسلامية ومنهج أمثل لها ٢٠٠
لمـاذا نحتاج لمعاهد الدعاة ؟ ٢٠٠
شروط القبول بمعاهد الدعاة ٢٠١
الدراسة بالمعهـــد ٢٠٢
خطة الدراسة ومنهج التعليم ٢٠٢
الانتساب لمعاهد الدعاة ٢١٤

الموضـــــــوع　　　　　　　　　　　　　　　　　　الصفحة

خلاصــــــة واضــــافة

مؤتمر القمة الاسلامى بالكويت (يناير ١٩٨٧)

طلاب المعاهد الاسلامية لـم ينهلـوا الفكـر السـليم ، وبالتالى لـم يقدموه للمجتمع ٢٠٥
بحوث اسلامية فى أحضان مؤتمر القمة الاسلامى ٢٠٦
مقارنة بين المؤتمرات الاسلامية والمؤتمرات الطبية ٢٠٧
التطور فى الكليات العملية والجمود فى الكليات الاسلامية ٢٠٧
اهمال الوسائل التى تنشر الاسلام بالغرب ٢٠٨

نقاط تكميلية ينبغى أن نلاحظها :

أولا - الطرق الصحيحة لتدريس اللغة العربية لغير العرب ٢٠٩
ثانيا - الاهتمام باللغات العالمية فى المعاهد الاسلامية ٢٠٩
ثالثا - كتب عن الاسلام باللغات العالمية ٢٠٩
رابعا - الأخلاق الاسلامية ٢٠٩
تصحيح المناهج عمل يستطيعه الأساتذة الذين انتقدنا عملهم ٢١٠
مراجـــع البحث ٢١٢

مقدمة عامة

لموسوعة الحضارة الاسلامية

الثقـافة والمدنيّـة والحضـارة

قبل أن نبدأ فى دراستنا عن الحضارة يجدر بنا أن نقف مـع ثلاث كلمات بينهما صلات وارتباط ، وهذه الكلمـات هى « الثقافة والمدنيـة والحضارة » .

وهناك مدلولات متقاربة لهذه الكلمات ، وهى بوجه عام تعنى الجهد الذى يقدّم لخدمة الإنسان ، فالانسان أعظم ما خلق الله ، قال تعالى : « ولقد كرمنا بنى آدم » [١] ، وقال « إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان » [٢] ولذلك تهيأت للانسان ظروف لم تتهيأ لسواه ليصير أهلاً لهذه المكانة ، وفى قمة هذه الظروف عوامل الثقافة والمدنية والحضارة .

والثقافة فى اللغة هى التهذيب والصقل ، يقال ثقّف الرمح أى قوّمه وسوّاه ، ومعناها الاصطلاحى الرقى فى الأفكار النظرية ، وذلك يشمل الرقى فى القانون والسياسة والإحاطة بقضايا التاريخ المهمة ، والرقى كذلك فى الأخلاق والسلوك ، وأمثال ذلك من الاتجاهات النظرية .

وعلى هذا فالإنسان المثقف هو الذى يستطيع أن يفْصح عن انسانيته إفصاحا يتحول به من شخص منساق بالغرائز والتقاليد إلى شخص تحرّر من عبودية الغرائز والتقاليد وأصبح يتبع فكرا سليما ناضجا ، فالثقافة ترمى الى الكشف عن آفاق الانسانية المتسامية .

والمدنيـة هى الرقى فى العلوم العملية التجريبية كالطب والهندسة والكيمياء والزراعة والصناعة والاختراع الآلى ، وسمى الرقى فى هـذه العلوم « مدنيّة » لارتباط الرقى فيها بالمدينة والاستقرار ، إذ لابدّ للطب

(١) سورة الاسراء ، الاية ٧٠ .
(٢) سورة الأحزاب ، الآية ٧٢ .

من مستشفيات ، ولابد للهندسة من (ورشة) ، ولابد للزراعة من حقول تجارب وهكذا ٠

وعلى هذا فالمدنية تستهدف السيطرة على الطبيعة واخضاع ظروف البيئة للانسان ، ومن هنا كانت الثقافة تحريراً للانسان وتقويما له ، وكانت المدنية تعنى سيطرته على الأشياء وخلق وسائل منها لإسعاده ٠

ولا يستغنى الرقى فى العلوم التجريبية عن الحصول على قدر كاف من العلوم النظرية الداخلة فى نطاق الثقافة ، ولذلك نعيب الطبيب أو المهندس الذى لا يعرف قضايا التاريخ المهمة أو اتجاهات السلوك الضرورية ، ونصفه بأنه غير مثقف ، ويعد ذلك وصفا قاسيا يحاول كل إنسان أن يتحاشاه ٠

أما الحضارة فتشمل الرقى فى المجالين جميعا ، فهى على العموم الانجازات التى تحققت للبشرية أو حققتها البشرية ، فاذا تكلمنا عن حضارة المسلمين أو اليونان أو أوربا ، كان المقصود الانجازات التى حققها هؤلاء أو أولئك فى زمن معين ، وابراز الدرجة التى انتهى اليها هؤلاء فى درجات التقدم والتطور ، وشرح أحوال المجتمع الثقافية والفنية والعلمية والصناعية ، مع بيان طرق معيشته ، وذوقه ، وروحه العامة ، وطرق تفكيره ومستوياته المختلفة التى تطبعه بطابع مميز ٠

ولعل أحسن تعريف للحضارة هو ما ذكره ابن خلدون [١] وهو أنها نمط من الحياة المستقرة ينشىء القرى والأمصار ، ويضفى على حياة أصحابه فنونا منتظمة من العيش والعمل والاجتماع والعلم والصناعة ، وادارة شئون الحياة والحكم ، وترتيب وسائل الراحة وأسباب الرفاهية ٠

---

(١) مقدمة ابن خلدون ، ص ٢٥٩ — ٢٦١ ٠

ومن هنا اتجه القول الى أن الحضارة ارتباط بالحضر ، وهى لا تكتفى بالثقافة والمدنية ، وانما تتطلع الى نظم أوسع تشمل عدة مدن ويعيش أصحابها متعاونين مستمتعين بهذه العلوم والفنون .

بيد أن فى تعريف ابن خلدون لمحة ينبغى الوقوف عندها ، فابن خلدون يرى أن الحضارة نمط من الحياة المستقرة ينشىء القرى والأمصار ... أى أن إنشاء القرى والأمصار نتيجة" للحضارة وليس أصلا لها ، ومعنى هذا أن جماعة ترقى فكريا ثم ماديا ، أى تبدأ عندها مظاهر الحضارة ثم تستقر لتنمىَّ حضارتها ، لأن نمو الحضارة يحتاج الى استقرار لتقويم العلوم التجريبية ، ولتشييد المعامل لتنهض الزراعة والصناعة ووسائل العمـــران .

واذا كانت الحضارة تشـــمل الثقافة والمدنية ، أى تشمل الأخلاق والسلوك والمعارف النظرية ، كما تشمل العلوم التجريبية كالطب .. ، فان أية دولة مهما ضربت فى مجالات التقدم المختلفة يمكن أن تسمى أنها غير متحضرة لو أنها عبثت بالقيم الانسانية والسلوك ، أو كانت مســتعمرة غاشمة ، أو ظالمة جائرة ، فكل ذلك يتنافى مع مدلول الحضارة .

وفى ضوء هذا البيان يكون من الخير أن يتجه الباحثون لدراســة « الحضارة الاسلامية » وألا يكتفوا بدراسة الثقافة الاسلامية أو المدنية الاسلامية ، لأنه فى ظل الاسلام وباسم مبادئه قامت حضارة عالية شملت الاتجاهات النظرية والاتجاهات التجريبية .

وعلى هــذا فالحضارة الإسلامية هى ما قدمه الإســلام للمجتمع البشرى من فكر ٍ يرفع شأنه وييَسِّر حياته ، ونقول « للمجتمع البشرى » ونعنى ذلك فإن الإسلام قدَّم مآثره للناس جميعا ، وبعض هذه المآثر يتضح أحيانا مع غير المسلمين أكثر مما يتضح مع المسلمين ، كالنظـام السياسى الذى ابتكره الإسلام ثم تمسك به الغرب عندما عرفه ، فى حين

اختفى أو أوشك أن يختفى من العالم الإسلامى ، ومثل النظام السياسى كثير من النظم الأخرى •

والذى ينظر الى العالم الاسلامى يجد أن صراعا يدور به ، وهذا الصراع الفكرى يهتم به أعداء الاسلام كل الاهتمام ، وهدفهم منه تقليل ثقة المسلمين بأنفسهم ، وانتزاعهم من ماضيهم ، وقطعهم عن جذورهم العريقة ، وللأسف وقع بعض المسلمين فى الفخ ، فصدّقوا ما قاله أعداء الاسلام وراحـوا يرددون أقوالهم ويقللون من أهمية المسلمين ، حتى أوشك الصراع الفكرى أن يحقق أهدافه •

ونريد هنا أن نحق الحق ، ونبرز دور المسلمين فى الحضارة العالمية ، ونبين ماذا قـدّم الاسلام وماذا قـدم المسلمون من أيـاد للجنس البشرى ، ولا نقصد بذلك أن نعيش فى الماضى ، ولكننا نقصد أن نضع أرضا صلبة يقف عليها المسلم ليبنى حاضره ومستقبله ، نريد أن ندرس الماضى لخدمة الحاضر والمستقبل ، فاذا كان أجدادنا خلاّقين ومبتكرين فما أجدرنا أن نجدد العزم لنسير على مناهجهم ، وأن نتمسك بالفكر الاسلامى ليقودنا الى خير الدنيا والآخرة •

أنواع الحضارة الإسلامية

قلنا فيما سبق ان المدلول العام للحضارة أنها ما يخدم الإنسان وييسر حياته ، وفى ضوء ذلك نقرر أن أنواع الحضارة الاسلامية ثلاثة ، هى :

١ — حضارة الدول أو حضارة التاريخ :

حضارة الدول أو حضارة التاريخ ، وهى الحضارة التى أقامتها دولة من الدول الاسلامية لرفع شأن الانسان وخدمته ، والحديث عن هذه الحضارة يلزم أن يقوم به معلم التاريخ وأن يعنى به عناية تامة ، فاذا شرح المدرس تاريخ الدولة الأموية أو العباسية أو الفاطمية أو السعودية .. كان عليه أن يقف عقب الانتهاء من دراسة الأحداث وقفة كافية يشرح فيها ما قدمته هذه الدولة فى مجال الحضارة ، أى ما قدمته لخدمة المواطن بوجه خاص ، أو الانسان المسلم بوجه عام ، أو الجنس البشرى بوجه أعم ، ويشمل ذلك جهود الدولة فى الميدان الاقتصادى (الزراعة والتجارة والصناعة) وفى ميدان التربية والتعليم ، وفى ميدان الصحة ، وفى ميدان الأمن بالداخل والأمن من العدوان الخارجى ، وغير ذلك من الميادين .

وهذا النوع من الحضارة مرتبط — كما قلنا — بالتاريخ وجزء مهم من أجزائه ، ولذلك أشرنا هنا له هذه الاشارة العابرة وسنتخطاه الى النوعين الآخرين ، اللذين يكونان الحضارة الإسلامية التى نهتم هنا بدراستها .

٢ — الحضارة الإسلامية الأصيلة :

الحضارة الإسلامية الأصيلة هى التى جاء بها الاسلام لخدمة المجتمع البشرى ، ولم تكن معروفة قبل الاسلام ، وتسمى أيضا **حضارة الخلق أو حضارة الابداع والابتكار** ، فهذه الحضارة كان الإسلام مصدرها الوحيد ، وهى بالتالى هدية الاسلام للانسانية ، وسنرى فيما بعد أن

المسلمين وغير المسلمين نعموا بها ، فقد اقتبسها غير المسلمين من المسلمين ، فأصبحت خيرا للجنس البشرى كله ، وتشمل هذه الحضارة ما جاء به الاسلام من تعليمات فى مجال العقيدة ، والسياسة ، والاقتصاد ، والتربية ، والمرأة ، والعلاقات الدولية ، والرق ، والتشريع ، والقضاء ، والأخلاق ، فإن البشرية قد عجزت عن الوصول الى نظم سياسية سليمة ، ولم تستطع الانسانية أن تقرر العدالة الاجتماعية أو تتفق على نظام سليم للميراث ، وكانت الأخلاق مثار خلاف كبير بين الناس ، فالعدل مثلا عُدّ فضيلة عند بعض الناس ، واعتبره آخرون دليل ضعف ، فجاءت حضارة الاسلام تبرز لنا الحق فى هذه الأمور التى اختلفت فيها الأفهام وضعفت العقول عن حلها ، ومن هنا فرأْىُ الاسلام فى السياسة والاقتصاد والأخلاق ... رأى أصيل أنقذ المجتمع البشرى من انحرافه ومتاهاته ، بل فرض نفسه على المجتمع البشرى ؛ فاقتبسته كل النظم حتى أصبحت كلمة « ديمقراطية » على كل لسان ، وأصبحت كلمة « اشتراكية » عند الغربيين منارة لهم ، وليست الديمقراطية الا صدى للشورى التى قررها القرآن الكريم لأول مرة ، وليست الاشتراكية الا فهما للعدالة الاجتماعية التى ألزم الاسلام الناس باتباعها ، وقل مثل هذا فى غير السياسة والاقتصاد كما سنرى فيما بعد .

٣ ــ الحضارة الإسلامية المقتبسة أو التجريبية :

الحضارة الإسلامية المقتبسة ، هى الحضارة التجريبية ، وتوصف بأنها حضارة البعث والإحياء ، وهذا النوع من الحضارة عرفته البشرية قبل الإسلام بمئات السنين أو آلاف السنين ، وهو يشمل التقدم فى الطب والرياضة والفلك ... وقد ضعفت هذه الحضارة قبل الاسلام ثم اختفت ، وسنرى فيما بعد سبب ضعفها واختفائها .

وقد تلقى المسلمون تراث البشرية فى هذا المجال وهو كائن هامد ، فبعثوا الحياة فيه ، ترجموا كتبه الى اللغة العربية ، وأكملوا ما أكله الزمن

من أوراق وسطور ، وشرحوا هذه الكتب وعلقوا عليها ، وتدارسوها بعمق .

ثم لم يكتف المسلمون بذلك القدر فى هذه الدراسات بل ابتكروا الكثير فى مختلف العلوم ، وقدموا هذه الابتكارات الى المجتمع البشرى ، ومما قدمه المسلمون فى هذا المجال الطريقة التجريبية ، ويقول Priffult [1] عنها : ان الطريقة التجريبية فى البحث العلمى هى مأثرة المسلمين العلمية ولم تكن معروفة قبلهم [1] .

ذلك مجمل القول فى هذين النوعين من الحضارة ، وسننتقل من الإجمال إلى شىء من التفصيل [2] بعد أن نقول كلمة عن :

أى الحضارتين أكثر نفعا ؟

وقبل أن نتحدث بشىء من التفصيل عن الحضارتين نتساءل : هل من الأوفق أن نبدأ بالحديث عن الحضارة المقتبسة لأنها أقدم من الحضارة الأصيلة ؟ أو نبدأ بالحضارة الاسلامية الأصيلة فهى التى يفخر الاسلام والمسلمون بتقديمها للبشرية ؟

إننى أميل للبدء بالحديث عن الحضارة الإسلامية الأصيلة ، فهى تمثل اليد العظمى التى قدمها الإسلام للإنسانية ، وهى التى تضع المجتمع البشرى على الطريق السليم فى أسس الحياة ، وليس الطب والفلك والعمران وغيرها مما يدخل فى نطاق الحضارة المقتبسة إلا مظاهر تكميلية تشيل كفتها إذا وضعت فى الميزان أمام ما قدمه الاسلام فى السياسة والاقتصاد والتربية والتعليم والقضاء على الرق وحرية الأديان وغيرها من الأمور التى تعتبر أمورا أساسية فى حياة البشرية ، ومن هنا نتجه للبدء بالحديث عن الحضارة الإسلامية الأصيلة .

---

(١) Making of Hnmanity.

(٢) التفصيل الكامل لهذه الموضوعات اثبتناه فى الأجزاء المختلفة من هذه الموسوعة « موسوعة الحضارة الاسلامية » .

الحضارة الإسلامية الأصيلة

الحديث عن هذا النوع من الحضارة يشمل عدة نواح مهمة ، هى رأى الاسلام فى العقيدة ، والسياسة ، والاقتصاد ، والحياة الاجتماعية ، والعلاقات الدولية ، وغيرها ، وسنلم فيما يلى المامة سريعة بكل منها تاركين التفاصيل للأجزاء المختلفة من « موسوعة الحضارة الإسلامية » التى تخصص كل جزء منها فى موضوع محدد :

العقيدة والأخلاق فى الاسلام :

كان الاسلام واضحا وحاسما فى مسألة العقيدة ، فان البشرية لم تستطع قبل الاسلام أن تقبل الوحدانية وأن تثبت عليها ، فألهت الشعوب الأنبياء والصالحين بل ألهت الأحجار والأصنام والكواكب ، وجاءت رسالات الله بالتوحيد ولكن هذه الرسالات رفضت أحيانا كرسالة نوح وصالح أو حرفت كاليهودية اذ قال اليهود باله واحد لليهود وأما غير اليهود فلهم آلهتهم ، وكالمسيحية اذ اتجه المسيحيون الى التثليث ، ومن أجل هذا جاء اتجاه الاسلام قويا وقاطعا حتى يتوقف هذا الضلال ، فقال بالوحدانية المطلقة التى لا تشوبها شائبة ، وسفه القول بالتعدد بأية صورة من الصور قال تعالى : « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا »[١] وقال : « أفمن يخلق كمن لا يخلق »[٢] وقال : « أتعبدون ما تنحتون »[٣] .

ومن الملاحظ أن هذه الآيات الثلاث تتجه اتجاها عقليا ، فمع أنها دليل نقلى قرآنى على توحيد الله ، فهى فى الوقت نفسه تمثل مواجهة عقلية تقدم لكل إنسان ولو كان غير مؤمن بالقرآن الكريم ، فالعاقل

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية ٢٢ .
(٢) سورة النحل ، الاية ١٧ .
(٣) سورة الصافات ، الاية ٩٥ .

يدرك أن تعدد الآلهة يُنتج الفساد فى الكون لاحتمال أن يأمر هذا بأمر ، ويأمر الثانى بأمر آخر ، ثم إن العاقل لا يسوّى بين الإله الخالق وشىء لا يخلُق ، ولا يقبل العقل أن يعمل الانسان تمثالاً من حجر أو خشب ثم يجلس ليعبده .

واتخذ الرسول محمد صلوات الله وسلامه عليه الأهبة حتى لا يؤلهه قومه أو لا يقربوا به الى جانب الألوهية ، فكان إذا قَدِمَ على أصحابه ووقفوا له صاح بهم : « لا تقوموا كما تقوم الأعاجم فإنما أنــا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة » .

وجاء فى القرآن الكريم آيات توضح عدم عصمة محمد صلى الله عليه وسلم فى غير التبليغ ، وهذا الموضوع يحتاج إلى دقة فى العرض ، فعصمة الأنبياء مسلَّم بها فى تبليغ الرسالات ، فالرسل صلوات الله وسلامه عليهم يبلّغون عن الله بكل دقة وكمال ، ولكنهم إذا فكروا فى قضية لا نص فيها فالغالب أن يكونوا بعيدين عن الخطأ لأنهم صــفوة مختارة من البشر ، قال تعالى « الله يصطفى من الملائكة رسلا ومــن الناس » (١) ولكنْ هناك احتمال بحدوث هفوات ، وقد أثبت القرآن الكريم نماذج لهفوات الأنبياء فى غير التبليغ ، ومن ذلك قوله تعالى :

— وعصى آدم ربه فغوى ، ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى (٢) .

— وما أبرىء نفسى إن النفس لأمارة بالسوء (٣) .

وهناك فيما يتعلق بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم آيات مثل :

---

(١) سورة الحج الآية ٧٣ .
(٢) سورة طه الآية ١٢١ .
(٣) سورة يوسف الآية ٥٣ .

قوله تعالى :

ـ عبس وتولَّى أَنْ جاءه الأعمى ، ومـا يدريك لعله يزَّكَّى أو يذَّكر فتنفعه الذكرى [١] .

ـ لم تحرم ما أحل الله لك [٢] .

ـ ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض ، تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم [٣] .

ويلاحظ فيما نسب لمحمد صلوات الله وسلامه عليه من هفوات أنه لم يخالف أمرا ، ولا مالت نفسه إلى انحراف ، وكل ما فى المسألة أنه فكَّر واجتهد فى قضية ليس فيها توجيه من الله سبحانه وتعالى ، فاختار ما هداه تفكيره إليه ، ويقول الفقهاء إن من اجتهد وأصاب له أجران ، ومن اجتهد وأخطأ له أجر واحد .

ويقول علماء مقارنة الأديان إن هذه الهفوات البسيطة التى تعتبر خلاف الأولى ساعدت على تثبيت بشريَّة محمد صلى الله عليه وسلم ، وبالتالى لا يمكن أن يكون محمد إلها ، فالإله منزه عن كل الهفوات جل وعلا ، واذا ثبت أن محمد صلوات الله عليه لا يمكن أن يكون إلها ، فإن غيره لا يكون إلها من باب أولى [٤] .

وعلى هذا فإن السابقين ألَّهوا بوذا وكونفوشيوس وأله المسيحيون عيسى عليه السلام ، ....ولكن المسلمين لم يحدث أبدا أن ألَّهوا محمدا ، وبذلك ثبتت الوحدانية المطلقة لله العلى العظيم .

---

(١) سورة عبس الآيات الأولى .
(٢) سورة التحريم الآية الأولى .
(٣) سورة الأنفال الآية ٦٧ .
(٤) انظر دراسة عن هذا الموضوع بكتاب الاسلام من سلسلة مقارنة الأديان للمؤلف بعنوان : عصمة الأنبياء .

ويرتبط بالإيمان بالله ووحدانيته وصفاته عقائد أخرى مهمة جاءت فى القرآن الكريم الذى نزل من عند الله ، وهذه العقائد هى الإيمـان بالملائكة ، والكتب المقدسة الصحيحة التى نزلت على أنبياء الله ، والإيمان باليوم الآخر وما يتبعه من حساب وصراط وميزان • • • • • • •

لا أخلاق بدون دين :

ويرتبط بالإيمان بالله أيضا اتباع الأخلاق الإسلامية التى ألـزم الإسلامُ المسلمَ أن يتخلّق بها ، ولا يتمُّ كمال الدين إلا باتباع هـذه الأخلاق التى وردت بالقرآن الكريم كالأمانة والوفاء بالوعد والعهـد ، وكالمساواة ، والعدل ، وعدم الغيبة والنميمة والرشوة [١] •

ويقرّر العلماء أنه لا توجد أخلاق سليمة بدون دين ، فالبشر عجزوا عن الاتفاق على الأخلاق الفاضلة والأخلاق الرديئة ، وأباحت المدنيّات الغربية الاستعمار والاستيلاء على ثروات الدول الضعيفة ، كما تفشّى النظام الطبقى ، ولم تقبل هذه المدنيات المساواة بين الرجل الأبيض والملونين •

وفى كتاب الإسلام الذى أشرنا له من قبل دراسة تفصيلية عـن جانب العقيدة فى الفكر الإسلامى •

السياسة فى الفكر الإسلامى :

وننثنى للحديث عن موقف الإسلام مـن السياسة ، فنقـرر أن الإسلام قد نقل المجتمع البشرى من حال إلى حال فى هذا المجال ، فقبل الإسلام كانت السيادة للقوة ، وكان من يحصل على الرياسة بسطوته يصبح الأمر كله فى يده ، فهو يملك ، ويشرّع ، ويقضى ، وينفّذ قضاءه ، وإذا استطاع شخص آخر أن يسلب منه السلطة فعل ، وهكذا لم يكن للشعب دور فى مجال الرياسة والحكم •

---

(١) انظر دراسة عن « الأخلاق الاسلامية مـن القرآن الكريم » فى سلسلة « المكتبة الاسلامية لكل الأعمار » ج ٣٤ و ٣٥ للمؤلف .

وجاء الإسلام فعُنى عناية كبرى بالسياسة والحكم ، ومما قرّره الإسلام فى مجال السياسة ما يلى :

أولا : ضرورة وجود رئيس للجماعة الإسلامية ، قال عليه الصلاه والسلام « إذا خرج ثلاثة فى سفر فليؤمّروا عليهم أحدهم » ويقول العلماء إنه من باب أولى أن يوجد أمير للجماعة إذا زاد أفرادها عن الثلاثة ، أو كانت الجماعة مستقرّة غير مسافرة .

ثانيا : أن يُعَيَّن هذا الرئيس بطريق الاختيار الحر بواسطة أهل الحل والعقد الذين يمثّلون الشعب الإسلامى ، ويشترط أن يوافق الشعب على هذا الاختيار ، وأن نوجد فى الرئيس شروط الرياسة (وقد فصلنا هذا القول فى كتاب السياسة فى الفكر الإسلامى) .

ثالثا : عندما يُختار هذا الرئيس لا يوضع الأمر فى يده وضعا مطلقا ، بل يجب أن يستشير عند اللزوم أى فيما لا نص فيه قال تعالى « وأمْرهم شورى بينهم » [1] وقال « وشاورهم فى الأمر » [2] .

رابعا : للرئيس حق الطاعة طالما اتبع الفكر الإسلامى ، قال تعالى « وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » [3] وقال أبو بكر أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فإن عصيته فلا طاعة لى عليكم .

خامسا : وضع الإسلام للخليفة أو الرئيس شروطا دقيقة فى قمتها العدالة ، قال تعالى « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى » [4] .

(١) سورة الشورى ٣٨
(٢) آل عمران ١٥٩
(٣) النساء ٥٩ .
(٤) المائدة الآية الثامنة .

وقال صلى الله عليه وسلم : ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرّم الله عليه الجنة • وقال : اللهم من ولى من أمر أمتى شيئا فشق عليهم فاشقق عليه ، ومن ولى من أمر أمتى شيئا فرفق بهم فارفق بـــه •

وعندما نستعرض هذه الاتجاهات يتساءل الإنسان : أين هذا مما فعله الملك جون ملك انجلترا من الاستبداد بعد مجىء الإسلام بستة قرون كما سنرى فيما بعد •

وأرسى الإسلام مبادىء مهمة فى مجال السياسة أهمها :

أولا : أن الرئيس وأعوانه (الوزراء والولاة) ليس لهم أن يدخلوا الصفقات العامة بائعين أو مشترين •

ثانيا : أن الرئيس وأعوانه لا يجوز لهم أن يقبلوا الهدايا ، وبيّن أن ظاهرها الهدية ولكن باطنها الرشوة ، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم فى ذلك : هدايا العمال غلول ، أى فساد وضلال •

ونقل الإسلام النظام السياسى من حال إلى حال ، فقد كان الحكم قبل الإسلام يقضى بأن **المالك هو الحاكم** ، وينطبق ذلك على الاقطاع فى أوربا وعلى القبائل فى جزيرة العرب وغيرها ، فلما جاء الإسلام قطع الصلة بين السياسة والمال ، وظهرت طبقة من الحكام الذين هم أقرب إلى الفقر منهم إلى الغنى كأبى بكر وعمر وعلى ، وسنرى تفاصيل ذلك فى كتاب « السياسة فى الفكر الإسلامى » وهو الجزء الثالث من هذه الموسوعة وقد أشرنا له من قبل •

وقد اهتم العلمـــاء المسلمون بالحديث عن السياسة وكتبوا فيهـــا كتابات رائعة ، ومن هؤلاء الإمام الماوردى فى كتـــابه « الأحكــــام السلطانية » وابن خلدون فى كتابه « مقدمة ابن خلدون » والشوكانى فى نيل الأوطار ، وسيحوى كتابنا السابق أهم ما ورد بهذه الكتب وغيرها من أفكار وتوجيهات فى هذا المجال •

الاقتصـــــاد :

إذا جئنا إلى الاقتصاد وجدنا أن الإسلام جاءت فيه نظم اعتبرت آنذاك ثورة على الفكر البشرى الذى كان سائدا ، فقبل الإسلام كان الفقير هو الذى يدفع الضريبة للغنى من جهده أو أجره ، فاذا تردد دفع دمه فداء تردده ، فلما جاء الإسلام جعل الضريبة واجبة على الغنى لصالح الفقير .

ونظم الإسلام حق الفقير فى مال الغنى .

والزم الفقير بالعمل ، فان عجز أو هرم التزمت الدولة أو الأغنياء بحاجته .

واعترف الإسلام بالملكية الفردية ، ففى تقرير الملكية الفردية مجال للتنافس الذى يسبب الخير للجميع .

واعترف كذلك بالتفاوت فى هذه الملكية قال تعالى « والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق » [1] وقال : يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر » [2] وقال : « نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات » [3] .

ويقرر علماء الإسلام أن التفاوت فى المال طبيعى جدا لأن الناس متفاوتون فيما هو أفضل من المال كالصحة والذكاء ، ومتفاوتون فى مدى نجاح الزواج والجوار ، وفى الجمال والصوت فكيف نمنع التفاوت فى المال ؟

وقرر الإسلام أن الحكومة لا تتدخل فى الملكية الخاصة ما دامت قد جاءت من طريق مشروع وأدت حق الله ، وحينئذ لا يكون التدخل إلا لضرورة طارئة وبتعويض كاف .

ونظم الإسلام تكافؤ الفرص لتنتقل هذه الملكية من يد إلى يد ، كما

---

(١) سورة النحل ، الآية ٧١ .
(٢) سورة الرعد ، الآية ٢٥ .
(٣) سورة الزخرف ، الآية ٣٢ .

وضع نظام الميراث لتفتيته من حين إلى حين حتى لا يتجمع الغِنَى فى أيدٍ قليلة فيضر ذلك بالمجموع ، وقد اهتم المسلمون اهتماما كبيرا بالدراسات الاقتصادية ، فعنيت كتب الفقه الكثيرة بالحديث عن الزكاة وعن حق الفقير فى مال الغنى ، واتجهت الكتب الحديثة لشروح ضافية للمشكلات التى برزت حديثا فى مجال الاقتصاد ، وذلك كالبنوك وشهادات الاستثمار والتأمين وقد كتب الامام ابن تيمية عن بعض جوانب الاقتصاد فى كتابه الفتاوى وكتب فضيلة الشيخ شلتوت عن هذه الموضوعات فى كتابه الفتاوى أيضا وسنرى تفاصيل مهمة فى كتاب « الاقتصاد فى الفكر الإسلامى ، وهو الجزء الرابع من هذه الموسوعة ، حيث نورد دراسات واسعة عن البنوك والشركات والبورصة والسمسرة والتأمين ، والمضاربة والسَّلَم والقرض ، وشهادات الاستثمار ، وغير هذه من الموضوعات الاقتصادية المهمة ،

التربيـــة والتعـــليم :

وفى مجال التربية أعلن الإسلام لأول مرة فى تاريخ البشرية أن العلم حق للجميع ، وكان العلم قبل ذلك خاصا بالكهنة ولا حق لسواهم فى طلبه ، فارتفع هذا التخصيص بالآية الكريمة « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم » [1] فأصبح المسلمون جميعا ما بين معلم ومتعلم ، وقال صلى الله عليه وسلم : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » ولم يكن المقصود بالعلم العلوم الإسلامية فقط ، فقد نُسِب للرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اطلبوا العلم ولو فى الصين » ولم يكن بالصين علوم إسلامية ، والمقصود مهما بعدت الديار ، ومهما كان نوع العلم ، مادام مفيدا للبشرية ، وللرسول صلوات الله وسلامه عليه توجيهات فى مجال الطب [2] وكتب الفيلسوف

---

(١) سورة التوبة الآية ١٢٣ .

(٢) موسوعة التاريخ الاسلامى جـ١ ص ٤٠٥ — ٤٠٩ .

ابن رشد [١] فى الفقه والطب جميعا ، وهذا يدل على اتساع مجال العلوم فى رأى الإسلام .

واهتم الإسلام اهتماما كبيرا بالتربية الإسلامية ، وكان مفهوم التربية عند المسلمين يشمل فلسفة التربية كما يشمل النظم التعليمية والحضارة الإسلامية واسعة الثراء فى مجال التربية ، وهى تهتم بالانسان فى هذا المجال من المهد إلى اللحد ، فهناك أخلاق وعلوم تقدم لكل جيل من الأجيال ، وقد اتسع المسلمون بمعاهد العلم فشملت القصور وحوانيت الوراقين ، ومنازل العلماء ، والصالونات الأدبية بالاضافة إلى المعـاهد والجامعات ، كما كانت البادية والمسجد معهدين مهمين ، ففى البـادية ازدهرت علوم اللغة العربية ، وفى المسجد ازدهرت شتى الدراسات ، واهتمت التربية الإسلامية بالكتاب اهتماما عاليا ، فأعلت قدره ، ورفعت مكانته ، كما كانت المكتبات معاهد للعلم فى كثير من البلدان .

وعنيت التربية الإسلامية ، بأن يتلقى الطلاب العلم من المعلمين ، لا من الصحف والكتب ، كما اهتمت بضرورة تقديم فن التربية للمدرس بحيث لا يكون عالما فقط ، بل بحيث يستطيع فى يسر توصيل أفكاره إلى مريديه .

وتحدثت التربية الإسلامية أحـاديث فياضة عن التعاون بين البيت والمدرسة فى تربية التلميذ ، وعن الاجازات العلمية ، والعقوبات والجوائز والمكافآت ، وملابس المدرسين ، ونقابة المعلمين ، وتكافؤ الفرص فى التعليم عند المسلمين ، وتوجيه التلاميذ حسب مواهبهم ، كما تحدث الفكر الإسلامى عن الأوقاف على التعليم ، وعن مراحل التعليم ، ونظام الداخلية بالمدارس ، والرحلات لطلب العلم ، وتعليم المرأة ، واهتم الفلاسفة المسلمون بالحديث عن رياضة الأطفال ، والوسائل التى تتخذ لغرس الخلق الطيب فى قلب الطفل الذى يمثل جوهرة نفيسة ساذجة ينقش عليها الآباء والمعلمون أفكارهم

---

(١) انظر « تاريخ الطب فى الاسلام » وهو الجزء رقم ٥٣ من المكتبة الاسلامية لكل الأعمار للمؤلف .

وثقافاتهم ، كما اهتموا اهتماما واسعا بالسلوك وبلغ من اهتمامهم بـه أن فضلوه على العلوم . ومن أهم من اهتم بذلك الامام الغزالى فى كتابه أيها الولد ، وابن سينا فى القانون ، وكتاب لا يُعْرَف مؤلفه عنوانه « منهاج المتعلم » .

وسنرى تفاصيل ذلك فى كتاب « التربية والتعليم فى الفكر الإسلامى » وهو الجزء الخامس من هذه الموسوعة .

المجتمـع الإسـلامى :

قبل الإسلام كان هناك تفكك أو اجتماع على شر ، وجاء الإسلام فنظّم المجتمع الإسلامى تنظيما دقيقا ، فوضع وسائل تكوين الفرد المسلم بنقل الإنسان من الوثنية إلى التوحيد ، ومن القوة إلى القانون ، ومن الثأر إلى القصاص ، ومن نظام الطبقات إلى المساواة ، كما نظم تكوين المجتمع الإسلامى ووضّح أسسه توضيحا دقيقا ، فاقترح الفكرُ الإسلامى المسجدَ ليكون ملتقى للمسلمين ، وأبرز جوانب الحياة التى يكون المسجد مركزا لها ، كالقضاء والتربية والعبادة وغيرها ، كما وضح الفكر الإسلامى ضرورة التنظيم السياسى والاقتصادى والاجتماعى فى تكوين مجتمع سليم ، وقرّر ضرورة التآخى بين المسلمين ، وحقوق غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى ، والتزاماتهم ، وتحدث الفكر الإسـلامى باهتمام بالغ عـن القدوة الحسنة ، ومكانتها فى تكوين هذا المجتمع .

وفى دراسة المجتمع الإسلامى أوضحتْ الدراساتُ عوامل الضعف التى ألَمَّتْ بهذا المجتمع ، داخلية كانت أو خارجية ، أو متصلة بانحراف فى فهم الدين ، ورَسَمَ الفكر الإسلامى العلاج لكل ذلك .

والذى يدرس واقع المجتمع الإسلامى ، يرىَ هُوّةً واسعة بين هـذا الواقع وبين مبـادىء الإسـلام وفلسفته وأخلاقـه ، ويعمل الدارس والباحث المسلم لتضييق هذه الهوة وازالتها ، ليصبح المجتمع الإسلامى فى واقِعِهِ صورةً صحيحة للمجتمع الإسـلامى السليم .

وسنرى تفاصيل ذلك فى كتاب « المجتمع : تكوينه وعلاج مشكلاته فى الفكر الإسلامى » وهو الجزء السادس من هذه الموسوعة .

الحيـاة الاجتماعية :

تحدثنا آنفا عن المجتمع الإسلامى ، ونتحدث هنا عن الحياة الاجتماعية ، والفرق بين الاثنين أن الحديث عن المجتمع الإسلامى حديث عن الكل من حيث أسس تكوين هذا المجتمع ، ومن حيث مشكلاته وعلاجها ، أما الحياة الاجتماعية فحديث عن وحدات هذا المجتمع ، وقد شملت الحضارة الإسلامية مباحث اجتماعية مهمة ترتبط بالأسرة ، ومن هذه المباحث التى ترتبط بالأسرة دراسات مفيدة عن الزواج ودوافعه وأهدافه ، وعن الخطبة والمهر والعقد ، وعن الأولاد والتسوية بينهم فى العطاء والمعاملة ، وعن التبنى ، وعن زوجة الأب ، والحماة ، والختان ، وتحديد النسل ، والتلقيح الصناعى ، والتكافل بين أفراد الأسرة ، وأطفال الأنابيب وعمل المرأة ، والوصية .

ومن المباحث الاجتماعية المرتبطة بالمجتمع ، تقدم الحضارة الإسلامية رأى الإسلام فى رعاية المال العام وحمايته ، ورأيه فى الأعياد والأفراح والمآتم والأولياء والموالد وصناديق النذور ، وفى الخمر والمخدرات والدخان ، ومكبرات الصوت ، والتسول ، والقضاء والقدر .

وسنرى تفاصيل ذلك فى كتاب « الحياة الاجتماعية فى الفكر الإسلامى » وهو الجزء السابع من هذه الموسوعة .

التشريع والقضاء :

وفى مجال القانون قدم الإسلام **تشريعا صالحا لكل زمان ومكان** ، **تشريعا عام المصدر** ، أى لم تقم بعمله جماعة خصصت لذلك بالجنس أو الدم وترك لها أن تشرع للناس ، والتشريع الإسلامى كذلك **عام التطبيق** ، أى أنه ينفذ على الملك وعلى السوقة دون تفرقة ، وهذا الموقف كان الأول من نوعه فى تاريخ البشرية .

وهناك قوانين تصلح لكل زمان ومكان ، فهى متطورة بذاتها ، وهذه قدَّم الشارعُ الأعظمُ تفاصيل دقيقةً عنها كالميراث ، والمحرمات فى الأزواج ، والربا .

وهناك قوانين تتغير بتغير الزمان والمكان ، وهذه أعطى الله سبحانه حكما عاما لها وترك التفاصيل ليضعها المجتهدون حسب ظروف الزمان والمكان كحد السرقة وحد الزنا ، إذ وضع الشارع حداً للسارق والزانى ولكنه وضع لإقامة الحد شروطا . وينظر علماء المسلمين فى توافر هذه الشروط ، فلا حدَّ للسارق مثلا فى حالة المجاعة ، ولا حد للزانى إذا لم يشهد عليه أربعة شهود ......

وفى الحديث عن مصادر التشريع قدَّم الباحث المسلم دراسات مستفيضة عن القرآن الكريم من نزوله وجمعه وتدوينه وقراءاته وإعجازه .....وكذلك عن السنة الشريفة .

وقدمت الحضارة الإسلامية نظما قضائية تكفل العدالةَ المطلقة لكل الناس ، وتقرر مبادىء لم يكن الجنس البشرى يعرفها قبل الإسلام ، كالمساواة بين المتخاصمين فى مجلس الحكم ، وكالشروط الحاسمة التى يجب أن يتحلى بها القاضى ، وكالعلنية فى القضاء ، تلك العلنية التى تجعل من الرأى العام حارسا للعدالة وقوَّاما على الإنصاف .

وفى الحديث عن القضاة قدمت الدراسة بحوثا عن شروط القاضى ، وتهيئة منصب القضاء ، وآداب القاضى ، وملابس القضاة ، وحديثا عن قاضى القضاة ....

وسنرى تفاصيل ذلك فى كتاب « التشريع والقضاء فى الفكر الإسلامى » وهو الجزء الثامن من هذه الموسوعة .

العلاقات الدولية :

من مفاخر الإسلام أنه قدم للمجتمع البشرى أسس حياة تكفل السلامة لهذا المجتمع وان اختلفت عقائد الدول وأديانها ، فقدَّم الإسلام

نظما للتعاون بين الأمم فى مجال السياسة والاقتصاد والحياة الاجتماعية والثقافية ، بل قدّم الإسلام النظم للتخفيف من ويلات الحرب إن قامت الحرب بين أتباع دين وأتباع دين آخر ، وكان ما قدمه الإسلام فى مجال العلاقات الدولية أول تعليمات من نوعها تعرفها البشرية •

ففى مجال السياسة ابتكر الفكر الإسلامى نظام **المعاهدات والسفراء** وتأمين **المبعوثين** ، وكتب **الدعوة** • • • • ••••

وفى مجال **الاقتصاد** سمح المسلمون بالتعامل بالعملة الفارسية والرومية ، كما سمحوا للتجار غير المسلمين أن يدخلوا بتجارتهم للعالم الإسلامى وعليهم أن يدفعوا العشور كما كان المسلمون يدفعون لو ذهبوا بتجارتهم للأرض غير الإسلامية • واقترض الرسول من يهودى ورهن عنده درعه • • • • •

وفى مجال **الحياة الاجتماعية** أذن للمسلمين أن يأكلوا طعام أهل الكتاب وأن يقدموا لهم من طعامهم ، كما أذن للمسلمين أن يتزوجوا منهم ، وأن يتعاملوا معهم ببرّ وصدق وعدالة • • •

وفى المجال الثقافى أذن للمسلمين **بتبادل الثقافات** مع غير المسلمين وكان ما قدّمه المسلمون لغير المسلمين فى مجال الثقافة واسعا جدا ومفيدا جدا ، كما اتجه المسلمون منذ عهد الإسلام المبكر لتعلّم لغات غير المسلمين •

فاذا جئنا للحرب فاننا نذكر أن العالم قبل الإسلام كان يعانى حروبا مستمرة ، ومعارك متصلة ، وكانت القوة هى دستور الحياة ، فكان من حق القوى أن يأكل الضعيف ، فجاء الإسلام ووضع للسلم والحرب نظما دقيقة أنقذت البشرية من أهوال الصراع والدمار ، ومن الأسس التى وضعها الإسلام أن جعل السلام أساس الحياة ، قال

تعالى : « يا أيهـا الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين » (١) .

وأوصى بالتعاون والمودة حتى مع المخالفين فى العقيدة ما دام هؤلاء لم يعتدوا على المسلمين ، قال تعالى « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين » (٢) .

وقال : « فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم فمـا جعل الله لكم عليهم سبيلا » (٣) .

وحدد الإسلام الحرب بالدفاع ، قال تعالى : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » (٤) ووضّح أنه بعد قيام المعركة يمكن التوقف عن الاستمرار فيها لو عاد العدو للسلام ، قال تعالى : « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » (٥) .

وبالإضافة للدفاع أجاز الإسلام للمسلمين أن يحاربوا من صدّهم عن تقديم الإسلام للناس .

وقد جاء الإسلام فى نظام الحرب بقواعد لم تعرفها البشرية من قبل ، بل لم تستطع أن تأخذ بها حتى الآن ، إذ حرم قتل الشيوخ والنساء والأطفال الذين لم يشتركوا فى المعركة ، كما حرم قتل الحيوان أو تخريب البيوت أو قطع الأشجار ..

وسنرى تفاصيل ذلك فى كتـاب « العلاقات الدولية فى الفكـر الإسلامى » وهو الجزء التاسع من هذه الموسوعة .

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٠٨ .
(٢) سورة الممتحنة ، الآية الثامنة .
(٣) سورة النساء ، الآية ٩٠ .
(٤) سورة البقرة ، الآية ١٩٠ .
(٥) سورة الأنفال ، الآية ٦١ .

حرية التدين وحقوق المرأة والقضاء على الرق :

وقرر الإسلام حريه التدين ، ولم يكن ذلك معروفا قبل الإســـلام قال تعالى : « لا اكراه فى الدين » [١] وقال تعالى يطلب من الرسول أن يقول لغير المسلمين « لكم دينكم ولى دين » [٢] .

وقرر الإسلام حقوق المرأة وأعطاها نصيبا من الميراث ، ولم يكن للمرأة فى العالم حقوق تذكر قبل ذلك ، وكان ما جاء به الإسلام أساس ما حصلت عليه المرأة من حقوق بعد ذلك .

ووضع الإسلام الأسس للقضاء على الرق الذى كان شائعا قبل الإسلام فى العالم كله ، وجاء فى ذلك قول الرسول : شر الناس من باع النـــاس .

وهذه الأشياء وسواها من جوانب الحضـــارة الإسلامية وقضاياها ستجىء مفصلة فى كتاب « رحلة حياة » وهو الجزء العاشر من هــذه الموسوعة ، وكذلك فى كتاب « الإسلام » وهو الجزء الثالث من سلسلة « مقارنة الأديان » .

تلك كلمة موجزة عن الحضارة الإسلامية الأصيلة ، حضارة الخلق والابداع والابتكار التى جاء بها الإسلام للجنس البشرى لينعم بها ، وكان قبل ذلك محروما منها . ونتجه الآن لدراسة عن الحضارة التجريبية أو المقتبسة وهى حضارة البعث والاحياء .

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٥٦ .
(٢) سورة الكافرون ، الآية السادسة .

حضـــارة البعث أو الحضـــارة التجريبيـــة

إذا جئنا إلى الحضارة التجريبية كان علينا أن نقرر أن المسلمين انتفعوا بما كان لدى الأمم السابقة من تقدم فى هذه العلوم ، ولحسن الحظ كان التقدم فى هذه العلوم محصورا فى الشرق الذى انتشر فيه الإسلام عندما جاء الإسلام ، ولهذا يتفق القول بأن الشرق منبع الحضارات ، ففى العالم العربى وفى بلاد فـارس والهند نشأت أرقى حضارات عرفتهـا البشرية قبل الإسلام ، وكانت هذه المناطق تموج بالمعرفة حين كان الاقطاع بفظائعه يغمر أوروبا ، وحين كانت أمريكا لا تزال فى ضمير الغيب ، ومن أجل هذا ينبغى — قبل أن نتحدث عن دور المسلمين فى الحضارة التجريبية — أن نخصص بعض الفراغ لحديث عن تاريخ الحضارات بالشرق قبـل الإسلام ، تلك الحضارات التى كانت أساسا لحضارة المسلمين التجريبية .

مصـــــــر :

على ضفاف النيل نشأت مدنية الفكر البشرى كما يقول المفكرون فى كل البقاع ، وترعرعت هذه المدنية حتى وصلت الى مدى عظيم ، وقد شملت الحضارة المصرية الناحية السياسية والاجتماعية والفنية والعلمية والفلكية والدينية واهتم العلماء من مختلف الأجناس بالحديث عن هذه الحضارة ، وكُتِب عنهـا العديد من الكتب وخاصـة بعد أن استطاع شامبليون فك رموز الكتابة القديمة ، وبعد أن كشف الأثريون آثارها وفى طليعتهم ماربيت الذى عثر على بردية بولاق التى تحوى فلسفات راقية وأفكارا رائعة ، وهنالك كذلك البردية المصرية الموجودة بالمتحف البريطانى تحت رقم ١٠١٧٤٥ وقد كتبت فى عهد الأسرة الثانية والعشرين وبها كذلك دراسات إلهية وأخلاقية رائعة .

والأهرام المصرية تدل على عبقرية هندسية ممتازة فهى بلا شك أهم معجزات العمارات القديمة ، ثم هى تدل على أفكار المصريين تجاه الحياة الأخرى ، وبها أسرار عجيبة ترتبط بتخطيطها وطريقة بنائها واختصاصاتها ،

ولا تزال البحـــوث الحديثة تكشف من يوم الى آخـــر عن بعض هـــذه الأسرار ٠

والمعابد المصرية نقش عليها ألوان من الفنون والعلوم وأحـــداث التاريخ ، والتحنيط المصرى معجزة لم تستطع المدنية أن تعرف كنهه حتى الآن ، ويذكر Samuel Nisenson أن الآثار المصرية أكبر شاهد بأن مصر هى وطن الحضارة الإنسانية الأولى ٠

ولمحة سريعة عن واحد من الآثار الباقية من آثار ملوك مصر وهو كنوز توت عنخ آمون ، ترينا كيف كانت مصر فى قمة الفكر والفن حتى فى عصر ذلك الملك الذى كان صبيا ومات قبل أن يبلغ العشرين ، وقد بهرت هذه الآثار العالم ولا تزال تَبْهَرُه ، وقد أجمعت الآراء على أن تابوت توت عنخ آمون أثر فنى لا يقدر بثمن ، وأنه تحفة نادرة المثال ، ونقتبس سطورا من Samnel Nisenson [1] عن هذا الأثر العجيب ، استمع اليـــه يقول : ما أروع القناع الذهبى الذى وجد داخل التابوت فوق رأس الملك وكتفيه ، انه صورة بديعة حقا ، وقد وُجِد فى التابوت أيضا عُقاب ناشر جناحيه ، متوج بقرص الشمس ، وقد قَبَضَ على رمز الأبدية بمخلبية ، وهو من الذهب المرصع بعجينة الزجاج ، ومن آثار هذا الكنز صولجان الملك ، وهو مصنوع من الذهب والزجاج الأزرق ، وكذلك عـــدة قلائد ذهبية مرصعة بالأحجار النفيسة ، ولعل أغرب ما وجد فى مقبرة توت عنخ امون هو الحديد الذى لم يكن قد عرف حتى ذلك التاريخ ، فقد وجدت وسادة كمسند للرأس من الحديد ، وقد صقلها الصانع المصرى بدقة تبدو معها كأنما استخدم فى صقلها أحدث الآلات ، لقد خلد هذا الكنز النادر اسم هذا الملك الشاب ، الذى لم يفعل فى حياته شيئا يستحق الذكر ، فما بالك بما حققته عصور الفراعنة العظام لو وصل لنا ما حققوه ، وعلى كل حال فانه باكتشاف هذا الكنز عرف العالم ما كانت تزدهر به مصر من رقى ، وما بلغته من الروعة فى الثراء والصناعات والفنون ٠

(١) History of 100 Great Events p. 36

اعجوبة أخرى من أعاجيب الحضارة الفرعونية :

صَمَّم معبد أبى سنبل تصميما عجيبا يسمح بأن تدخل أشعة الشمس قدس الأقداس وتلقى أشعتها على وجه رمسيس مرتين كل عام ، المرة الأولى يوم ميلاده (٢١ فبراير) والثانية يوم تتويجه (٢٠ أكتوبر) ويكون ذلك لمدة ١٢ دقيقة فى كل من الحالتين .

وأقيم السد العالى وأصبح من الضرورى نقل المعبد كله الى مكان آخر حتى لا تغمره المياه ، فبذل الخبراء أقصى الجهد لينقلوا المعبد بزواياه المحددة حتى تظل أشعة الشمس تلتقى بوجه فرعون العظيم فى يومى مولده وتتويجه ، ولكن كل الجهود الجبارة وكل الأجهزة الحديثة فشلت فى تحقيق ذلك ، وكان الفرق يوما واحدا بعد جهد كبير فأصبحت أشعة الشمس تصل إلى وجه رمسيس يوم ٢٢ فبراير و ٢١ أكتوبر .

ويعتبر كل من هذين اليومين يوم عيد فى « أبو سنبل » ويسمى « عيد الشعاع » وتأتى جموع غفيرة من كل جهات العالم لمشاهدة هذا الحدث البالغ الروعة .

وتقول الأستاذة سناء فتح الله التى شهدت الاحتفال عام ١٩٨٦ « إن فى ثنايا هذا العمل قمة فى العلوم والتكنولوجيا لم يفصح عنها الكهنة والمهندسون المصريون القدامى ، تلك العلوم التى وجهت المهندس لبناء المعبد على زاوية خاصة بحيث تمتد من خلال بوابته أشعة الشمس لعمق ١٨٦ مترا حتى تصل إلى قدس الأقداس ، وتلتقى بوجه فرعون مرتين فقط فى العام ، وهاتان المرتان تمثلان اعيادا عند فرعون العظيم .

إليوت سميث والحضارة المصرية :

وهناك طبيب شهير هو إليوت سميث الذى جذبه علم التاريخ فأصبح فيه عملاقا ، وقد أثبت أن مصر هى أصل الحضارة فى العالم لأن جغرافية مصر قد تفاعلت مع الانسان المصرى تفاعلا لم يحدث له نظير فى العالم ، فكانت النتيجة ظهور الحضارة القديمة فى مصر .

وهذا الطبيب كان أستاذا للتشريح فى مطلع القرن العشرين بقصر العينى بالقاهرة ، وتعلم على يديه نخبة ممتازة ممن اشتهروا بعده بالطب فى مصر ، ولكن تاريخ مصر جذبه ، وأصبح هوايته ، فاحترف هذه الهواية حتى آخر أيامه .

ومن خلال دراساته الطويلة والعميقة للتاريخ البشرى استطاع **أن يعلن أن الحضارة المصرية هى أصل الحضارات ، وأنه لا يوجد تعدد حضارى ، بل إن الحضارة المصرية هى التى انتقلت من مكان إلى مكان فظن بعض الدارسين أن هناك حضارات متعددة مماثلة لها .**

أسباب نشأة الحضارة بمصر :

وقد بدأت الحضارة بمصر مع انسياب **النيل** ، ومع طيب الهواء وخصب التربة ، وهذه العوامل الثلاثة قلما تجتمع فى مكان ، وبسبب هذه العوامل استقر بعض الناس حول النيل وعرفوا الزراعة وبنوا البيوت ، ثم وجد مهندسون يستطيعون التحكم فى الماء بعمل نوع من السدود ووجد من لاحظ أن أنواعا من الزراعة تجود فى وقت دون آخر ، وكل هذا نظم الحياة حول النيل .

واحتاجت التجمعات الزراعية الى حماية الزراعة من المعتدين فوجدت القوى التى يوكل لها حراسة الزراعة والبيوت نظير أجر ، ومن هذه القوى نشأت الحكومة ، وأخذ رئيس الحكومة مكانة رفيعة ، فإذا مات كان قبره معبدا ، وبدأ بذلك ظهور الأهرامات فى أشكالها المختلفة ، كما بدأ التحنيط الذى يحفظ أجسام العظماء من البلى .

الحضارة المصرية تبرز فى مناطق مختلفة :

ويقول الباحث المصرى فتحى رزق إنه من خلال دراسات إليوت سميث استطاع أن يصل إلى طرق انتقال الحضارة المصرية الأولى إلى

أقطار العالم المختلفة حيث كان التحنيط يحتاج إلى بعض المواد النباتية والمعدنية من الأقطار البعيدة وهـذه المواد هى التى توقف الفسـاد فى الجثة كمـا تكسبها عطرا حسنا •• وتنقل قدماء المصريين لجلب هـذه المواد من بلاد بعيدة ونقلوا معهم حضاراتهم إلى أقطار بعيدة •

وكانت هـذه البعثات عندما ينقطع بها الطريق لأى سبب لا تعود بل تبقى فى قطر آخر بين شعب غريب بدائى فتنقل البعثة إلى هـذا الشعب الفنون المصرية وتعيش هنـاك للابد •• ومن هنـا نعرف لماذا وجد تمثال لآمون فى روسيا •• ولماذا عُبِدَ رب الشمس فى مكسيكا •• كما عبد فى مصر •• ولمـاذا حنطت الجثـة فى أمريكا على الطريقـة المصرية ، ولماذا وجدت الاهرام فى ايطاليا والسودان ووُجدت فى اللغة الفنلندية كلمات فرعونية ، ولمـاذا بنيت المعابد وذكرت الأساطير عـلى الطريقة المصرية ولمـاذا يوصف امبراطور اليابان بوصف الفراعنة (ابن الشمس) (أى ابن رع) •

ونقلت الحضارة المصرية من مكان إلى آخر عن طريق الذين تأثروا بها فى الهند والصين واليابان والشرق البعيد •• ولم يكن التحنيط هو الهدف الوحيد لهجرة قدماء المصريين بل كان من أسباب هجراتهم للبحث عن المجهول ،واكتشاف أماكن أخرى ، والتجارة ، بل وطلاء بعض الآثار بالذهب والأحجار الكريمة •• وهكذا تفشت الحضارة المصرية إلى انحاء العالم وأخرجت الانسان من التوحش وجمع الطعـام من الغابات إلى التمدين وانتاج الطعام بالزراعة •• ، والزراعة أوجدت المدن والحكومة والفلك والحسابات والهندسة والبناء والقانون •• ! •

الأخلاق المصرية :

وربما كان ذلك هو الذى دفع المؤرخ الأمريكى (برستد) فى كتابه « فجر الضمير » لأن يشيد بالأخلاق العالية لقدماء المصريين قبل خمسة **آلاف سنة عندما حرموا تماما وبأى شكل الكذب وشهادة الزور وعندما حرصوا على الدعوة لاحترام الجيران ، وتحريم السرقة ، وتقديس الأم ،**

واحترام الزوجة ، وتربية الأبناء والعمل الدائم من أجل الأسرة والوطن ... !!

وكان ذلك للمحافظة على مجتمعهم الذى كان أول مجتمع متحضر فى العـالم .

الفينيقيـون :

عاش الفينيقيون على سواحل سـوريا ، وبرعوا براعة فائقـة فى النشاط التجارى عبر البحار ، وقد استطاعوا أن ينشئوا لهم عدة مدن أو مراكز تجارية فى أمكنة مختلفة على ساحل الشمال لافريقى ، والفينيقيون أول أمة دارت حول افريقية قبل البرتغالين بعدة قرون.

وقد فاق الفينيقيون أمم العالم القديم فى صناعة الزجاج والنسيج والفخار ، وفى اتقان الصناعة ، كما أتقنوا صناعة المعادن منذ عصر البرونز (٢١٠٠ — ١٢٠٠ ق.م) فاستخدموا النحاس والبرونز بوفرة ، وأجادوا فن صهر الحديد ، واستخدموا الفضة على نطاق واسع ، وصنعوا السلاح على اختلاف أنواعه ومهروا فى العمارة والنحت وأعمال الزخرفة ، كمـا شيدوا كثيرا من الحصون والهياكل والقصـور .

ولعل أهم تراث للفينيقيين فى حضارة العالم ، هو ابتكارهم الحروف الأبجدية منذ القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، وقد اقتبس الاغريق من الفينيقيين تلك الحروف الأبجدية بين سنتى ٨٥٠ — ٥٧٠ ق.م ، ويعتبر بعض العلماء أن انتقال الأبجدية الفينيقية إلى الاغريق يعد من الأحداث البارزة التى أثرت فى مجرى حضارة العالم ، وقد اعترف الاغريق بهذا الفضل ، وهم الذين نقحوا هذه الأبجدية وسلموها للرومان لتصبح أساس الأبجدية الأوربية الحديثة ، وكذلك نقل الآراميون أبجديتهم من الفينيقيين ثم أعطوها للعرب والهنود وغيرهم من الشعوب [١] .

(١) المرجع السابق ، ص ٦٤ .

بابـــل وآشـــور :

وفى منطقة الفراتين ظهرت الحضارة العراقية الرائعة ، ومن أعظم الشخصيات التاريخية التى تذكر فى هذا المجال الملك حمورابى الـــذى عاش حوالى سنة ١٩٤٠ ق٠م والذى أنشأ قانون حمورابى مما يدل على أن التقنين عُرِف منذ أمـــد بعيد فى منـــاطق الشرق ، بعد مـــا حققت مجتمعاتها درجة عظيمة من الرقى والتقدم ٠

وشهرة حمورابى لا تقف عند قانونه ، فلقد أسهم بنصيب كبير فى التقدم العمرانى ، وأقام شبكة رى واسعة تَمُدُّ بالمـــاء أكثرَ أرض العراق ، وشيد السدود والخزانات لحراسة الأرض من الفيضانات ، مما يدل على تطور أمته تطورا عظيما ٠

اليمـــن :

وفى اليمن قامت خلال الألف السابقة للميلاد ، مملكة حمير ، وقد لعبت اليمن خلال هذه الفترة دورا رائعا فى سياسة العالم واقتصادياته فبنت أعظم السدود واحتكرت تجارة العالم ، فكان لها أسطول ضـــخم ينقل البضائع بين موانى اليمن وبين موانى الهند والصين والصومال ، وكانت تسيطر على الطرق التجارية عبر الجزيرة العربية حتى سوريا ومصر والخليج العربى ، وقد تحدثنا عن حضارة اليمن بمزيد من التفصيل فى مكان آخر [١] ٠

فـــارس .

وفى بلاد فارس ظهر المصلح الاجتماعى زرادشت (٦٦٠ — ٥٨٣ ق٠م) واتجه فى تفكيره إلى اصلاح اتجاهات مواطنيه الدينية ، ويعدُّه كثير من

---

(١) موسوعة التاريخ الاسلامى للمؤلف جـ ١ ص ٩٨ وما بعدها بالطبعة الرابعة عشرة ٠

الباحثين داعيا إلى التوحيد ، وقد اعترف بالبعث وبالحياة الأخرى والحساب حيث ينتهى المرء إلى نعيم مقيم أو عذاب دائم ، ثم أن بلاد فارس اقتبست كثيرا من الحضارة المصرية فى أثناء استيلاء الفرس على مصر ، ويقول الباحثون ان تمييز تعلم الحكمة المصرية من الكاهن « أوزاموس » وان الفرس نقلوا لبلادهم كثيرا من الكنوز العلمية والفنية من مصر فغمروا بها بلادهم [١] • وأن دارا الأكبر اصطحب معه جماعة من أطباء مصر بعد عودته إلى إيران لتعليم الطب فى بلاده [٢] •

الهند :

وفى الهند وجدت الحضارة الهندوسية بما حفلت به من أفانين ، وفيها ظهر بوذا الذى حث على ضبط النفس وقهر الشهوات ، ودعا للمحبة الشاملة ، وقال بالغاء الطبقات [٣] •

قبس من حضارة مصر والشرق ينتقل لليونان

كانت مصر وكان الشرق موطن الفكر الأول ومصدرا للحضارة الانسانية كما ذكرنا ، ومن مصر والشرق بدأت اليونان تعرف خيوط المعرفة ، ويذكر عالم المصريات الدكتور عبد المنعم أبو بكر [٤] « أن مصر تعد أم الحضارة ، وأنه ما من شىء ننعم به الآن الا كان للمصريين الفضل الأول فى ابتكار أصوله ، ولم يبتدع اليونان أسس الحضارة الانسانية ، ذلك أن ما ورثوه كان أكثر جدا مما بتكروه ، ويقول علماء الحضارة ان اليونانيين كانوا الوارث المدلل لذخيرة من الفن والعلم نبتت وازدهرت بمصر قبل ذلك بعدة آلاف من السنين » •

ولنسر مع مصر مرحلة أخرى من الحديث لنرى أفكارها وهى تنتقل

---

(١) محمد فريد وجدى : دائرة المعارف جـ٩ ص ٤٠ و ٤٥ •
(٢) صادق نشأت ومصطفى حجازى : صفحات عن ايران ص ٦ •
(٣) انظر كتاب « أديان الهند الكبرى » للمؤلف ص ١٧١ وما بعدها •
(٤) صحيفة الأهرام القاهرية فى ١٩٧١/٦/١٨ •

لليونان ، فانه ابتداء من القرن السادس قبل الميلاد بدأ الطلاب الاغريق يفدون إلى مصر ويلتحقون بمعاهدها ويقتبســون منها الأصول الأولى لحضارتهم ، وكان من هؤلاء فيما بعد أعظم فلاسفة اليونان الذين يُنعتون بالحكماء السبعة ومنهم طاليس وأفلاطون وفيثاغورث وديمقريطس ، كما وفد إلى مصر كذلك المؤرخ هيرودوت ، والشاعر هوميروس ، والموسيقى أوزفيس وغيرهم (١) .

شهادة جورج سارتون :

ويقول جورج سارتون (٢) : ان من السذاجة أن نفترض أن العلم بدأ فى بلاد الاغريق ، لأن الفكر الاغريقى سبقته جهود علمية عديدة فى مصر وفى بلاد النهرين ... وكان العلم اليونانى احياءً أكثر منه اختراعا ، وكفى الغربيين سوءاً أنهم أخفوا الأصول الشرقية المصرية البابلية ، تلك التى لم يكن التقدم الهلينى مستطاعا بدونها (٣) .

شهادة طه حسين :

وهناك باحث عاش عمره كله شديد الولاء للثقافة اليونانية ، ومع هذا فقد اعترف بدور الشرق فى الثقافة اليونانية ، ذلك هو الدكتور طه حسين الذى يقول (٤) : بينما كانت الأمة اليونانية خاضعة لسلطان الشعر القصصى الذى يمثلها ساذجة جاهلة قليلة الحـظ من النظـم السياسية والاجتماعية الراقية ، كان الشرق قد انتهى إلى درجـات من الحضارة

---

(١) محمود أبو الفيض : الاسلام والحضارة الاسلامية ص ٥٥ .
(٢) نقلا عن حضارة الاسلام للدكتور جلال مظهر ص ٣٤ .
(٣) الحضارة الهلينية Hellenic هى الحضارة اليونانية قبل عصر الاسكندر ، أما الحضارة الهلسنية Hellenistic فهى الحضارة اليونانية بعد عصر الاسكندر ، تلك الحضارة التى ظهرت بها عناصر أجنبية اكسبتها صورة جديدة .
(٤) قادة الفكر ص ٤٤ ــ ٤٥ .

مختلفة وراقية لا تقاس بها حياة اليونان ، فكان الساميون فى بابل وآشور قد بسطوا سلطانا ضخما ، وأسسوا حكومات قوية منظمة ، وانتهوا إلى ألوان من الفن والعلم لا تزال تبهرنا حتى الآن ، وكانت مصر قد انتهت إلى مدى عظيم من الحضارة ، وليس من شك فى أن الاتصال قد تمّ بين دول الشرق الراقية وبين الأمة اليونانية الساذجة ، ووُجِدَ هذا الاتصال واشتد ، وبالتالى تأثرت الأمة اليونانية من غير شك بالحضارات الشرقية المختلفة ، وأخذت عن الساميين فى آسيا ، وعن المصريين فى افريقية أشياء كثيرة متنوعة ، ولم تكن الأمة اليونانية جاحدة ولا منكرة للجميل ، وانما كانت شديدة الاعتراف بالجميل ، وربما بالغت فيه مبالغة شديدة أيضا ، فنسبت كثيرا من الأشياء للشرقيين ، بل نسبت مدنا مختلفة إلى المصريين حينا وإلى الفينيقيين حينا آخر ، وعدَّت نفسها دائما تلميذة للأمة المصرية وغيرها من الأمم الشرقية فى الحضارة وألوان الفن .

شهادة فيليب حتى :

وكتب الدكتور Philip Hitti (١) معلقـا على ما ترجمه المسلمون فى العصر العباسى من كتب يونانية ومشيرا إلى الدائرة الحضـارية ودورْ الشرق فيها ، وفيما يلى كلماته : وينبغى ألا نبالغ فى فضل اليونان عـلى المسلمين ، إذ أن الثقافة اليونانية استمدت قبلا عناصرها ومقوماتها من معارف مصر القديمة ، وبابل ، وفينيقية ، ثم عادت هذه المعارف إلى العالم الإسلامى وهى فى ثوب يونانى ، وعن طريق أسبانيا وصقلية عبرت هذه العلوم إلى أوربا مرة أخرى هدية من الشرق الإسلامى إبان العصـور الوسـطى »

شهادة ألبرت فور :

وقد نشر الأستاذ على أدهم فى عدد نوفمبر ١٩٧٤ من مجلة الثقافة مقالا بعنوان « مصر والإغريق » ترجم فيه فصلا من كتاب ألفه حديثـا

---

(١) History of the Arabs pp. 3 6-307.

العلامة ألبرت فور ، وفى هذا الفصل يقرر ألبرت فور كثيرا من الأفكار التى أوردناها فى هذه الدراسة ، ويؤكد الاقتباس الواسع الذى أخذه علماء الإغريق من مصر .

الإنتاج الجماعى ساعد على إخفاء دور مصر :

ومما ساعد على إخفاء دور مصر والشرق ، ان الإنتاج الثقافى فى هذه البقاع كان جماعيا لا فرديا ، اذ كانت تقوم به قبل الإسلام طبقة الكهنة ، فلما انتقل هذا الفكر لليونان دون أن ينتسب لشخص معين ، ظهر وكأنه لا صاحب له ، وكان مفكرو اليونان يعملون أفراداً لا جماعات ، فارتبطت الأفكار المهاجرة من مصر ومن الشرق بأسماء يونانية تبنتها ، فنسبت هذه الأفكار لهؤلاء المفكرين اليونان

ولكن حقيقة اقتباس اليونان من مصر اتضحت بعد ذلك :

فعلى الرغم من أن الدراسة بمصر كانت جماعية كما سبق القول . فقد كانت هناك شخصيات لامعة ارتبطت بها أمور فكرية عالية ، ولكن هذه الأسماء طواها الزمن فلم تبرز ، ونسبت أفكارها فيما بعد إلى بعض علماء اليونان ، ولم تظهر لنا الحقيقة بوضوح إلا بعد ما ظهرت كشوف جديدة تضع الحق فى نصابه ، ومن هؤلاء الطبيب المصرى « أمحتب » الذى كان وحيد عصره فى الطب ، والذى كتب بحثا طبيًا شاملا يحوى دراسة تشريحية للجسد كله وقد وقع هذا البحث فى يد الطبيب اليونانى أبقراط فأصبح يسمى « أبا الطب » وعندما اكتشفت البردية التى تحمل البحث الأصيل ، تراجعت منزلة أبقراط إلى مكانها الطبيعى ، واندفع أمحتب إلى مكان الصدارة [1] .

---

(١) نقلا عن حضارة الاسلام للدكتور جلال مظهر ص ١٨ بتصرف .

ومثل هذا يقال بالنسبة لعالم الرياضة المصرى أحمس (١٧٠٠ ق٠م) الذى سقطت أعماله العلمية فى يد « أديوفانتس » السكندرى الافريقى (٢٥٠ ق٠م) ونسبت له ، حتى كان يعرف أنه مخترع علم الجبر ، ولكن بردية أحمس ظهرت حديثا وأثبتت أنه مخترع هذا العلم ، وأن أديوفانتس تلميذ جاء بعد عدة قرون منه ، ونسب لنفسه أو نسبت الأجيال له عمل أحمس الأصيل [1] ٠

---

(١) المرجع السابق ونفس الصفحة ٠

أوربــا والحضــارة

نحب أن نجول جولة فى أوربا لنرى مدى صلاحية تربتها آنذاك لتزدهر بها الحضارة التى اقتبستها من الشرق ، ونسأل لذلك ســؤالين مهمين :

١ ــ ماذا نرى فى اليونان لو حاولنــا أن نعاشر أبــرز اتجاهاتها الحضارية ؟ .

٢ ــ وكيف كان حال أوربا عندما كانت اليونان تنمّى الحضــارة التى اقتبستها من الشرق ؟

ونجيب فيما يلى عن هذين السؤالين :

١ ــ اليونان والحضارة :

لقد سبق أن ذكرنا أن حضارة اليونان اقتبست كثيرا من جذورها من مصر ، وأن عددا من فلاسفتها ومفكريها زاروا مصر واقتبسوا أصــول ثقافتهم من حضارتها ، ومع هذا فلنسر مع فلاسفة اليونان لنرى صورا من تفكيرهم ، وأول من يطالعنا هو سقراط كبير فلاسفة اليونان الذى عُرِف عنه عدم الميل للديمقراطية والذى كان شديد العبث والسخرية بها ، كما كان شديد العبث بالارستقراطية ، وكانت نهاية سقراط أليمة ، توضّح مكانة المفكرين فى المجتمع اليونانى ،فقد حكم عليه بالاعدام ،وأعدم فعلاً .

وإذا تركنا سقراط وذهبنا إلى فيلسوف اليونان الشهير « أفلاطون » فإننا لا نجد وصفا لفلسفته أدق من وصف عالم مصرى مفتون بالفكر اليونانى وذلك العالم هو الدكتور طه حسين ، وهو يقول عن أفلاطون ما يلى : ان فهم الكتب التى تركها أفلاطون ليس بالأمر اليسير ، لأن بها ضروبا من التناقض من جهة ، ولأن آراء الفيلسوف فى بعض المسائل قد بلغت من الغموض حدا عظيما جدا من جهة أخرى [1] .

---

(١) دكتور طه حسين : قادة الفكر ص ١٢٠ .

بيد أن هنـــاك موضـــوعا من الموضوعات التى طرقها أفلاطون ولم يتناقض رأيه فيه ، ذلك هو تصوير أفلاطون للجمهورية ، فماذا كانت صورة هذه الجمهورية ؟

يريد أفلاطون أن تتكوّن الجمهورية الفاضلة من الفلاسفة ومن طبقة الجند ، ومن طبقة ثالثة هى طبقة العمال والزراع ، ويكون الحكم للفلاسفة وحدهم وليس للطبقتين الأخيرتين دخل فيه ، فأفلاطون عدو للديمقراطية التى تعطى الحكم للناس جميعا ، أما الطبقة الثانية وهى طبقة الجند ، فأفلاطون وضع لها نظاما صارما ، يزيل به شخصية الفرد تماما ، فليس لأفراد الجيش حق فى الملكية ، وليس لهم حق فى تكوين أسرة ، فلا زوجات لهم ولا أولاد ، وانما تكون المرأة حظاً شائعا بين الجنود جميعا ، وأبناء هؤلاء النساء لا يعرفون آباءهم فهم أبناء الدولة ، أما الطبقة الثالثة وهى طبقة العمال والزراع فعليهم فى هذه المدينة الفاضلة أن يكدحوا لخدمة طبقة الحكام وطبقة الجيش ، وليس لهم حقوق على الاطلاق .

وليس للمرضى فى مدينة أفلاطون مكان ، بل تنبذهم الدولة بعيدا .

تلك هى صورة المدينة الفاضلة عنـــد أفلاطون ، وهى فى تقديرى مدينة الظلم والظلمات .

وعلى كل حال فقد اهتمت أوربا كلها بحضارة اليونان ، واعتبر الأوربيون هذه الحضارة من ابتكار اليونان متجاهلين أصولها المصريـــة والشرقية ، وعدّوها تراثا أوربيا ، وارتفعوا بها لدرجة القداسة ، ليت كل أصحاب الحضارات يَهْتَمّوُن هكذا بحضارتهم .

٢ — أوربا والحضارة :

أما إذا ذهبنا إلى باقى أوربا فلن نرى إلا حيـــاة يشملها البغى والظلام ، فقد كان نظام الإقطاع سائدا ، وفى ظل الإقطاع كان هناك أمراء وعبيد ، فالأمراء يملكون الأرض ورقيق الأرض ، والعبيد يعملون دون أن يكون لهم وزن ، وكانت الحرب لا تكاد تنقطع بين هؤلاء الأمراء بعضهم

والبعض الآخر ، وبذلك كانت أوربا تعيش فى ظلام دامس فى جميع نواحيها تقريبـــا .

وقد ظلت أوربا على ذلك زمنا طويلا حتى بعد أن ظهر الإســـلام وبعد أن تكونت فى ظله نظم وحضارات واسعة ، فان الوثيقة التى يفخر بها الأوربيون بوجه عام والإنجليز بوجه خاص وهى وثيقة العهد الأعظم ليست فى الحقيقة موضع فخر ، فقد اضطر الملك جون أن يوقعها فى القرن الثالث عشر الميلادى ، وكان هذا الملك قد تمادى فى طغيانه ، فعزل أباه الملك هنرى الثانى من الحكم بمؤامرة خائنة ، وتسلط على الأمراء ورجال الكنيسة ، فثار هؤلاء من أجل حقوقهم ، فاضطر الملك جون أن يكتب هذه الوثيقة ينظّم بها العلاقة بينه وبين الأمراء من جهة ، وبينه وبين رجال الكنيسة من جهة أخرى ، ولم يَرِدْ فى هذا العهد ذكر للشعب ولا لحقوقه ، فالشعب لم يحصل على أية حقوق الا بعد ذلك بأربعة قرون ، أى فى القرن السابع عشر ، أما حقوق المرأة الغربية فلم يُعترف بها إلا فى القرن العشرين .

تلك هى صورة الحياة فى العالم قبل الإسلام ، وهى تبرز بجـــلاء نقطتين مهمتين :

أولهما : أن الحضارات العالمية نبتت فى الشرق ، وعندما كان الشرق يموج بالحضارة كانت أوربا تعيش فى ظلام وحروب وطغيان ، ولعـــل ذلك يعيد للمسلم ثقته ببلاده وتاريخه .

ثانيهما : أن الحضارة التى اقتحمت بعض نواحى أوربا قبل الإسلام جاءت عن طريق مصر والشرق ، وعاشت هذه الحضارة فى اليونان فقط ، وبقيت دول أوربا الأخرى تعيش فى ظلام العصور الوسطى .

نهاية الحضارات القديمة
ودور روما والكنيسة والكهنة فى ذلك

انتكست الحضارة قبل الإسلام انتكاسا شديدا ، وقضى على الحضارات التى كان الشرق يزدهر بها ، وعاد المجتمع العالمى القهقرى ، وذلك لأسباب كثيرة من أهمها السببان التاليان :

١ — سيادة روما على أكثر مناطق الحضارات بالشرق :

مع نهاية الاسكندر المقدونى استولى البطالسة على سورية سنة ٣٢٥ ق٠م ثم على مصر سنة ٣٠٥ ق٠م ، وبعد ذلك زحف الرومان فاستولوا على أوربا خلال القرنين الثانى والأول ق٠م ، ثم استولوا على سوريا سنة ٦٥ ق٠م ، وبعدها استولوا على مصر سنة ٣٠ ق٠م ، وبهذا خضعت أهم مناطق الحضارات فى أوربا ، وفى الشرق إلى روما ، ولاقت هذه المناطق تحت الحكم الرومانى صورا من الضغط والاذلال ، قضت على قوة الابتكار والفكر ، فخبت شعلة التطور تحت نير العسف الرومانى ، ولم تستطع روما أن تحمل مشعل الحضارة بديلا لهذه المناطق التى خضعت لها ، لأن روما لم تكن فى أى عصر من عصورها مركزا من مراكز الفكر كما كانت عين شمس فى مصر القديمة ، أو أثينا والاسكندرية فى عصر ازدهار الحضارة اليونانية ٠ وتوقف بذلك نشاط الحضارات ٠

٢ — انحراف المسيحية بسبب انحراف بعض قادتها :

ظهر السيد المسيح ولكن نظام الحكم الرومانى ظل وثنيا فترة طويلة حتى عهد قسطنطين (٢٧٤ — ٣٣٧م) الذى حكم من سنة ٣٠٦ إلى سنة ٣٣٧ م وقد قام هذا الامبراطور بسلسلة من الأعمال شد بها أزر المسيحية ، فهو الذى أعلن حرية التدين فى قرار ميلانو (سنة ٣١٣) الذى نص على الا يجرم أحد بسبب الارتباط بشعائر المسيحية أو أية شعائر

دينية أخرى ... وهو الذى دعا إلى مؤتمر نيقية سنة ٣٢٥ ثم دخل المسيحية فى أواخر أيامه وعُمِّد وهو على فراش الموت . ولم يكتف رجال الكنيسة من قسطنطين بما قدم للمسيحية ، بل وضعوا باسمه ما سمى « منحة قسطنطين » وهى وثيقة تعلن أن الامبراطور منح البابا سلطات دنيوية كبيرة فى الولايات البابوية التى أنشأها البابا ، وقد أثبت النقاد زيف هذه الوثيقة بأساليب نقدية دقيقة تعتبر أساسا لنقد النصوص فى العصر الحديث .

والمهم أن موقف قسطنطين من المسيحية جعل رجال الدين يطمعون فى مزيد من السلطة التى تتجاوز أمور الدين إلى أمور الدنيا ، وقد نجح رجال الكنيسة فى ذلك ، وفى أواخر القرن الرابع استطاع أسقف ميلانو أن يعارض بعض قرارات الامبراطور تيودوسيوس الذى توفى سنة ٣٩٥ م حتى أرغمه على سحبها .

ومنذ مطلع القرن الخامس هيمنت الكنيسة على كثير من الشئون وفى مقدمتها الاتجاهات الفكرية والحضارية فى الامبراطورية الرومانية تلك الاتجاهات التى كانت مصرية الجذور أو فينيقية الأعراق ، فماذا كان موقف الكنيسة من هذه الحضارة ؟

ان موقف الكنيسة من الحضارات السابقة يبنى على الاعتبارات الآتية :

أولا : ان الكتاب المقدس قد حوى بين دفتيه كل ما يحتاجه الانسان فى الدنيا والآخرة ، وأنه لذلك ينبغى أن يكون وحده أساس النظريات والعقائد ، وأن لرجال الكنيسة وحدهم حق تفسير نصوصه ، وعلى الناس أن يقبلوا هذا التفسير دون تفكير أو مقاومة .

ثانيا : وتبعا لذلك ساد الاعتقاد بأن ما سوى الكتاب المقدس باطل ، لا يجوز الوقوف عنده أو مدارسته .

ثالثا : رجال الكنيسة ممثلون لله فى الأرض ، ومن ثم فان لهم تعذيب من يقاوم أفكارهم وإثابة من يطيعهم كما يفعل الله بالنسبة للناس تماما .

رابعا : بنيت المسيحية على المعجزات والخوارق التى جاء بها السيد المسيح ، والمعجزات والخوارق من طبيعتها أن تخالف قوانين الطبيعة والأسس العلمية ، ولما كان رجال الدين مخلصين كل الاخلاص للمعجزات والخوارق ، فقد اتخذوا جانبها وحاربوا العلوم لأنها تتنافى معها

خامسا : اتجهت النصوص المسيحية إلى ترك الدنيا ، وانتظار ملكوت السموات دون مبالاة بالأجساد والأبدان والمال والمتاع ، ولما كانت أكثر العلوم التجريبية التى كانت منتشرة بالشرق تخدم الدنيا ، فقد اتجهت أفكار رجال الدين لمعارضة هذه العلوم .

ومن هنا حاربت الكنيسة مختلف العلوم ، كما حاربت العلماء ، واحتكرت الكنيسة بعض المجالات الفكرية بعد أن أخضعتها لنصوص الكتاب المقدس وقاومت كثيرا من الأفكار مقاومة شديدة ، وكان الطب والرياضة والفلك ... من النوع الأخير ، فأعدمت الكنيسة بعض كتبها وألقت بالبعض فى مغارات لا يطلع عليها أحد حتى يأكلها الزمان [١] ، وقد ظلت الكنيسة تتبع هذه السياسة فترات طويلة ، فلما أهل عصر الحرية ، ولم تجد الكنيسة فى مقدورها أن تحرق الكتب أو تسجنها أصدرت القرارات التى تحرم على المسيحيين قراءة الكتب التى ترى أنها تخالف الدين كما حددته ، أو الكتب التى تكشف سوءات الكنيسة ، ومن أشهر هذه القرارات قرار الفاتيكان الصادر فى سنة ١٩٢٩ والذى يحرم على المسيحيين قراءة أكثر من خمسة آلاف كتاب [٢] ، كما أصدرت قرارا بتكفير من قال بدوران الأرض .

---

(١) ابن نباته المصرى : سرح العيون ص ٦٦ ، والفهرست لابن القيم ص ٣٣٣ .

(٢) انظر كتاب المسيحية للمؤلف ص ٧١ .

وهكذا قضى رجال الكنيسة المسيحية على الثروة الحضارية الضخمة التى كوّنها العالَم طيلة عدة قرون •

وجاءت نهاية حضارة الفرس والهند على أيدى الكهنة كذلك ، أولئك الذين شغلتهم الرغبة فى متع الحياة ، فصوّروا أنفسهم واسطة بين الله والناس ، وحوّلوا بوذا إلى إله ، كما صوروا مذهب زرادشت الذى كان يرى النار رمز الصفاء فجعلوا النار إلها مقدسا ، وجعلوا أنفسهم خدم هذا الإله لينالوا من القرابين ما يحقق لهم ما يصبّون إليه من نعيم الدنيا •

وهكذا استغل هؤلاء الناس الأديان فانحرفوا بها • وبدل أن تكون مشاعل نور جعلوها وسائل للجهل والظلام •

وقد كان رجال الدين من قسس وكهنة متعاونين فى ذلك مع الملوك والأمراء ، وقد رأى هؤلاء وأولئك أن يحاربوا العلم وينشروا الجهل لتسهل عليهم قيادة شعوبهم ، فالشعوب الجاهلة سهلة القياد ، أما الشعوب المتعلمة فتعرف حقوقها ، وتطالب بها ، وتدافع عنها •

ومن الأمور المفجعة أن بعض الكنائس ظلت تمارس هذه النقائص حتى العهد الحاضر ، وأبرز مثال لذلك الكنيسة الأثيوبية التى كانت تملك ٣٠٪ من مساحة الأراضى المزروعة بالحبشة ، ولا تدفع عنها ضرائب ، وتجبى مع ذلك الصدقات والنذور من المعدمين والفقراء التعساء والجهلة ، وحتى تنعم الكنيسة الأثيوبية بهذا الثراء سكتت على الامبراطور وأسرته وأمرائه الذين كانوا يملكون ٥٠٪ من الأراضى ، أما ما تبقّى بعد ذلك فقد منحه الامبراطور لكبار الموظفين الملكيين والعسكريين وبعض زعماء القبائل ، وكان الامبراطور ينعم بهذا الثراء الخارق ، ويقيم أعياد ميلاد سخية لكلابه ، بينما كان الشعب يتضور جوعا ويتساقط بسبب قلة الغذاء والكساء •

وقد ظلت الكنيسة تمارس هذا الباطل وتغمض الطرف عنه حتى

هبت ثورة الجيش الأثيوبى عام ١٩٧٤ فوضعت حدا لهذا الضلال ، ولكنها للأسف اتجهت لضلال آخر هو الشيوعية والإلحاد ، وهو كذلك محاولة مدّ سلطانها ظلما إلى أرض ليست حبشية ، وذلك لون من الاستعمار الجديد نحاربه بكل الوسائل

* * *

ونتيجة لهذين السببين يقول Dinson [1] كلاما طويلا عن اختفاء الحضارات العالمية فى القرنين الخامس والسادس ، وقد نقلنا كلامه فى مكان آخر ، وخلاصة ما قال أنه فى هذين القرنين كان العالم على شفا جرف من الفوضى ، لأن المدنية الكبرى التى تكلف بناؤها عدة آلاف من السنين أصبحت مشرفة على التفكك والانحلال والاختفاء ..

(١) Emotions as the Basis of Civilization.
وانظر كتاب المجتمع : تكوينه وعلاج مشكلاته فى الفكر الاسلامى للمؤلف .

العصر العباسى الأول

عصر التدوين والترجمة

كان العصر العباسى الأول أزهى العصور الإسلامية فى خدمة الحضارة الإسلامية بوجه خاص والحضارة الإنسانية بوجه عام ، وقد كانت آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول قد جاءت بالكثير تجاه الحضارة الأصيلة ، كما حثت على رعاية العلم وخدمة الفكر بوجه عام •

وشهد عصر عمر بن الخطاب وعصر الدولة الأموية توسعا هائلا فى الدولة الإسلامية ، فقد وصل الإسلام خلال ذلك إلى الهند وتخوم الصين شرقا وإلى أسبانيا غربا •

ثم جاء العصر العباسى الأول (١٣٢ — ٢٣٢ هـ = ٧٥٠ — ٨٤٨ م) فكان عصر العلم والمعرفة ، وقد قام خلفاء هذا العصر بدور عظيم فى خدمة الحضارتين الأصيلة والمقتبسة •

تدوين الحضارة الأصلية :

ففى الحضارة الأصيلة بدأ التصنيف وتدوين العلوم ، وكان الاعتماد قبل ذلك على الرواية والرواة ، ولهذا فان هذا العصر ازدهى بالعلماء الأجلاء فى كل ميدان :

فى مجال الفقه (أبو حنيفة ومالك والشافعى وأحمد بن حنبل) •

وفى مجال التفسير ظهر الفراء وهو أول من دون تفسيرا كاملا للقرآن الكريم •

وسار تدوين الحديث الشريف مسافات طويلة ، وكان تدوين الحديث قد بدأ فى عهد عمر بن عبد العزيز (٩٩ — ١٠١ هـ) •

وظهر علماء اللغة الذين دونوا النحو العربى ومنهم الخليل والأخفش والكسائى وسيبويه •

وظهر من المؤرخين ابن هشام وهو الذى دون سيرة متكاملة للرسول صلوات الله عليه اعتبرت أساسا لمن تكلموا بعده عن هذه السيرة العطرة .

ودونت جوانب الحضارة الإسلامية فى ثنايا الفقه الإسلامى وفى ثنايا الحديث الشريف ، وخصصت كتب أحيانا للحضارة وحدها مثل كتاب « أبو يوسف » عن « الخراج » وأبو يوسف تلميذ أبى حنيفة وقاضى قضاة الرشيد أعظم خلفاء ذلك العصر .

وفى هذا العصر بدأ أيضا تدوين علم مقارنة الأديان على يد النوبختى الذى كتب كتابه « الآراء والديانات » .

الحضارة التجريبية وبيت الحكمة :

فإذا جئنا إلى الحضارة التجريبية وجدنا أنها وجدت فى العصر العباسى الأول أزهى الفترات لازدهارها ، فقد شجع الخليفة أبو جعفر المنصور ثانى خلفاء العباسيين ترجمة كتب العلوم والآداب من اللغات الأجنبية للغة العربية ، ثم شيد هرون الرشيد أشهر خلفاء ذلك العصر أول معهد علمى حافل وأسماه « بيت الحكمة » وكان ذلك حوالى سنة ٨٣٠ م ، واهتم ابنه المأمون بهذا المجمع العلمى وألحق به مرصدا ومكتبة حافلة ، وجذب له العلماء والمترجمين والطلاب ، وفى هذا المعهد ترجمت أمهات الكتب فى مختلف الموضوعات إلى اللغة العربية ، وكان المأمون يعطى المترجمين زنة ما يترجمونه من الذهب الخالص .

وأكثر هذه الكتب كانت قد وضعت كما ذكرنا من قبل فى دهاليز مظلمة رطبة تحت الأرض ليأكلها الزمان ، وكان المأمون يشترط عند توقيع الهدنة مع الروم أن يسلموا للمسلمين هذه الكتب التى كتبها إقليدس وجالينوس وأبقراط وأرشميدس وسواهم من المفكرين ، وأحضر المسلمون مجموعات من الكتب من البلاد التى استولوا عليها كالشام ومصر

وفارس ، ومجموعات من قبرص ومن الاسكندرية وعكفوا عليها يترجمون ويعلقون ويشرحون [١] •

مراحل العمل فى الكتب الأجنبية :

والذى يظهر لنا من الدراسة إن هذه الكتب التى انتزعت من الدهاليز المظلمة الرطبة كانت قد ضاعت بعض أوراقها ، واختفت سطور كثيرة منها بسبب الرطوبة والإهمال ، ولهذا فقد استلزمت جهدا كبيرا لترجمتها والانتفاع بها ، وقد مرّت هذه الجهود خلال خمس مراحل هى :

١ — مرحلة استكمال الكتب ، فقد عُهد بكتب الطب إلى أطباء ، وبكتب الرياضة إلى علماء فى الرياضة ، وبكتب الفلسفة إلى فلاسفة ، لتكميل ما بهذه الكتب من نقص بقدر الإمكان •

٢ — ترجمة هذه الكتب إلى اللغة العربية •

٣ — التعليق عليها من المترجمين أو من غيرهم من القراء بعد الترجمة •

٤ — تدريس هذه الكتب للطلاب وتعتبر هذه المرحلة من أهم مراحل الانتفاع بهذه الكتب ، فإن التدريس يستلزم أن يُعْمِل المدرس فكره فى المادة التى يقدّمها للطلاب ، ثم إن الاحتكاك بين عقل المدرس وعقول تلاميذه يفتح أبوابا جديدة من المعرفة فى هذه المواد •

٥ — المرحلة الخامسة والخطيرة هى أن المسلمين ألّفوا فى هذه الموضوعات كتبا كانت أعظم من الكتب التى ترجموها ، وأصبحت هذه الكتب الجديدة حائزة قصب السبق فى ميادين المعرفة •

ويقول Philip Hiti [٢] انه بينما كان الرشيد والمأمون يُخرجان كنوز الفلسفة القبطية واليونانية والفارسية ، كان معاصروهم فى أوربا أمثال شارلمان وسادة مملكته يتعثّرون فى كتابة أسمائهم •

---

(١) ابن النديم : الفهرست ص ٢٤٣ •

(٢) History of the Arabs p. 312.

لمحة عن جهود المسلمين فى الحضـــارة التجريبية

وانتقل المسلمون — كما ذكرنا — من الترجمة والتعليق إلى الابتكار والخلق فكان لهم سبق عظيم فى العلوم التجريبية نوجز الحديث عنـه فى السطور التالية [1] :

فى علم الاجتماع :

يعتبر ابن خلدون رائدا فى تاريخ الفلسفة وعلم الاجتماع ويقول عنه Colosio [2] إن ابن خلدون اسـتطاع أن ينفذ إلى الظواهر الاجتماعية ويكتب فى الاقتصاد والفلسفة كاقتصادى ضليع وفيلســوف عميق ، وقد خلّفت مقدمة ابن خلدون لـــه شهرة رائعة ، ومكانا رفيعا ، وأثبتت أنه واضع علم الاجتماع •

الجغرافيا :

فى علم الجغرافيا برز الخوارزمى وتلاميذه وكانوا تسعة وتسعين ، وقد عاصر هؤلاء الخليفة المأمون ، ورسم هؤلاء خريطة للسماء والأرض ، وقاموا بمحاولة ناجحة لقياس محيط الأرض على أنها كرة ، والمدهش أن ما وصلوا له كان قريبا جدا مما وصل له العلم الحديث مع وجود الأجهزة الحديثة الدقيقة •

ومن الذين ذاع صيتهم فى علم الجغرافيا المقدسى الذى قـــام برحلات طويلة استغرقت عشرين عاما جمع خلالها معلومات واسعة ، ثم دوّن ما يمكن أن يسمى دائرة معارف فى الجغرافيا •

ومن مشاهير الجغرافيين المسلمين الذين ابتكروا ابتكارات واسعة

---

(١) انظر تفاصيل ذلك فى الجزء الثانى من هذه الموسوعة •

(٢) Introduction a l'etude d'iln Khaldon.

الإصطخرى والإدريسى (القرن الثانى عشر) ومن أبرع ما وصل إليه الإدريسى أنه رسم خريطة لنهر النيل أبرز عليها منابع النيل الأصلية التى لم يعرفها الغربيون إلا فى القرن التاسع عشر .

ومما يدل على براعة العرب فى الجغرافيا ، ما نشرته مجلة (نيوزويك) الصادرة فى العاشر من شهر إبريل سنة ١٩٦١ وفيها يذكر الدكتور « هوى لن » الأستاذ بجامعة بنسلفانيا أن العرب هم الذين اكتشفوا القارة الأمريكية ، وكان ذلك قبل كريستوف كولمبس بأربعة قرون .

علم الفلك :

وضع المسلمون أساس علم الفلك ، وكل ما جاء بعد المسلمين كان على أساس ما سجله المسلمون فى هذا العلم ، ومثل ذلك يقال عن الرياضة والطب والعلوم الطبيعية .

وكان هناك نشاط واسع فى علم الفلك إبان خلافة المأمون الذى أقام مرصداً ضخماً لخدمة هذا العلم ،ولم تمض فترة طويلة حتى ظهر مرصد آخر بمصر ثم فى الرى (طهران) ، وشيراز ونيسابور وغيرها من العواصم الإسلامية .

ومن أهم علماء الفلك المسلمين ، الفزارى والخوارزمى والزرقالى ، وقد استطاع هذا أن يحدد وقت كسوف الشمس وطول فترة الكسوف .

وظهر الكوهى الذى استطاع أن يحدد نقطة الانقلاب الشمسى عند قمة الصيف وقمة الشتاء .

وقد نقلت مؤلفات كثيرة فى الفلك من اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية وكانت أساساً لمعارف الغرب فى هذا الميدان .

علوم الرياضة :

ظهرت الأرقام أول ما ظهرت فى الهند ثم ترجمت رسالة فى

الرياضيات من اللغة السنسكريتية إلى اللغة العربية وقام بترجمتها الفزارى ، وعرّف العرب عن طريقها استعمال الصفر كما عرفوا الأرقام الهندية ، وقد نقلت هذه الأرقام من اللغة العربية إلى أوربـــا ، ولهذا أطلق عليها الغربيون (الأرقام العربية) لعدم صلتهم بالأصل الذى أُخذت عنه .

ووضع الخوارزمى أساس علم الجبر ، وكتب فى ذلك كتابا عنوانه « حساب الجبر والمقابلة » وعندما ترجم هذا الكتاب إلى اللغة اللاتينية بقيت كلمة (جبر) اسما لهذا العلم ، اعترافا بفضل اللغة العربية فيه .

وقد نقل إلى اللغة اللاتينية عدد كبير من الكتب والبحوث العربية كانت أساسا لتطور علوم الرياضة عند الغرب .

الموسيقى :

عرف المسلمون السلم الموسيقى ، وقياس الوتر ، والإيقاع الدقيق ، قبل أن يعرفها الأوربيون بعدة قرون ، ومنابع الموسيقى الإسلامية ترجع إلى الموسيقى البيزنطية والفارسية بالاضافة إلى الموسيقى العربية التى كانت شائعة قبل الإسلام .

ومن علماء الموسيقى فى العالم الإسلامى سعيد بن مسجح وتلميذه ابن محرز ، ثم ظهر اسحق الموصلى ومعاصروه وإخوان الصفا والفارابى .

وقد ترجمت بعض الكتب التى كتبها العرب فى الموسيقى إلى اللغة اللاتينية ولا تزال هناك كلمات لاتينية قريبة النطق من الكلمات العربية كالقيثارة وترجمتها جيتار والقانون وقد نقل إلى اللاتينية بنطقة العربى .

الكيمياء :

أول ما نذكره عن هذا العلم هو أن الكيمياء لفظ عربى مشتق من

الفعل كمى يكمى إذا ستَرَ وأخفى ، ويقال كمى الشهادة إذا كتمها أو منعها ٠

ويعتبر علم الكيمياء نتيجة دقيقة للمنهج التجريبى الذى ينتسب للمسلمين والذى يتكلم عنه جابر بن حيان بقوله : والله قد عملته بيدى وبعقلى قبل اليد ، وبحثت عنه حتى صح ، وامتحنته فما كذب ٠

العلوم الطبيعية (الصوت والضوء) :

ظهر كثير من علماء المسلمين فى مجال دراسة العلوم الطبيعية وبرعوا فى ذلك براعة كبيرة ، ومن هؤلاء ابن الهيثم الــذى عارض إقليــدس وبطليموس فى قضية مصدر الشعاع الذى يسبب الرؤية ، فأثبت أن الرؤية تتم بواسطة أشعة تنبعث من المرئى لا من العين كمــا كان يظن إقليدس وبطليموس ، وأثبت ابن الهيثم انعكاس الضوء ، وانكساره ، ووضع قانون سير الأشعة سيرا كرويا منحنيا كانحناء سطح الأرض ٠

الطب :

ازدهرت العلوم الطبية فى الشرق القديم ، وبخاصة على ضفاف النيل ٠

وعرف الشرق كذلك علاج المرضى بواسطة الدواء ، وكان الأطباء من قبل يقتلون المرضى أو يحاولون علاجهم بالخرافات لطرد الشياطين التى كانوا يعتقدون أنها تسبب الأمراض ، ومن وسائل القتل ما كان معروفا من عزل المريض فى أمكنة تسمى بيوت المرضى أو مأوى الله ، وكان يقصد بذلك حماية الأصحاء وترك المرضى فى هذه الأمكنة حتى يموتوا ٠

ولم تظهر المستشفيات إلا فى ظل الإسلام ، وعرف المسلمون كذلك العلاج المجانى لغير القادرين ، وظهر الأطباء الفلاسفة كالرازى والفلاسفة الأطباء كابن سينا ٠

واكتشف المسلمون عدة أمراض لم تكن معروفة من قبل كالجزام والحصبة والجدرى ، كما عرفوا العدوى والتطعيم •

وعرف المسلمون أيضا التشريح والتخدير والطب النفسى وطب العيون ، كما برعوا فى الصيدلة ، ويعتبر ابن البيطار زعيما فى ذلك المجال ، أما الزهراوى فقد ابتكر الكثير من آلات الجراحة ، وتكلم عن تعقيم الجروح ، وعن تشريح بعض الحيوانات التى تشبه الإنسان للتعرف على ما يسبب الأمراض ، وعرف المسلمون كذلك الطب البيطرى ، واشتهر المسلمون بطرق البحث العلمى ، ونسبت لهم هذه الطريقة دون جدال ، فالطريقة التجريبية هى طريقة عربية إسلامية •

تلك لمحة سريعة عن جهود العرب والمسلمين فى مجال الحضارة التجريبية ، وهى جهود كانت دعامة قوية لما حققته النهضة الغربية فيما بعد •

جهود المسلمين فى المجال العمرانى :

وفى مجال الحضارة العمرانية حقق المسلمون أهدافا عالية ، ففى التجارة عنى المسلمون بالطرق والجسور والأسواق والأمن ،

وفى الزراعة وجهوا عناية كبرى إلى الرى وإصلاح الأرض وشق الأنهار والترع والخلجان ، وقد استطاعوا بذلك أن يقيموا دورة ثلاثية للزراعة فى كثير من البلدان •

ومن أخلد ما حققه المسلمون فى نواحى العمران المنشآت البنائية العظيمة من مدن وقصور ومساجد وقلاع ومدارس ومستشفيات ، ولا يزال الكثير منها باقيا حتى اليوم ينطق بعظمة تلك الأجيال كالجامع الأموى بدمشق ، والأزهر بالقاهرة ، ومدرسة نور الدين زنكى بدمشق ، وقصر الحمراء بغرناطة وغيرها • وسنرى صورا من الحضارة التجريبية فى الجزء الثانى من هذه الموسوعة وهو عن الفكر الإسلامى •

هذا وينبغى أن نذكر أن اهتمام المسلمين بالعلم نتج عن حث القرآن الكريم على ذلك وحث الرسول عليه ، وقد وضحنا ذلك فى الجزء الخامس من هذه الموسوعة عن « التربية الإسلامية » .

الحضارة المصرية إحدى الأسس المهمة للحضارة الإسلامية :

وبعد ، لقد وُجِد من بعض الإخوة العرب مَنْ يعترض على اهتمام المصريين بالحضارة الفرعونية ، ولعل ما ذكرناه آنفا يحمل الرد على هؤلاء ، فإن الحضارة الفرعونية كانت أساسا مهما للحضارة الإسلامية التجريبية التى نفخر بها ، فالتعرف على الحضارة الفرعونية أساس ضرورى للتعرف على جذور الحضارة الإسلامية .

إن الحضارة الإسلامية التجريبية استمدت عناصرها من الحضارات الشرقية التى وُجِدت قبل الإسلام وبخاصة فى مصر التى كان لها فى هذا المجال وزنٌ ثقيلٌ .

ثم إن الإنسان نَبْتُ بيئته ، ومعنى هذا أن المصرى الحديث تسربت إليه مواهبُ أجداده ، فراح يخدم الإسلام بنفس النشاط والقدرة كما خدم أجداده عقائدهم وحضاراتهم .

ونوضح كذلك لهؤلاء المعترضين أن العالم كله يبدى إعجابا عظيما جدا بالحضارة المصرية ، ويقف المفكرون المعاصرون فى أرقى دول العالم موقف دهشة وإجلال أمام الآثار الفرعونية فى الجيزة والأقصر وأسوان ، فهل يليق أن نقف نحن من حضارة أجدادنا موقفا سلبيا ؟

إن أى معترض ذكى مخلص لو رأى توت عنخ آمون ووادى الملوك بالأقصر ووادى الملكات ، وبهو الأعمدة والكرنك ومعبد أبى سنبل وأهرام الجيزة ، ولو درس فلسفات هؤلاء الملوك العظام قبل الإسلام بعدة قرون ، لأثنى أعمق الثناء على هذا التفوق العظيم .

المسلمون فى ظل الحضارة الاسلامية

ونقرر هنا حقيقة مهمة هى أن المسلمين حققوا فى ظل الاسلام كل هذه الأنواع من الحضارات كما انتفعوا انتفاعا واسعا بالحضارة الأصيلة التى جاء بها الاســلام ، وفى ظل ذلك حققــوا ألوانا من الانتصارات العسكرية والثقافية ، وعاشت هذه الحضارات عدة قرون فى كنف الاسلام ، ولم يكن المسلمون فى حاجة لعزل الدين عن الدولة كما فعلت أوربا عندما أرادت أن تبدأ نهضتها ، اذ وجدت أن النهضة العلمية لا يمكن أن تبدأ أو تعيش فى ظل الكنيسة ، لأن الكنيسة اتجهت بعنف لمصارعة المفكرين ومقاومة كل تقدم وكل كشف علمى كما سبق القول .

وحتى بعد عزل الدين عن الدولة فى أوربا لم تتخل الكنيسة الزمام تماما ، بل بقيت تحارب بوسائلها الدينية جمهرة كبيرة من المفكرين ، فقد أصدر الفاتيكان قرارا سنة ١٩٢٩ أشرنا له من قبل ولازال معمولا به حتى الآن وهذا القرار يحرم على الكاثوليك قراءة حوالى خمسة آلاف كتاب ، منها جميع مؤلفات ميترلنك واميل زولا ، ومنها أكثر مؤلفات رينان وجان جاك روسو ، وديماس الأب ، وديماس الابن ، وديكارت ، وفيكتور هوجو ، ومنها انحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها لجيبون ، وتاريخ الأدب الانجليزى لتين وأفكار ورســائل اقليمية لباسـكال وغيرها .

أوربا تقتبس مرة أخرى من الشرق

قلنا فيما سبق ان اليونان اقتبست حضارتها قبل الميلاد من مصر والشرق ونريد هنا أن نقول ان أوربا اقتبست مرة أخرى من الشرق فى العهد الاسلامى ، فبينما كان المسلمون يعيشون فى الحضارة المزدهرة التى وصفناها آنفا كانت أوربا تعيش بين الاقطاع والحرب كما وصفنا من قبل وبدون نظم سياسية أو اقتصادية ، وبدون مدارس أو معاهد على الاطلاق ، وكان المجتمع عبارة عن قلة من السادة وجمهرة من العبيد ، وكان الصراع لا يتوقف بين السادة بعضهم والبعض ، أما العبيد فكانوا يدفعون من حرب

الى حرب ، والتقى الأوربيون بالمسلمين فى أسبانيا وفى صقلية وفى فلسطين ومصر ، وكان الأوربيون قبل هذه اللقاءات يحسبون أنهم أرفع منزلة من المسلمين ، ويعتقدون أن المسلمين متأخرون ، ولكن ما كادوا يتصلون بهم حتى زالت الغشاوة وأدركوا أن المسلمين يفوقونهم فى الحضارة الفكرية والحضارة التجريبية بمراحل متعددة ، فبدأ الأوربيون يعبثون عبثاً مما لدى المسلمين من حضارات وتقدم •

ففى أسبانيا وصقلية التحقوا بالجامعات الاسلامية فى قرطبة وغيرها ، وتلقوا من المسلمين صوراً من الفكر فى مختلف المجالات ، وأجاد الكثيرون من الطلاب الأوربيين اللغة العربية ، وافتتنوا بالفكر الذى تلقوه من أساتذتهم المسلمين ، فترجموا عدداً كبيرا من الكتب العربية للغاتهم ، وراحوا يعلمونها لذويهم عقب عودتهم لبلادهم •

أشهر المترجمين الأوربيين :

ومن أشهر المترجمين الأوربيين

John of Seville - Adlard of Bath - Gerad of Cremone - Alfonso x.

وعن طريق الحروب الصليبية التقى الأوربيون فى الشرق بالمسلمين فى حرب أحيانا وفى حالات هدنة أحيانا أخرى ؛ فرأوا ما أذهلهم من فكر حضارى ، كما رأوا صورا من العادات والأخلاق الاسلامية بهرتهم فراحوا يقتبسون منهـا •

وهكذا كانت هذه الأمكنة مراكز فكرية عرض فيها الشرق أفكاره الحضارية واقتبست أوربا من فيض هذه الحضارات •

يقول Hearnshow (1) : لقد خرج الصليبيون من ديارهم لقتال المسلمين فاذا هم جلوس عند أقدامهم يأخذون عنهم أفانين العلم والمعرفة ، لقد بهت الأوربيون أشباه الهمج عندما رأوا حضارة المسلمين التى رجحت حضارتهم رجحانا لا تصلح معه المقارنة بينهما •

---

(١) علم التاريخ ص ٦٢ من الترجمة العربية للأستاذ العبادى .

ويقول الأستاذ سديو : تكونت فيما بين القرنين التاسع والخامس عشر مجموعة من أكبر المعارف فى التاريخ لدى العرب ، وظهرت اختراعات ثمينة تشهد لهم بالنشاط الذهنى الرائع ، وجميع ذلك تأثرت به أوربا بحيث يمكن القول بأن العرب كانوا أساتذة الأوربيين فى جميع فروع المعرفة ، ولقد حاول الأوربيون أن يقللوا من شأن العرب ، ولكن الحقيقة ناصعة يشع نورها لا مفر من الاعتراف بها .

كيف انتقلت للغرب الحضارة التجريبية والحضارة الأصيلة :

لم يَسِر انتقال الحضارة الاسلامية الأصيلة فى نفس الطريق الذى انتقلت بواسطته الحضارة التجريبية ، وسنسجل فيما يلى وسائل انتقال كل من الحضارتين :

وسائل انتقال الحضارة التجريبية :

من الطبيعى أن الغرب كان أسرع استجابة للعلوم التجريبية التى يدق الدليل على صحتها كل عقل ، لأنها مادية محددة ، ولأنها لا تتنافى مع التقاليد والطبقية المنتشرة بالغرب ، بل قد تساعد الطبقات العليا وتمكن لهم فى السلطان ، فالتقدم فى الطب مثلا ينتفع به السادة أكثر مما ينتفع به العبيد ، ومثل هذا يقال عن الانتفاع بالفنون المعمارية والفلك والرياضة والموسيقى وغيرها .

ومن أجل هذا أسرع ملوك الغرب فى إرسال الطلاب للالتحاق بالجامعات الاسلامية ، لينقلوا لهم هذه المعارف ، كما قام عدد من الباحثين الغربيين الذين أجادوا اللغة العربية بترجمة كثير من العلوم التجريبية للغة اللاتينية ، وقد ذكرنا آنفا أسماء بعض هؤلاء المترجمين ،

وهكذا أسرعت أوربا لاقتباس الحضارة الاسلامية التجريبية ، وسرعان ما انتشرت هذه الحضارة بأوربا ، ومن أجل هذا يخطىء بعض الناس عندما يتكلمون عن الحضارة الاسلامية ، فيظنون أن الحضارة

التجريبية هي كل شيء في مجال الحضارة. وهي وحدها ما اقتبسه الغرب من الشرق الاسلامي ، وذلك خطأ كبير مرجعه سرعة انتقال هذه الحضارة لأوربا ووضوح وسائل نقلها .

وسائل انتقال الحضارة الأصيلة :

أما العلوم الفكرية كالاعتراف بالله واحد هو خالق الكل وسيد الكل ، وأما الاعتراف بالشورى التي جاء بها الاسلام في النظام السياسي ، والاعتراف بحق الفقير في مال الغني ، والخضوع للأخلاق التي فرضها الاسلام وتحرير العبيد ... فانها تضر السادة لحساب المحكومين ، اذ تنفع المحكوم وتقلل من سلطان الحاكم ، ومن أجل هذا قاومت الطبقات العليا هذه الاتجاهات وتباطأت في تقبلها .

ومثل هذا يقال عن حقوق المرأة ، فقد كان الرجال حريصين على أن تظل المرأة مصدر متعة فقط ، والا حقوق لها .

ولكن هذه الحضارة الأصيلة ظلت صامدة ، ودافعت عن وجودها بقوة ، فلما تمت لقاءات وحدث اختلاط بين المسلمين والغربيين في الحروب الصليبية بمصر والشام ، وبخاصة في فترات الهدنة ، تعرّف الغربيون على كنه هذه الحضارة وعظمتها ، فأخذوا يغترفون منها على الرغم من مقاومة السادة ومناهضتهم لها ، فتمرد الكثيرون منهم على القول بتعدد الآلهة ، واعتنق جماهيرهم اتجاهات الاسلام في الشورى وفي العدالة الاجتماعية ، والتقطت المرأة حقوقها ووجدت بين الرجال من يدافع عن هذه الحقوق ، وقابل عبيد الغرب أحرار الشرق في الحروب الصليبية فتمردوا على العبودية ولم يعودوا الى نطاقها بعد أن عادوا الى بلادهم ، وسرعان ما انتشرت الشورى بأوربا ، وانتشرت العدالة الاجتماعية وحقوق المرأة وغيرها من دعائم الحضارة الاسلامية الأصيلة .

* * *

ومرّ الزمن ، وجاء عهدٌ ادّعت أوربا فيه أنها مصدر الديمقراطية ، وأن الاشتراكية من صنعها وأنها تقدمها هدية للمجتمع البشرى ، كما ادعت العمل لالغاء الرق وتحرير الأرقاء ، ومنح المرأة حقوقها ••• وساعد على هذا الادعاء أن الشرق كان قد انتكس وبَعُدَ كثيرٌ من قادته عن الاسلام وروحه ، فهيأ هذا الادعاء للغرب أن يتغلب على العقول البسيطة التى لا تعرف عمق الحضارة الاسلامية ولا أبعادها •

اعترافات الغربيين

أوردنا آنفا اعترافات Bulus و Hearnshow ونضف هنا مزيدا من هذه الاعترافات :

يقول Gosiph Calmith فى اللقاءات بين المسلمين والأوربيين قدّم المسلمون عنصر التأثير والانتاج وتلقى العالم المسيحى الأثر والفكر •

ويقول العالم الفرنسى فوربيل : ان الاجماع يعزو الى العرب كلّ ما كان يبدو خليقا بالاعجاب فى الفنون والعلوم •

ويقول غوستاف لوبون [1] : اخذ الغرب عن المسلمين أخلاق الفروسية واحترام المرأة ، واذن فليست المسيحية كما يظن بعض الناس فى الغرب هى التى أنصفت المرأة بل الاسلام • ومع هذا فان استفادة الصليبيين من علوم العرب كانت أقل مما يجب ، ويعلل ذلك بقوله : ان الجيوش الصليبية **كانت جاهلة ، ولم تكن تبالى بالمعارف ، ومن أجل هذا كانت عنايتها أكثر فى ميدان البناء والعمران والصناعة أكثر منها فى ميدان الفكر والفن •**

ويقول أناتول فرانس : ان أشـــأم يوم فى التاريخ هو يوم معركة بواتيه فى فرنسا حين تقهقرت العلوم والفنون والحضارة الاسلامية أمام بربرية الفرنجـــة •

(١) حضارة العرب ص ٣٣٨

ويقول Kirk [(١)] : ان للحروب الصليبية أهمية لا تقدر فى تاريخ الثقافة بأوربا ، بسبب ما كان لها من عظيم الأثر فى تفتيح أذهان الناس الى مستوى الحضارة فى الشرق الأوسط ، ذلك المستوى الذى كان يفوق حضارة الغرب بكثير ، ولم تفيد بلاد شرق البحر المتوسط من معارك الصليبيين شيئا يذكر اللهم إلا فى بعض المنشآت والخطط الحربية .

ويقرر Emerton [(٢)] ان الثقافة التى حصل عليها الصليبيون من المسلمين انتزعت الصليبيين من الحياة البربرية ودفعتهم قدما الى عالم الحضارة ، وكان الأوربيون يسمعون من القسس أشياء كثيرة عن المسلمين ، ولكن هاهم المسلمون أصبحوا فى مرأى العين بالنسبة للصليبيين ، فوجدوا فيهم انسانية عالية ، وشرفا وشجاعة ، ووفاء بالوعد ، وغير ذلك من الصفات التى لم يكونوا يسمعون بها وهم فى ديارهم ، وقد ساعد ذلك على تكوين الناحية الانسانية فى الأوربيين ، ولم تكن هذه الناحية من قبل ذات بال عندهم .

ويقول الدكتور فيليب حتى [(٣)] : ان الفرنجة تأثروا كثيرا بجيرانهم المسلمين فى اللباس ، فقد أقلعوا عن لباسهم الأوربى وتعلقوا بالأزياء الشرقية التى كانت أدعى الى الراحة ، واكتسبوا شيئا من الذوق الشرقى فى الأطعمة والأغذية ، وآثروا لسكناهم البيوت الشرقية الطراز .

ويقول Richard Coke [(٤)] : ان أوربا لتدين بالشىء الكثير لأسبانيا العربية فلقد كانت قرطبة سراجا وهاجا للعلم والمدنية فى فترة كانت عواصم أوربا خلالها لا تزال ترزح تحت وطأة القذارة والبدائية ، وقد

(١) A short History of the Middle East p. 71.

(٢) Midiaeval Europe p. 393.

(٣) History of the Arabs p. 781.

(٤) The City of Peace.

هيأ الحكم الاسلامى لأسبانيا مكانة جعلها الدولة الوحيدة فى أوربا التى أفلتت من عصور الظلام

ويقول Gourge Sarton : حقق المسلمون عباقرة الشرق أعظم المآثر فى القرون الوسطى ، وكانت اللغة العربية أعظم اللغات خلال هـذه العصور فلقد كتبت بها المؤلفات القيمة غزيرة المادة شديدة الأصالة ، وكان على أى باحث يريد أن يلم بثقافة العصر أن يتعلم اللغة العربية ، وقد فعل ذلك كثيرون من غير العرب (١) .

ويقول ليبرى : لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتأخرت نهضة أوربا الثقافية عدة قرون (٢) .

محطات إرسال :

ويتحدث أرنولد توينبى عن جوانب الحضارة التى اقتبسها الغرب من المسلمين ، فيبرز مجال القيم فى الحروب التى لم يكن الغرب يعرفها ، ويبرز الأخيلة الفنية فى الشعر ، وطراز الأبنية ، ولكنه يعطى مزيداً من الاهتمام للاقتباس الفكرى ، فيقول :

وفى عالم الفكر كانت فتوحات الصليبيين المؤقتة فى الشام ، وفتوحاتهم الدائمة فى صقلية والأندلس **محطات إرسال متعددة** أمكن عن طريقها نقل كنوز عالم الشرق المتحضر إلى العالم المسيحى الغربى ، وفى مقدمة ما نقله الغرب التسامح الدينى والعلوم الانسانية التى أسرت قلوب الغربيين ، ولم يستطع الغرب أن يهضم كل ما كان لدى الشرق من قيم ونظم (٣) .

---

(١) نقلا عن حضارة الاسلام للدكتور جلال مظهر .

(٢) نقلا عن حضارة الاسلام للدكتور جلال مظهر .

(٣) حضارة الاسلام فى دراسة توينبى التاريخ للأستاذ فؤاد محمد شبل ص ٤٦ وما بعدها .

أشعة مهمة من الحضارة الاسلامية

هذه الحضارة الاسلامية التى تدارسناها بايجاز والتى سنتدارسها بالتفصيل فى الأجزاء التالية من موسوعة الحضارة الاسلامية ، لها جوانب مضيئة وأشعة خلاقة لهداية الانسان فى حياته ، وينبغى ابرازها هنا حتى نزيل لبسا قد يقع فيه الانسان أو خديعة قد تنصبها لبنى الانسان مواهب الأذكياء أو مدعو الذكاء ، ولعلنا بذلك نحمى الناس من اللبس أو الخديعة ، ونوفر على الأذكياء أو مدعى الذكاء محاولاتهم :

أولا ــ الحضارة الاسلامية هى هبة الاسلام لهداية البشرية :

ان المتتبع لجوانب الحضارة الاسلامية يدرك أنها جاءت لخدمة الجنس البشرى كله ، فهى ترسم فى مجالات السياسة والاقتصاد والحياة الاجتماعية وغيرها أوضح طريق لسعادة الناس على اختلاف عقائدهم وأديانهم ، ثم إن بعض جوانب هذه الحضارة وهو جانب الحضارة التجريبية كالطب والرياضة والفلك والموسيقى قد أسهم غير المسلمين فى تطويره بقسط كبير ومن هؤلاء جورجيس بن بختيشوع (٧٧١م) وابنه بختيشوع بن جورجيس (٨٠١م) وجبريل تلميذ بختيشوع (٨٠٦م) ، ويوحنا بن ماسويه (٨٥٧م تقريبا) وحنين بن اسحق (٨٧٣ م) ، وقد عمل هؤلاء فى الترجمة بتشجيع الخليفة المسلم ورعايته ، وأصبح الأخيران بالتوالى رئيسين لبيت الحكمة فى عهد المأمون .

وكانت محاضرات الحضارة الاسلامية تلقى علينا بجامعتى لندن وكمبردج وكان الطلاب يتبعون ديانات مختلفة ، وطالما كانت هذه الحضارة تلاقى فى نفوس الطلاب كل اعجاب وتقدير .

ثم اننا رأينا أن الحضارة الاسلامية انتقلت من العالم الاسلامى الى الهند والصين وأوربا ، ثم من أوربا الى العالم كله ، وأسهمت بنصيب كبير فى خلق ما يعرف بعصر النهضة .

ثانيا ــ هدف الحضارة بقسميها إسعاد الانسان :

يتضح من الدراسة السابقة شيء مهم هو أن هدف الحضـــارة الأصيلة والتجريبية اسعاد الانسان فالسياسة والاقتصاد والنظم الاجتماعية و ٠٠٠ والطب والهندسة ٠٠٠٠ ترمى كلها لرفع شأن الانسان وتقديم مستلزماته ، والقرآن الكريم يقرر هذه الحقيقة مؤكداً أن الانسان أهم ما خلق الله فى الكون ، وأن الله سخر له باقى المخلوقات ٠ قال تعالى :

ــ ولقد كرمنا بنى آدم [١] ٠

ــ وجعلكم خلفاء الأرض [٢] ٠

ــ وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره ٠ وسخر لكم الأنهار ، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار [٣] ٠

ــ ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة [٤] ٠

وعلى هذا فالدولة عندما تقيم مصانع أو تعنى بالمزارع ٠٠٠ فان ذلك نوع من العناية بالانســـان ويجب أن يكون الانســـان أول ما تعنى به ، ولا فائدة من أى شيء اذا كان الانسان محروماً من حقوقه ومن الاستمتاع المباح بهذا التقدم ٠

وقد كتب أحدهم مرة يقول عن جمال عبد الناصر ان له مآثر كبيرة فى حياة المصريين والعرب ، وهذه ترجح ما أنزله من تعذيب بحوالى عشرين ألف شخص ، ولست هنا أناقش مآثر عبد الناصر ، ولكنى أقول أن تعذيب شخص واحد ظلما ، يفوق كل اصلاح ويقضى على كل تقدم على فرض

(١) سورة الاسراء ، الآية ٧٠ ٠
(٢) سورة النمل ، الآية ٦٢ ٠
(٣) سورة ابراهيم ، الآية ٣٢ ٠
(٤) سورة لقمان ، الآية ٢٠ ٠

حدوثه • ان الانسان يجب أن يكون هو الذى توجه له العناية قبل كل شىء ومع كل شىء ، ولا فائدة فى الاصلاح اذا لم يكن لخدمة الانسان •

وهذه الكلمات تكتب عقب عودة سيناء الكاملة لمصر فى ١٩٨٢/٤/٢٥ وقد رأيت فرح المصريين بهذه المناسبة وفرحت معهم ، ولكنى كنت دائما أقول ان فرحنا يتضاعف عندما نهتم بالانسان فى سيناء وفى القاهرة وفى كل ركن من أركان البلاد •

ثالثا ــ السياسة هى المسيطرة والموجهة والمسئولة عن كل الشئون :

يقول الرسول الله عليه وسلم « صنفان من أمتى اذا صلحا صلح الناس واذا فسدا فسد الناس : العلماء والأمراء » ونستطيع بادىء ذى بدء أن نقرر أن الأمراء بالعالم الاسلامى قضوا على نفوذ العلماء منذ أمد طويل بوسائل متعددة ، فأصبح العلماء بين معزول عن الحياة أو سائر فى ركاب الحاكم ، وعلى هذا أصبح ولى الأمر هو وحده المسئول عن كل الشــئون •

وطالمـا انتقدنا هزيمة فى موقعة حربية ، ولكن الضابط المشرف على المعركة يصرخ فينا بأن المعركة كانت تعليمات سياســية دون استشارة العسكريين ، وطالمـا انتقدنا نظما تعليمية ولكن وزير التعليم يقول ان هذه النظم سياسة الدولة ، وليس على وزارة التعليم الا التنفيذ ، وهكذا •

ومثل هذا يقال عن فشل الاقتصاد والحياة الاجتماعية وغيرها من المؤسسات والنظم •

وقد استمعت منذ فترة قصيرة لحديث بالتليفزيون ألقــاه الدكتور عبد المنعم القيسونى الذى كان وزيرا للمالية والاقتصاد فى عهد عبد الناصر وفيه قال إنه فوجىء بتأميم قناة السويس وكانت أرصدتنا مودعة فى بنوك انجلترا وفرنسا وكان يدرك أن الدولتين ستجمدان هذه الأرصدة ولكن لم يكن عنده وقت يستطيع فيه أن يحول هذه الأرصدة من هاتين الدولتين •

وقال انه فوجىء كذلك بحرب اليمن والتزاماتها الخطيرة كما فوجىء بأن رئيس الدولة قرر مساعدة الكونغو عسكريا .. وكل هذا دمر الاقتصاد المصرى والمسئول هو ولى الأمر .

ولذلك نريد أن نؤكد أنه فى عالمنا الذى يدار بكلمة الرئيس يعتبر هو المسئول أمام كل فشل فى أية ناحية من نواحى الحياة .

ومسئولية ولى الأمر يقررها الرسول صلوات الله عليه فى خطابه لهرقل الذى دعاه به الى الاسلام حيث قال له : أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فان توليت فعليك اثم من عندك .

فالرسول يقرر ان اسلام هرقل له حسنتان حسنة لإسلامه وحسنة لإسلام أتباعه ، وعصيان هرقل عليه ذنبان ، ذنب على نفسه وذنب بسبب قومه . وليت ولاة الأمور يعرفون ذلك .

على أننا ينبغى أن نذكر أن العصابة التى تحيط بالدكتاتور والتى تصفق لكل أعماله وتزين له الانفراد بالسلطة مسئولة معه أمام الله وأمام الناس .

رابعا — الشورى فى الاسلام هى الشورى الحقيقية :

لقد ذكرنا أن الاسلام قدم الشورى للمجتمع البشرى لتكون الوسيلة لاتخاذ القرار ، وأصبحت كلمة الشورى بعد ذلك كلمة ضرورية فى جميع النظم حتى النظم التى تكره الشورى وتتجه للاستبداد ، فمثل هذه النظم تستعمل الكلمة أيضا ولكن فى غير مدلولها . فكل دولة فى الشرق أو الغرب تسمى نفسها ديمقراطية ، بل ان الدول الاستبدادية أكثر حرصا على استعمال هذه الكلمة من الدول التى تتجه حقا للحياة الديمقراطية .

وما أبشع ما نعرف عن سرقة الأصوات فى الانتخابات أو الاستفتاءات ولكن العمى يصيب المستبد فيخيل اليه أنه يحب الشورى ويعمل لها ، وفى دنيا العرب والمسلمين مجالس ولكن لا أرى لها ، وهى تمثل أقليات هزيلة فى الشعب ولكنها تستبد بمقدراته .

والعجيب أن وزارة الداخلية التى تعد مسئولة عن الأمن والمحافظ على الأموال والأعراض هى التى ترتكب وزر تزييف الانتخابات والاستفتاءات فتصبح المسألة كما يقول المثل العامى « حاميها حراميها» ونقول لهؤلاء فى كل مكان ان سرقة الأصوات أبشع من سرقة الأموال ولعلهم يفهمون •

وفى الهند مجلس لاجراء الانتخابات فى كل خطواتها ، وأعضاؤه مستقلون تماما ، وليس من حق الحكومة أن تعزل أى عضو فيه أو تعين عضوا ، بل يتولى المجلس نفسه ذلك ، وقد أجرى هذا المجلس الانتخابات فى عهد انديرا غاندى فرسبت فيها ، وأجراها فى عهد أعدائها فنجحت وعادت للحكم • ليتنا فى البلاد العربية والاسلامية نتعلم هذه المثل الطيبة •

خامسا ــ الديمقراطية لها معنى واحد :

كلمة ديمقراطية هى الكلمة المستعملة دوليا للدلالة على الشورى وهذه الكلمة مركبة من كلمتين يونانيتين : ديموس (أى الشعب) وكراتوس (أى الحكومة) ومعناها : حكومة الشعب للشعب ، وطبيعتها أن تمثل الحكومة غالبية الشعب ، فالشعب يختار ممثليه طبقا لأحزاب أو تجمعات مختلفة ، والحزب الذى يحصل على غالبية الأصوات يكون الحكومة التى تقوم بالتنفيذ ، وممثلو الشعب يكونون السلطة التشريعية •

وليس هناك معنى آخر للديمقراطية ، الا ما يخطر ببال بعض المستبدين من معان زائفة فيتصدرونها بين سخط الناس وسخريتهم فبعض هؤلاء المستبدين يرى أن الديمقراطية هى رغيف الخبز ، وتوفير الطعام ، وبعضهم يرى أن الديمقراطية هى تعيين الخريجين أو تعيين المجالس ، وتلك معان ساذجة ان دلت على شىء ، فانما تدل على الجهل والاستبداد ، ان الديمقراطية لها معنى واحد هو حكم الشعب لصالح الشعب ، وعلى الذين يكرهون هذا المعنى ألا يتمسحوا فى هذه الكلمة وأن تكون فيهم الشجاعة التى تدفعهم لاعلان أنهم مستبدون •

سادسا — دين متطور ، كيف ؟ :

يقول المفكرون المسلمون دائما : ان الاسلام دين كل زمان ومكان ، وإنه متطور ليناسب الزمان والمكان ، وهذا يدعونا أن نشرح قضية التطور وموقف الاسلام منها •

و فى تقديرى أن موقف الاسلام من التطور يندرج تحت ثلاثة أنواع :

النوع الأول :

أشياء صالحة لكل زمان ومكان ، وهذه جاءت مفصلة فى التشريع الاسلامى • وهى متطورة بذاتها ، لا تحتاج الى مزيد من التطور مهما اختلف الزمان والمكان ، وذلك مثل نظام الميراث فقد عبر ذلك النظام القرون تلو القرون ، وعبر من قطر الى قطر ومن قارة الى قارة ، وهو مناسب لكل البشر فى كل العصور دون أية حاجة لأى نوع من التعديل ، ومثله كذلك المحرمات فى الزواج والحضانة وغيرها من الأمور ، فسبحان الله المشرع العظيم •

النوع الثانى

أشياء وضع الاسلام لها اطاراً خاصاً ويمكن أن تتطور فى مجال هذا الاطار ، ومثال ذلك الشورى التى ألزم الاسلام أن يقوم الحكم فى نطاقها ، ولكن يمكن تطوير الشورى بحسب الزمان والمكان ، فهل تكون بمجلس واحد ، أو بمجلسين ؟ وهل تكون بممثلين عن المناطق المختلفة فى البلدان ؟ أو بممثلين عن نوع العمل كالنقابات ؟ ، وما طريقة الاختيار والانتخاب ؟ وما المدة التى يبقى هؤلاء الممثلون يباشرون أعمالهم قبل أن يعاد الانتخاب والاختيار ؟ ومثل الشورى كذلك الملابس ، فالاسلام قد حدد العورة التى يجب أن تغطى ، وهى فى الرجل من السرة الى الركبة عند الامام الشافعى وهى فى المرأة جميع جسمها الا الوجه والكفين على رأى الجمهور ولا يجوز للرجال لبس الحرير • ذلك هو النطاق الــذى

وضعه الاسلام للملابس ، وفى هذا الاطار يكون التطور فيلبس القطن أو الصوف ، أو الحرير للمرأة ، ويكون جلبابا أو بذلة أو جبة وقفطانا ...

وتدخل الحدود فى هذا النوع ، فقطع اليد هو حد السرقة ، ولكن ما النصاب الذى تقطع فيه اليد ، وما الشبهات التى تمنع القطع كسرقة الولد من أبيه ، وهل يراعى البلوغ (١٤ سنة تقريبا) أو الرشد (٢١ سنة) ؟ وماذا عن الظروف الاقتصادية الخاصة بالسارق أو العامة عند المجاعات ...

كل هذه الأشياء يجب على الباحثين دراستها حتى يمكن تنفيذ الحدود الاسلامية •

النوع الثالث :

تركه الاسلام مطلقا لتتم فيه كل اتجاهات التطور لخدمة البشرية وذلك كالزراعة والصناعة ووسائل النقل والتجارة ، فليس هناك ما يحكم هذه الأعمال الا الطابع العام بحيث لا يوجد ربا فى المعاملات وألا تتجه الصناعة للتدمير ، أو لصناعة المحرمات وهكذا •

سابعا ـ مجانية التعليم بريق كاذب :

قلنا ان الاسلام فتح الباب لكل الناس ليرتشفوا من العلم وكان قبل الاسلام خاصا بالكهنة ، وانتشر هذا التفكير ففتحت المدارس للجميع فى العالم كله ، وسار العالم الاسلامى فى هذا المضمار ولكن مسيرته كانت عرجاء ، ففى أكثر العالم الاسلامى أمية مخجلة واسعة الانتشار ، وهى للأسف تصل فى مصر الى ٥٨٪ من عدد الذين يلزم أن ينالوا العلم ، وفى وسط هذا العيب الخطير نجد فى مصر اثنتى عشرة جامعة ومئات من الكليات ، يلتحق بها كثيرا طلاب لا يصل مستواهم الى المستوى الجامعى ، وكان على هؤلاء أن يوجهوا الى الحرف والأعمال الفنية ، وأن تبقى الجامعات للأفذاذ ، وقد وضع الامام الغزالى قاعدة مهمة لتكافؤ الفرص

فى التعليم نصها : ليس الظلم فى اعطاء العلم لغير المستحق باقل من الظلم فى منع المستحق [١] . فيجب ألا يحرم أحد من التعليم الابتدائى حتى يعرف القراءة والكتابة ومبادىء العلوم ، ثم يتجه الى العلم أو الحرفة حسب استعداده وتكوينه ، فليس كل واحد يصلح لتعلم العلوم [٢]

ومن تجربتى كأستاذ فى جامعة القاهرة أقرر أن آلافا من الطلاب الذين يجلسون أمامى بالجامعة كان أجدر بهم وأنفع لهم وللوطن لو اتجهوا الى الزراعة والصناعة بأنواعها .

وبمناسبة الحديث عن مجانية التعليم فى مصر أقرر أن هذا قرار زائف ، فأهالى التلاميذ يدفعون الآن للدروس الخاصة أضعاف ما كانوا يتحملون قبل مجانية التعليم ، ولا يوجد بيت الا والدروس الخاصة تغزوه ، مما نقل نشاط التعليم من المدارس الى المنازل ، وأصبح أولياء الأمور يديرون مدارس فى بيوتهم .

وبسبب تكدس الطلاب فى الجامعات وتكدس الموظفين فى المكاتب ظهرت فى مصر مشكلة نقص العمالة ، ومن العجيب أننا أصبحنا نستورد عمالا من كوريا أو فيتنام ، وفى نفس الوقت ننادى بتنظيم النسل لازدياد تعدادنا من حين الى آخر ازديادا خطيرا .

انها معادلة صعبة أن نشكو كثرة العدد من جانب وقلة العمالة من جانب آخر والحل لهذه المعادلة موجود فى يد وزارة التعليم أو فى يد ولى الأمر الذى يتباهى بالزيف فى قضية مجانية التعليم .

هذا وهناك أمية خطيرة محجبة هى التى نسميها « الأمية الفكرية » فآلاف ممن يعرفون القراءة والكتابة لا يستعملون هذه المعرفة فيما يرفع شأنهم الثقافى ، وذلك نوع خطير من الأمية يتحتم أن نعرف الطريق لعلاجه .

---

(١) الاحياء ج ١ ، ص ٤٧ .

(٢) أبو يحيى الانصارى : اللؤلؤ النظيم فى روم التعليم ، ص ٥ .

وأخيرا فليس العلم هو ما فى المدارس فقط فالصناعات أنواع من المهارات والثقافات والعلوم لا يستغنى عنها مجتمع يتطلع الى النجاح .

ثامنا — اللامبـــالاة :

من الأمراض المنتشرة فى العالم الاسلامى مرض يسمونه « اللامبالاة » وهو مرض يرمى به كثير من السكان لأنهم لا يهتمون بسير الأمور فى بلادهم ، ولا بالتطور الحضارى فيها . وهذا المرض موجود فعلا ، ولكن ولاة الأمور هم الذين زرعوه ، لأن ولاة الأمور عاقبوا بعنف من يعترض على شىء ، أو يبدى رغبة ضد رغبة ولاة الأمور ، وأكبر دليل على أن « المبالاة » بل الحماسة موجودة أن ولاة الأمور فى العالم الاسلامى وجهوا الناس الى الاهتمام بكرة القدم ، وخصصوا لذلك صفحات من الصحف اليومية وساعات من الاذاعة المسموعة والمرئية ، فاهتم الناس بكرة القدم وتعصبوا لها ومنحوها أكثر جدا مما تستحقه من عناية .

ان اللامبالاة شىء زرعه ولاة الأمور الذين يميلون الى الاستبداد ويخالفون الرأى المخالف لرأيهم .

لماذا انتكس المسلمون بعد نهضتهم

رأينا المسلمين يهتمون بالحضارة الأصيلة والحضارة التجريبية ، ويصبحون كعبة التقدم فى العالم ، فلماذا تراجعوا عقب ذلك ؟

الاجابة عن هذا السؤال تندرج تحت سببين :

١ ـ سبب سياسى هو أن الحروب الصليبية دارت فى أرضنا مدة قرنين تقريبا . وقد انتصرنا فيها فى النهاية ، ولكنها تركت بأرضنا صورا من الدمار والانهيار ، وقد دعت الحروب الصليبية الى جلب كثيرون من المماليك فى أواخر الدولة الأيوبية ، وقد استطاع هؤلاء أن يقفزوا الى السلطة ، ولم يكن لأكثرهم فكر يسمح لهم أن يقودوا البلاد بحكمة وبخاصة فى وقت احتاجت فيه البلاد الى التشييد والتعمير بعد الانتصار ، فازدادت البلاد تخلفا ، وعندما كان المماليك يتولون السلطة فى مصر والشام كان المغول يتولون السلطة فى العراق وفى أكثر البلاد الواقعة الى الشرق منه ، وقد مثل هؤلاء دور التخلف الذى مثله المماليك فى مصر والشام ، وجاء العثمانيون بعد المماليك فى أكثر بلدان العالم العربى . ولم تكن لهم كفاءة ليعيدوا مجد الاسلام ، ثم ان حروبا صليبية طاحنة قامت ضد العثمانيين وقوضت امبراطوريتهم . وأسلم الأتراك البلاد العربية الى الاستعمار الأوربى الذى أكمل الشوط فى النيل من الاسلام والمسلمين .

٢ ـ وسبب فكرى أدى الى هذا التخلف ويمكن أن يقال انه ناتج عن الاضطراب السياسى ، فقد حدث فى وسط هذا الظلام ، أن المسلمين بعدوا عن الخط الصحيح الذى رسمه لهم الاسلام ، وانحرفوا بدينهم وعقيدتهم فى كثير من الأحوال ، وتركوا أمور الدنيا ، مع أن الله حثهم على العمل بها بجد ، وكذلك حثهم الرسول ، قال تعالى : « ... فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله » (١) وقال

(١) سورة الجمعة ، الآية العاشرة .

« وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا »[١]
وقال « اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله .. »[٢] .

وقال عليه السلام : أنتم أعلم بشئون دنياكم ، وقال : المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف .

وفى حين ترك المسلمون أمور الدنيا اهتموا بالبحث فى العقيدة والتشريع فاختلفوا الى فرق ومذاهب شتى وحارب بعضهم بعضا .

وأصبح هناك أى شاب مهما كان ضحل الثقافة يرى رأيا يعتقد أنه هو الرأى الصواب ولا صواب سواه ، وهناك جماعات ركزوا على قضية اسلامية كتربية اللحية مثلا ثم نسوا كل الآداب والأفكار الاسلامية فلا يتكلمون عن الغيبة والرشوة ، وإنما كل تركيزهم فى إطلاق اللحية .

أما الأوربيون فقد التقطوا ابتكارات المسلمين وتطوروا بها لدرجة عظيمة ، ولم يكن للغربيين عقيدة يهتمون بها ، فقد فصل الدين عن الدولة فاتجه علماء الغرب بكل طاقاتهم الى تطوير شئون الدنيا ونجحوا فى ذلك نجاحا كبيرا .

هل نتمنى أن نكون كالغرب فننصرف عن العقيدة والتشريع الى أعمال الدنيا ؟ .

بعض الناس يعجبه هذا الاتجـاه ويتمناه ، ولكن هذا خطأ كبير ، فالمدنية بدون دين وأخلاق تدمر أكثر مما تبنى ، تهدد العالم بالفناء وتتركه قبل الفناء يعيش فى خوف ووجل ، مئات الملايين من الجنيهات كان يمكن أن تسـعد البشر ، ولكنها بدلا من ذلك تنفق لإنتاج القنابل الذرية والهيدروجينية التى تعد للقضاء على البشر ، وكل ذلك لأن هذه المدنية ملحدة ،

---

(١) سورة القصص ، الآية ٧٦ .
(٢) سورة التوبة ، الآية ١٠٥ .

مدنية بُنيت على نظام اقتصادى بحت ، فأباحت للانسان أن يقتل الانسان ، وأن يستعمر أرضه ، ويذل أصحاب الأرض ، ويُجيعهم ، ليحصل على ما عندهم من ثروات ، وكل ذلك لأن هذه المدنية لم يدخلها عنصر الأخلاق ولا عنصر الايمان ، وهى لذلك سراب يضىء ولكنه ضوء خداع ٠

والطريق الحق لخير الانسانية أن ينمو العلم فى جو أخلاقى روحى حتى يمكن أن يكون وسيلة لإسعاد البشر ، ان نهضة العالم جاءت على يد الاسلام ، وعلى يد الاسلام أيضاً لابد أن تتجدد النهضة المرتقبة التى ترعى شئون الدنيا وتسير فى ضوء الدين ، فان الضعف الذى وصل المسلمون اليه لم يكن بسبب الدين ، ولكنه كان بسبب البعد عن الدين ٠

والطريق السريع أن نبدأ حالا فى تصحيح أنفسنا ، نقبل عقيدة الاسلام فى جمالها ويسرها ، ونتبع التشريع الاسلامى فى دقته ، على أن ندخل تعديلا سريعا فى مناهج الكليات والمعاهد بأن ندخل العلوم المهمة مثل مقارنة الأديان والحضارة الاسلامية ونصحح العلوم الإسلامية الأخرى ، وفى الوقت نفسه نتجه الى الدنيا لنعمر ونشيد ولنعمل لترقية الحياة بكل أساليبها متتبعين فى ذلك أخلاق الإسلام التى تحارب الرشوة ، وتحارب الكسل ، وتحارب الأنانية ، وتحث على الجد وعلى الحب والتعاون ٠

* * *

أمل فى المستقبل :

فاذا نحن فعلنا ذلك أبرزنا حقيقة يقوم بعض الجدل حولها أحيانا ، وهى أن الاسلام دين الرقى والمدنية ، ودين كل زمان ومكان ، وملاذ البشرية الوحيد ، وسط الصراع الذى يشدها الى اليمين أو اليسار ، الى الرجعية أو الانحلال ٠

ولعل Gourge Sarton : كان يتنبأ بذلك عندما عدد مرات التفوق العربى في الماضى وتطلع الى دور جديد من تفوقهم فى المستقبل ، استمع اليه يقـول :

سبق للعرب أن قادوا العالم فى مرحلتين طويلتين من مراحل التقدم الانسانى ، استمرت الأولى طوال ألفى سنة على الأقل قبل أيام اليونان ، وعاشت الثانية طوال أربعة قرون تقريبا خلال العصور الوسطى ، وليس ثمة ما يمنع هذه الشعوب من أن تقود العالم مرة أخرى فى المستقبل القريب أو البعيد .»

تلك لمحة سريعة عن الحضارة الاسلامية ، أصولها وآثارها ، وهذه اللمحة ليست بطبيعة الحال شاملة ولا كافية ، وكل ما يرجى منها أن تفتح الطريق للقارىء ليطلع على أفانين هذه الحضـارة واتجاهاتها فى هـذه الموسوعة (موسـوعة الحضارة الاسـلامية) وليحاول أن يجعل من هذه الحضارة فى المستقبل دعامة رقى كما كانت عبر العصور فى الشرق والغـرب .

برنامـج شـامل

والآن نريد أن نصرخ صرخة حق نتعجل بها ما يبدو أنه سيحدث قطعا فى المستقبل ، فمن الواضح أن الحضارة الاسلامية ثروة فكرية هائلة ، وقد أهملها الباحثون فترة طويلة من الزمن حتى اختفت أو كادت [1] ، وبدا ما يدرس منها باهتا ضئيلا ، واتجه الاهتمام الى الفروض والتفاصيل فى العبادات مع أن الاسلام دين الدنيا والآخرة ، ومع أن الحضـارة الاسلامية هى التى تبرز ما قدمه الاسلام من خير للمجتمع البشرى ، ومن

(١) سنوضح فيما بعد بهذا الكتاب « تاريخ المناهج الاسلامية » الظروف التى جعلت علم الحضارة الاسلامية يختفى مع انه كان من أهم العلوم فى صدر الاسـلام .

أجل هذا نهيب بالباحثين والمسئولين أن يهتموا بهذه الحضارة ونقترح التخطيط التالى لذلك :

أولا : تصبح الحضارة الاسلامية بكل جوانبها سياسية واقتصادية واجتماعية ... علما مهما بكل الكليات الاسلامية وكليات الآداب وما شابههما ، وأن يعمل الباحثون دائما على اثراء الدراسات عن الحضارة الاسلامية ، ويشرفنى أننى بدأت هذه الجولة فألفت فى هذه الحضارة موسوعة من عشرة مجلدات .

وكذلك تصبح الحضارة الاسلامية مادة أولى فى المعاهد التى تعد الدبلوماسيين المسلمين ورجال الإعلام ، وتعد موظفى العلاقات العامة حتى يستطيع هذا وذاك فى هذه المواقع الخطيرة أن يعرف بالإسلام ويتحدث عنه .

ثانيا : يقدم موجز سريع عن الحضارة الإسلامية كلها للطلبة فى الكليات الأخرى كالطب والهندسة والزراعة والتجارة وغيرها ، ومع هذا الموجز يقدم من الحضارة الإسلامية جانب تفصيلى هو ما يرتبط بكل كلية على حدة كما يلى :

(أ) يصبح النهج الاسلامى فى شئون السياسة والحكم مادة مهمة فى كليات العلوم السياسية ، ومن العيب أن ندرس المذاهب المختلفة بهذه الكليات بما فى ذلك المذاهب الهدامة كالنازية أو الفاشية ، وأن يتجاهل الأساتذة ويجهل الطلاب ما قدمه الاسلام من فكر رائع فى مجال السياسة ، ذلك الفكر الذى أقام ويمكن أن يقيم حكما على أسمى الأسس وأنفعها للمجتمع الانسانى .

(ب) يصبح المنهج الاقتصادى الاسلامى مادة رئيسية بكل كليات التجارة والاقتصاد ، ومن العيب ان ندرس فى هذه الكليات النظريات الاقتصادية حتى تلك التى اتضح فشلها كالشيوعية ، ونتجاهل النهج الاسلامى الذى قام على أساسه يوما ما مجتمع سليم متعاون ناجح .

(جـ) تصبح التربية الاسلامية مادة رئيسية بكل كليات التربية ومعاهدها ، وكفى ذلك الزمن الذى مر وكانت العناية فيه توجه لدراسة التربية الاغريقية والانجليزية ••• دون أن نتعرف على التربية الاسلامية التى أنامت عالما من المعرفة فى وقت كان الآخرون لا يكتبون أسماءهم •

(د) تصبح الحياة الاجتماعية فى الفكر الاسلامى مادة رئيسية بكل معاهد الخدمة الاجتماعية ، فان ذلك سيقدم للطالب ثروة هائلة فى مجال تخصصه عن الأسرة والمجتمع •

(هـ) يصبح نهج الاسلام فى العلاقات الدولية مادة مهمة فى كل الكليات العسكرية وكليات القانون والحقوق بالعالم الاسلامى ، فهذه الدراسة ستقدم للطالب المسلم نهجا رائعا يضمن له خير الدنيا والآخرة فى مجال العلاقات بين الدول الإسلامية والدول غير الإسلامية •

(و) تصبح النظم القضائية فى الاسلام بما فى ذلك الحسبة والنظر فى المظالم مادة رئيسية فى كليات الحقوق والقانون والشرطة ، ولا شك أن الفكر الاسلامى فى هذا المجال وضع أسسا سامية لا يزال العالم يقتبس منها حتى اليوم •

ثالثا : أشرنا من قبل إلى أن المسلمين قاموا بدور عظيم فى الحضارة التجريبية ، فقد أنقذوا تراث الحضارات القديمة ، وكان هذا التراث على وشك أن يضيع فى ظلام العصور الوسطى ، ثم ترجموا هذا التراث الى اللغة العربية وراحوا يتدارسونه ويضيفون اليه ويبتكرون حوله ابتكارات عظيمة فى مختلف العلوم ، وعلى هذا يبدو واضحا لكل باحث فى الطب والعلوم ، كيف كان الغرب والعالم كله تلاميذ للمسلمين فيها •

ومن أجل هذا ينبغى أن يتعرف طلاب الكليات العملية بالبلاد الاسلامية على جهود المسلمين فى هذه الدراسات وأن يتعرفوا على الأسماء

اللامعة التى يمكن القول إن الطلاب الغربيين يعرفون عنها أكثر مما يعرف الطلاب المسلمون ، مثل :

١ ــ فى الطب والصيدلة : الرازى ، على بن العباس ، الزهاوى ، ابن رشد ، ابن سينا ، ابن زهر .

٢ ــ فى العلوم : جابر بن حيان ، الرازى ، الكندى ، ابن الهيثم .

٣ ــ فى الرياضة : عمر الخيام ، الخوارزمى ، الخازن ، جابر .

٤ ــ فى الفلك : الفزارى ، البيرونى ، البتانى .

٥ ــ فى الموسيقى : سعيد بن مسجع ، ابن محـــرز ، الموصلى ، اخوان الصفا ، ابن باجه ، الطوسى .

٦ ــ فى الجغرافيا : المقدسى ، الاصطخرى ، الزرقالى ، الأدريسى .

٧ ــ فى علم الاجتماع : ابن خـــلدون .

وفى كلمة موجزة نذكر أننا فى مجال العلوم الانسانية تركنا تراثنا الرفيع ، ورحنا نقتبس مما لدى الآخرين ، وربما كان ذلك ممكنا فى عهد ضعف المسلمين ، لأن المغلوب يحاول دائما أن يقلد الغالب ، أما الآن فقد استعدنا الكثير من قوتنا ، وعلينا أن نتعرف على تراثنا ، وحضارتنا ، ونعيد إلى الحياة تلك القوة الهائلة التى طمسها الجهل عبر السنين .

تلك كلمة موجزة عن الحضارة الاسلامية الأصيلة ، حضارة الخـلق والابداع والابتكار وكذلك عن الحضارة التجريبية ، حضارة البعث ، والإحياء وسنفصل القول فيهـا فى الأجـزاء التـالية من موسـوعة الحضـارة الاسلامية ان شاء الله .

النظم والحضارة

شرحنا آنفا اتجاهى الحضارة الاسلامية فذكرنا أن حضارة الخلق هى الفكر الاسلامى الأصيل الذى لم يكن معروفا قبل الاسلام كرأى الإسلام فى السياسة والاقتصاد والتربية • وأن حضارة البعث هى تلك الحضارة التى عرفها العالم قبل الاسلام ، ثم خمدت وأعاد المسلمون إحياءها، كالجهود التى قدمها المسلمون فى الطب والرياضة والفلك وغيرها ، والحضارتان جميعا فكر ، سواء جاء هذا الفكر عن طريق القرآن الكريم وأحاديث الرسول ، أو جاء عن طريق العلماء المسلمين الذين بحثوا فى الرياضيات والعلوم والفلك وغيرها •

أما النظم الاسلامية أو The Islamic Institutions فهى المؤسسات التى أقامها المسلمون لتطبيق الحضارة ووضعها موضع التنفيذ •

وعلى هذا فالحضارة فكر ، والنظم وسائل لتطبيق هذا الفكر • فرأى الاسلام فى السياسة حضارة ، والمناصب المرتبطة بالسياسة والتى ابتدعها المسلمون لتطبيق الفكر الاسلامى ، نظم ، كمنصب الخليفة والوزير والكاتب ، وما يتصل بها كالشرطة والحسبة •

ونهج الاسلام فى الاقتصاد حضارة ، والمؤسسات التى اقترحها المسلمون لتطبيق هذا النهج نظم ، كبيت المال والدواوين ، ووسائل جمع الأموال وانفاقها •

وحث الاسلام على تعليم العلم وتعلمه ، وبيان فضل العلم وابراز مبادىء كثيرة فيه كتكافؤ الفرص ، وكالتعلم من المهد الى اللحد ، وكطلب العلم ولو فى الصين كما جاء فى الحديث الشريف ، والحث على تعليم المرأة • كل هذا وأمثاله من الفكر التربوى جوانب مهمة من الحضارة الاسلامية ، أما المؤسسات التى ابتكرها المسلمون لتحقيق هذه المبادىء فهى نظم مثل

بنـاء المدارس والمعاهد واقامة المكتبات ، ومثل الشهادات الدراسية والأوقاف على التعليم •

والجهاد للدفاع عن الاسلام والذود عن المستضعفين من المسلمين ، والفكر الذى ابتكره الاسلام عن الأسرى حضارة • أما المؤسسات التى أقامها المسلمون لتحقيق هذه المبادىء فهى نظم ، كالحصون والقلاع والرباط ودور السلاح •

والمبادىء التى وصل لها المفكرون المسلمون فى مجال الطب مثل اكتشاف مرض الجدرى ومثل الطريقة التجريبية وطرق البحث العلمى ، وكذلك تلك المبادىء التى أعادوا بعثها للوجود ، وأضافوا عليها الكثير من فكرهم ، كل هذه حضارة فى مجال الطب ، أما المؤسسات التى أقامها المسلمون لتحقيق ذلك فهى نظم كالمستشفيات والكشف الدورى على المرضى فى السجون وعلاجهم ، وعزل بعض المرضى حتى لا ينتشر الوباء •

وهكذا يتضح الفرق بين النظم وبين الحضارة ، وينبغى أن نلاحظ أن بعض النظم عرفها العالم قبل الاسلام كمنصب الوزير وكالدواوين ، ولكن الاسلام أقام هذه النظم على أسس جديدة تتفق مع الاسلام واتجاهاته •

ويتضح من مطالعة أجزاء موسوعة النظم والحضارة الاسلامية أن كل جزء منها يحوى حضارة فى جانب ونظما فى هذا الجانب نفسه ، وسيرى القارىء ذلك فى ضوء هذا البيان •

الحضارة الاسلامية والفن

هناك استعمال واسع لكلمة فن ، وذلك كالحديث عن فن التربية وفن الحرب ، ولكنا نقصد هنا الفنون التى يقوم بها الانسان ليستثير عاطفة الجمال ، وهذه الفنون تشمل الموسيقى والتصوير والنحت ، وهناك من يضيف اليها الشعر والرقص والتمثيل والعمارة والزخرفة ، وقد تحدثنا فى كتاب « الحياة الاجتماعية فى الفكر الاسلامى » عن الموسيقى والغناء واقتبسنا عنهما وعن الرقص اقتباسات مهمة من كبار المفكرين المسلمين [١] وبخاصة من الامام الغزالى [٢] ونريد هنا أن نتحدث عن مكانة بعض الفنون الأخرى من الحضارة الاسلامية ، وبخاصة الفنون الجميلة كالتصوير والنحت والفنون التطبيقية كالعمارة والزخرفة .

وأول ما نثيره هو حكم الاسلام فى التصوير والنحت ...

وقد اتجه الفكر الاسلامى الى الاجماع على جواز تصوير ما ليس فيه روح كالزخرفة من أوراق الشجر ، والزخرفة بالكتابة وتصوير النبات والجماد ، أما تصوير ما فيه روح أى الانسان والحيوان فلم يرد عنه فى القرآن الكريم ما يجعله حراما ، وقد ورد فى أحاديث الرسول ما يشير الى منعه ، فقد أنذر الرسول المصورين بأنهم سوف يكلفون يوم القيامة أن ينفخوا فى صورهم الروح وليسوا بفاعلين [٣]

ويتجه كثير من المفكرين الى أن النهى ليس للحرمة بل للكراهية بدليل أن المسلمين ترخصوا على مر الزمان فى تصوير ذوات الروح وتجسيدها [٤] .

---

(١) انظر الحياة الاجتماعية فى الفكر الاسلامى للمؤلف ص ١٧٩ — ١٦١ .
(٢) انظر احياء علوم الدين حـ ٢ ص ٢٣٨ وما بعدها .
(٣) انظر « التصوير فى الاسلام عند الفرس » للدكتور زكى حسن ص ١٦ .
(٤) دكتور عبد الوهاب عزام : تقديم الكتاب السابق ص (ز) .

وفى تقديرى أن النهى عن تصوير الانسان والحيوان ارتبط بحالة العرب قبل الاسلام اذ كان النحت عندهم متجها لغرض صناعة الأصنام والأوثان ، فأراد الرسول صلوات الله عليه أن يبعد المسلمين عن هذه الصناعة وما شابهها ، وأن ذلك على نسق نهيه عليه السلام عن زيارة القبور اذ كان بعض العرب يعبدون أرواح الآباء والأجداد ويحجون لقبورهم ، ويقدسون ما وضعوا عليها من حجارة ، فلما تمكن الاسلام من قلوبهم ولم يعد هناك خوف من عبادة الآباء والأجداد ، سمح الرسول بزيارة القبور ، وقال « كنت نهيتكم عن زيارة القبور ، فالآن فزوروها » .

وربما يسأل سائل : لماذا لم يسمح الرسول بالتصوير على نحو ما سمح بزيارة القبور ؟ والاجابة أن زيارة القبور كانت فيها عظة ، وكانت ضرورية لأن المسلمين يشيعون الموتى من حين الى آخر فيجدون أنفسهم بين المقابر مما يجعل زيارة القبور قضية يشغلهم حلها ، وذلك ما لم يوجد فى التصوير أو النحت .

وأرى من دراسة القرآن الكريم أن التصوير والرسم والنحت والتجسيم مباح لسببين :

أولهما : أن الله سبحانه وتعالى أذن للسيد المسيح أن يخلق من الطين كهيئة الطير ، قال تعالى : « واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى » [1] وهذا يدل على جواز أن نصنع من الطين أو من مادة مماثلة تجسيدا لحيوان أو طائر أو ما ماثلهما .

ثانيهما : أن القرآن الكريم حافل بالصور الفكرية التى تمثل بالكلمة الدقيقة أحداثا يحس الانسان أنها يمكن أن تصور وتجسد مزيدا للعظة والفهم ، وقد أسماها الأستاذ سيد قطب فنونا فى كتابه « التصوير الفنى

---

(١) سورة المائدة ، الآية ١١٠ .

فى القرآن » واورد منها نماذج كثيرة ، وعلق عليها بانها تحوى مثلا من الجمـال الفنى [١] » .

ومن الصور الفنية رائعة الجمال التى وردت فى القرآن الكريم قوله تعالى « ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة ، أصابها وابل ، فآتت أكلها ضعفين ، فان لم يصبها وابل فطل » [٢] فهذه صورة يمكن أن ترسم بقلم صناع وان كانت أقلام الرسم تعجز عن الوصول الى الغاية التى وصلت لها كلمات القرآن الكريم ، ولاشك أن هذه الآيات تخلق فى الذهن صورة مجسدة لهذه الجنة ...

ومن هذه الصور قوله تعالى « مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا ، وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت » [٣] .

وقوله تعالى « ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق » [٤] .

وقوله تعالى فى تصوير حال المسلمين فى غزوة الخندق « اذ جاءوكم من فوقكم ، ومن أسفل منكم ، واذ زاغت الأبصار ، وبلغت القلوب الحناجر ، وتظنون بالله الظنونا ، هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا » [٥] .

وعن مشاهد يوم القيامة يورد القرآن الكريم صورة معبرة خطيرة قال تعالى « ان زلزلة الساعة شىء عظيم ، يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى » [٦] .

(١) التصوير الفنى فى القرآن ، ص ٢١ .
(٢) سورة البقرة ، الآية ٢٦٥ .
(٣) سورة العنكبوت ، الآية ٤١ .
(٤) سورة الحج ، الآية ٣١ .
(٥) سورة الأحزاب ، الآية العاشرة
(٦) سورة الحج ، الآية الثانية .

وصور أخرى كثيرة وردت فى القرآن الكريم لا تقوى ريشة على ابرازها • وقد صورتها الكلمة أروع تصوير ، وخلقت فى الذهن صورة لها ، واذا كانت قد خلقت فى الذهن صورة فليس هناك ما يمنع أن نصور هذه الصورة بريشة شرحا للفكرة وتمكينا لها •

ويضاف الى ذلك مما يدل على حل الرسم والتصوير أن صور كبار الشيوخ والعلماء تملأ الصحف والكتب دون استنكار منهم ، وأن تماثيل العظماء توجد فى كثير من الميادين دون استنكار كذلك •

وبعد هذه الدراسة عن موقف الاسلام من أنواع الفنون نعود لنذكر لمحة عن مكانة هذه الفنون فى الحضارة الاسلامية ، والحق أن الحضارة الاسلامية اهتمت بالفنون اهتماما كبيرا ، فقد ورث المسلمون فى دمشق وبغداد والقاهرة والهند حضارة فنية رائعة عن الفرس وبيزنطة والفراعنة والهنود ، وكان الاحساس الفنى عاليا عند هذه العناصر ، وكانت صور الفنون تغمر كثيرا من الأمكنة وبخاصة الأثرية ، ومن هنا ظهرت الفنون الجميلة فى مختلف أنحاء العالم الاسلامى امتدادا لما كان موجودا قبل الاسلام ، وعندما شاع أن تصوير ما فيه روح مكروه أسرع الفنان المسلم الى الزهور والأشجار ثم الى الآيات القرآنية والفسيفساء وغيرها ليأخذ منها بديلا فى رسومه وزخرفته • وقد اهتمت الفنون الاسلامية بتصوير المخطوطات والتصوير على التحف المختلفة كالخزف والزجاج والنسيج وغيرها كما شملت الحفر وصناعة الفخار والخزف ، ومن الفنون الجميلة التى ارتبطت بالعالم الاسلامى فن الخط الذى زينت به الجدران فى المساجد والقصور وغيرها وهو الذى يسمى التصوير الجدارى الذى كان يشمل صورا أو رسوما تزين بها جدران الحمامات والقصور ، ومن أقدم أنواع التصوير الجدارى ما ظهر فى « قصر عمرا » الذى كشفت بقاياه فى بادية

الشام ، ويظن أن بانيه أحد الأمراء الأمويين وقد حفلت جدران بصور كثيرة حيوانية ونباتية (١) .

ويتجه البحث الجديد الى أن هذا القصر كان استراحة بناها الوليد ابن عبد الملك : وسقف هذا البناء وجدرانه مزينة بموضوعات مصورة وزخارف مختلفة .

ومن الصور الجدارية كذلك ما ظهر فى قاعات الحريم بقصر الحوش الخاتانى فى سامرا التى أنشأها المعتصم بالله الخليفة العباسى ، ومنها كذلك رسوم عثر عليها فى جهة « أبو السعود » بالقاهرة وتعود الى أيام الفاطميين .

ومن أهم جوانب التصوير التى اهتم بها المسلمون تصوير المخطوطات وتزيين الكتب بالصور الصغيرة « المنمنمات » ومن أشهر الكتب التى برزت فيها هذه الصور كتاب مقامات الحريرى ، وتدل الصور الموجودة فيه على مهارة كبيرة فى تصوير للجموع ، وحركاتها المختلفة ، ودقة عظيمة فى تصوير الحيوانات (٢) .

وتمتاز المنمنمات الاسلامية بالألوان الزاهية وبكثرة استعمال الذهب والفضة .

ومن أبرز اتجاهات الفنون الاسلامية الاهتمام بالتحف المعدنية والحلى فان الاهتمام بصناعة المعادن قد استقر فى صدر الاسلام مع الاحتفاظ بالتقاليد الفنية المحلية ، ومن أبرز ما خلفه لنا العصر الفاطمى بعض المباخر والتماثيل التى على شكل حيوان أو طائر ، وخلف لنا العصر المملوكى

(١) دكتور عبد الوهاب عزام : مقدمة كتاب التصوير الاسلامى عند الفرس .
(٢) دكتور زكى حسن : المرجع السابق ص ٢٦ .

نماذج من التحف المعدنية الدقيقة المطعمة بالذهب والفضة كالأوانى والشمعدانات وصناديق المصاحف والمحابر وغيرها •

وفى مجال الحفر توجد عند المسلمين أعمال رائعة من الحفر فى الحجر والرخام وزخارف بالغة الجمال ، ولم يقتصر الحفر على الحجر والرخام بل تعداه الى الحفر على العاج والعظام ، واستعمل فى مصر كثيرا حشو الكراسى والأثاث بالعاج والعظم ، كما كثر الحفر الرائع على الأخشاب •

ولدينا نماذج رائعة من أعمال الفخار والخزف أنتجت منها تحف وتماثيل وأباريق وأكواب وكئوس •••

وفى مجال النسيج عرف العصر الفاطمى بوجه خاص بالاهتمام بالطراز وكانت هناك دار للطراز تنتج الملابس البهيجة المزركشة التى تختلف باختلاف مكانة الأشخاص ، وكانت هذه الملابس تهدى لذويها فى المناسبات المختلفة ، كما كانت تمثل خلعاً من الرضا والتقدير •

وقد اقتبس الفن الاسلامى عناصر من الفن الفارسى والفن المصرى والبيزنطى والهندى والعربى ، واندمجت هذه العناصر مكونة فنا إسلاميا كانت له السيطرة فى عالم الفنون عدة قرون •

تاريخ المنـاهج الاسـلامية

مناهج التعليم فى صدر الاسـلام

انحرافاتها فى عصـور الظلام

وجـوب تصحيحهـا

مقـــدمة

خصصت هـذا الجزء الأول من موسـوعة الحضـارة الاسـلامية لدراسة مهمة عن « تاريخ المناهج الاسلامية » والحق ان هذه الدراسة شديدة الصـلة بواقـع المسلمين فى النواحى السياسـية والاقتصـادية والاجتماعية ... لأن انحراف المسلمين فى مجال السياسة والاقتصاد وغيرهما نشأ عن انحراف المناهج : فاذا تدارسنا بدقة المناهج الاسلامية ، وما حدث بها من خلل فاننا نضع أيدينا على الداء ، ونلتزم بالمبادرة للبحث عن الدواء .

والعثور على الداء كان صعبا ، واستلزم دراسة طويلة ، دأبها الصبر ودقة الملاحظة ، أمـا العثور على الدواء فلم يكن صعبا بعد أن عرفنا الداء ، وقد وصفت فى هذا الكتاب الداء والدواء ، واللهم اشهد أنى قد بلغت .

ان كثيرين من علماء المسلمين لا يريدون تغيـيرا فيما يعرفون من الدراسات الاسلامية ، وبعضهم أصبح محترفا أو باحثا عن الهدوء والمال فى ظل أى شىء ، ونقول لهؤلاء ان التغيير لن يقلل من مكانتهم وإلا من أطماعهم فى الترف والهدوء والمال ، وقد يمنحهم المزيد .

أما بقاؤهم على ما هم عليه بعد أن أنبثق النور فمسئوليته خطيرة ، وليس هناك عاقل من علماء المسلمين يستطيع أن يتحمل أمام الله ما يعانيه الاسلام والمسلمون من اضطراب وقلق .

هيّا بنا جميعا نتعلم ونعلّم ، لعل المستقبل يكون أحسن من الماضى والحاضر ، فاننا اذا قدمنا لتلاميذنا علم مقارنة الأديان ، وعلم الحضارة

الاسلامية ، وصححنا اتجاه باقى العلوم الاسلامية كالفقه والتفسير ٠٠٠ فاننا نخلق جيلا جديدا ، نطمع أن يعيد للاسلام مجده ، ولتكن جيلنا حامل الراية ، فذلك فضل عظيم ٠

انها دعوة خالصة أرجو أن تنال عناية الباحثين والدارسين ٠

وعلى الله قصد السبيل ٠٠٠

تحريف المناهج وخطورته

أرجو أن يسمح لى القارىء الكريم أن أذكر أن هذا البحث القصير نتيجة جهد طويل ، وأن كاتبه يطمع أن يُقرأ بعمق ، فاذا قنع القارىء به أو ببعضه نفذ ما ينبغى من تغيير فى المناهج الاسلامية حتى تتخلص هذه المناهج مما حدث بها عن عيوب ، وحتى نستطيع أن نربى المسلمين على النهج الصحيح .

وقد كانت التساؤلات التالية تقف أمامى وتشغلنى :

ـ هل المواد التى تدرس بالمعاهد والكليات الاسلامية تربى فى الدارس روح الاسلام ؟ .

ـ لماذا عجزت معاهد العلم الاسلامية عن حسن التوجيه ؟ .

ـ وبالتالى لماذا لا يستطيع المتخرج فى الجامعات الاسلامية أن يقدم الاسلام لغير المسلمين ويدفعهم الى حبه والاقبال على فهمه ؟ .

ـ بل لماذا لا يستطيع متخرج فى الجامعات الاسلامية أن يقابل جمهورا من المثقفين المسلمين الذين جذبتهم أضواء الغرب ليردهم الى أضواء الاسلام ؟ .

ـ لماذا كثر بين المسلمين التراخى فى التمسك بالقيم الاسلامية ، وشاعت الرشوة والاهمال وعدم التعاون وغيرها من الصفات التى تتنافى مع الاسلام ؟ .

ـ لماذا يرى بعض الشبان أنهم وحدهم المسلمون وأن من سواهم من المسلمين ليسوا مسلمين ؟ .

ـ ولماذا يصل الأمر الى أن يقتل بعض المسلمين بعضا باسم الدين ؟ ..

ـ هل من الاسلام أن يغرى بعض المسلمين جحافل التتار ليزحفوا على مسلمين آخرين ويدمروهم ، لمجرد الاختلاف فى المذهب ؟ فقد أثبت التاريخ أن التتار عندما حاصروا مدينة الرى كان سكان البلدة منقسمين على أنفسهم بسبب الاختلاف بين أصحاب المذاهب الاسلامية الأربعة على تفسير بعض آيات القرآن الكريم ، فإتصل قاضى القضاة الشافعى بالتتار واتفق معهم على أن يفتح لهم أبواب المدينة لينتقموا من خصومه ، غير أن التتار بعد أن فرغوا من ابادة خصومه انقلبوا عليه وعلى أصحابه ، لأن التتار لم يطمئنوا لمن خان بلاده (١) .

ـ هل من الاسلام أن تدمر قرى بأكملها كما يقول « ياقوت » بسبب الصراع بين أتباع المذاهب الأربعة ، وأن يضرب الحنابلة الخطيب البغدادى وهو يلقى درســه فى جامع المنصــور ، لا لشىء إلا لأنه لم يكن يتبــع مذهبهــم (٢) .

وأسئلة كثيرة مشابهة عرضت لى واستوقفتنى طويلا .

ثم هناك قضية أخرى هى انتشار الاسلام السريع فى مختلف الربوع فى صدر الإسلام ، وتغلغله فى أجناس متعددة ، وتمكنه من أقطار وقارات ، ثم توقف انتشاره بعد ذلك ، فلم يعد يدخله كل عام الا عدد قليل ، بل على العكس من ذلك يبتعد عنه بعض تابعيه ، إن لم يكن بإعلان التخلى عنه ، فبالاغضاء عن التزاماته ، وبسلوك منهج الغرب المسيحى فى اتجاهاته .

من أجل هذه التساؤلات وهذه القضايا عكفت على دراسة طويلة رجاء أن أتعرف على الأسباب التى أدت الى هذه النتائج ، وقد تبين لى بوضوح أن المناهج الاسلامية وما طرأ عليها من خلل هو السبب الرئيسى لكل هذا العنــاء ، وهذا وضع أمامى أسئلة تدفع الاجابة عنها كثيرا من الأشعة حول هذا الموضوع ، وهذه الأسئلة هى :

---

(١) دكتور ابراهيم العدوى : العرب والتتار ص ٥٦ ــ ٥٧ .
(٢) ياقوت : معجم البلدان : جـ ١ ص ٢٤٦ ــ ٢٤٧ .

ـ كيف كان الاسلام يعلم فى صدر الاسلام ؟ .

ـ كيف علمه رسول الله صلوات الله عليه ؟ .

ـ وكيف علمه مبعوثوه الى الأمكنة المختلفة ؟ .

ـ كيف علمه مصعب بن عمير فى يثرب ؟ .

ـ وعلي بن أبى طالب فى اليمن ؟ .

ومعاذ بن جبل بمكة عندما تركه الرسول بها عقب فتحها وعودة الرسول الى المدينـــة ؟ .

وكيف قدم علماء المسلمين الاسلام للأمم المفتوحة فى عصر عمر بن عبد العزيز الذى يسمى عصر اسلام الشعوب المفتوحة [١] ؟ .

وهكذا رحت أدرس تاريخ المناهج الاسلامية بكل الجهد وكل الصبر ، وقد تبيّن لى بعد دراسة طويلة للمصادر التاريخية أن المناهج الاسلامية الأولى التى حققت أعظم نجاح ، حدثت فيها أحداث خطيرة تسببت فيما نعانيه الآن من اضطراب وخلل وقصور ، وقد جاء هذا الاضطراب من ثلاث نوافــذ :

النافذة الأولى : اختفت من المناهج ، وبالتالى من المعاهد الاسلامية أنفع العلوم الاسلامية وأعظمها واجلها قدرا ، تلك التى كانت تحمل الاسلام الى الناس وتجذبهم اليه وتجمّع المسلمين حول فكر واحد ، ومن أهم هذه العلوم مقارنة الأديان والحضارة الاسلامية ، وسنوضح فيما بعد كيف عُنى القرآن الكريم والأحاديث الشريفة بهــذين العلمين ، وكيف كانا من أهم العلوم التى أبرزت المآثر التى قدمها الاسلام للجنس البشرى ، وعندما

---

(١) انظر الجزء الثانى من موسوعة التاريخ الاسلامى للمؤلف .

نقول عنى القرآن الكريم والأحاديث الشريفة بموضوعات مقارنة الأديان والحضارة الاسلامية فان هذا يعنى ضرورة وضعهما فى قمة المناهج اذ أن العلوم الاسلامية انبثقت من الكتاب والسنة [1] .

النافذة الثانية : انحرفت عن الطريق الصواب علوم اسلامية أخرى فالمذاهب الفقهية التى تعد نعمة من نعم الاسلام أصبحت نقمة وسببا فى الاختلافات والأزمات والعدوان ، كما كثرت الفروض فى الفقه ، بل وجدت فى بعض كتب الفقه الحيل لأخذ الربا ، والحيل للتخلص من دفع الزكاة وهكذا ، وفى تفسير القرآن كثرت الاسرائيليات ، وفى الحديث الشريف تقول أعداء الاسلام على الرسول صلوات الله عليه ، ونسبوا اليه ما لا يجوز أن ينسب اليه واندس بعض ذلك فى كتب الحديث ، وفى التاريخ الاسلامى كثر انحراف الأحداث ، وفى اللغة العربية انتقل التعليم من اللغة الى القواعد ، ثم من القواعد الى شواذها مما أضعف التعرف على اللغة العربية وإجادتها ، وسنشرح ذلك بشىء من التفصيل فيما بعد .

النافذة الثالثة : برزت علوم ادعت أنها اسلامية ، وهى فى الحق ليست كذلك مثل علم الكلام الذى يقول مؤلفوه ان موضوعه ذات الله ... وهذا منكر يرده قوله عليه السلام « تفكروا فى آلاء الله ، ولا تفكروا فى ذاته فتهلكوا » وسنعطى بعض التفاصيل عن هذا الموضوع فيما بعد ، ومثل علم المنطق الحافل بالغموض والجفاف ، وقد كنا نحفظه دون فهم لنؤدى فيه الامتحان ، ومثل الفلسفة التى — كما تقول أدق المصادر — انها لا تبدأ بمسلمات مهما كان مصدرها ، ولا تجعل الايمان سندا [2] وقد تلقت هذه الفلسفة عناصر كثيرة من الفلسفة اليونانية ، ومن أجل هذا هاجم الامام الغزالى علم الفلسفة فى كتابه « تهافت الفلاسفة » ولهذا كله لا تجعل

---

(١) انظر مقدمة ابن خلدون ص ٣٩٧ وما بعدها .

(٢) انظر The Encyclopaedia of Islam Art. Phi .

بعض الدول الاسلامية الفلسفة فى مناهجها ، ومن أجل انحراف الفلسفة اتجه العلماء المسلمون الى محاولة بعث روح اسلامية بها وأسموها « فلسفة اسلامية » ولكنهم لم يستطيعوا ذلك كما اعترف الأستاذ الأكبر الشيخ محمد عبد الرحمن بيصار شيخ الأزهر وهو فى الأصل أستاذ فلسفة وسنرى فيما بعد كلماته •

والعلاج الحقيقى أن نعود للمنهج الاسلامى الصحيح ، فنحيى العلوم المفيدة التى اندثرت ، ونصحح مسار العلوم التى انحرفت ، ونحذف العلوم الدخيلة ولا نبقى منها الا ما ثبت نفعه وضرورته •

ذلك مجمل الحديث عن المناهج الاسلامية فى رحلتها الطويلة ، وهو يبرز ما عانته من أثقال وما تعرضت له من مكائد ، وفى دراستنا فيما بعد سنورد تفصيلا لهذا الإجمال نوضح فيه لماذا ومتى وأين حصل هذا التغيير الخطير المتعمد فى المناهج •

ثم إن هذا الانحراف فى المناهج الذى أدى إلى اختفاء الحضارة الاسلامية أدى بالتالى الى اختفاء الفكر الاسلامى فى السياسة والاقتصاد وغيرها من واقع الحياة ، وأصبحت الأقطار الاسلامية بعيدة عن روح الاسلام وتوجيهاته ، كما أصبحت تعيش فى ظلام دامس •

فاذا اتضح لنا أن تغييرا خطيرا حدث فى المناهج فاننا يجب أن نتجه بكل الجهد وكل الصبر لتصحيح المناهج متخذين من مناهج صدر الاسلام المنبثقة من كلام الله وأحاديث رسوله خير منار لنا •

وبعد أن نصحح المناهج ننتقل الى نقطة أخرى خطيرة هى تنظيم تقديم هذه المناهج الصحيحة الى الطلاب والى الجماهير ، ثم ستجىء الخطوة الضرورية وهى بروز نتائج الدراسة الجديدة فى واقع الحياة ، فتصبح الحياة فى الدول لاسلامية حياة اسلامية حقيقية فى مجالات السياسة والاقتصاد والتربية والتعليم والعلاقات الدولية وغيرها •

وقبل أن نبدأ فى ذلك يجدر بنا أن نقدم بعض الدراسات التمهيدية للموضوع لتساعدنا على ضرورة التعرف على المناهج الصحيحة التى تجعل التعليم الاسلامى يؤتى أطيب الثمرات :

أولا — موقف الاسلام من العلم :

رفع القرآن الكريم شأن العلم ووضعه فى مكانة سامية جليلة ، وأكبر دليل على ذلك أن أول سورتين نزلتا من الذكر الحكيم تقرران قيمة الكلمة المقروءة والكلمة المكتوبة ، والسورة الأولى التى تتكلم عن الكلمة المقروءة هى سورة اقرأ ، قال تعالى : « اقرأ باسم ربك الذى خلق ... » والسورة الثانية التى نزلت بعد سورة اقرأ بناء على رأى الأكثرين [1] هى سورة « ن » التى مطلعها : « ن والقلم وما يسطرون » وعلى هذا فالآيات الأولى تتكلم عن القراءة والآيات الثانية تتكلم عن الكتابة .

وبعد ذلك تجىء فى القرآن الكريم آيات كثيرة تثبت جلال العلم ومكانة العلماء ومنها قوله تعالى :

— شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط [2] .

— هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون [3] .

— يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات [4] .

ويقول صلوات الله عليه فى هذا المجال :

— اطلب العلم من المهد الى اللحد .

— من عظم العالم فقد عظمنى .

— يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء .

---

(١) انظر الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى جـ ٢ ص ٤٢ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٨ .

(٣) سورة الزمر الآية التاسعة .

(٤) سورة المجادلة الآية ١١ .

وقد ذكرنا من قبل أن الاسلام أعلن لأول مرة فى تاريخ البشرية أن العلم حق للجميع ، فقد كان العلم قبل الاسلام خاصا بالكهنة ، وكانوا هم الذين يستطيعون كتابة العهود والمواثيق والمعاهدات ، ولم يكن لسواهم حتى الملوك والأمراء ، نصيب يذكر فى طلب العلم ، ويقول Philip Hitti ان معاصرى هارون الرشيد والمأمون من أمثال شارلمان وسادة مملكته كانوا يتعثرون فى كتابة أسمائهم [1] ، وقد ارتفع هذا التخصيص بالآية الكريمة « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم » [2] فأصبح المسلمون جميعا بين معلم ومتعلم ، وقال صلى الله عليه وسلم فى هذا المجال : طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، وينبغى أن يكون واضحا أن العلم المشار اليه لم يكن محصورا فى العلوم الاسلامية ، بل شمل كل العلوم التى تفيد المجتمع بدليل قوله عليه السلام ، اطلبوا العلم ولو فى الصين . ومن الواضح أنه لم يكن فى الصين علوم اسلامية .

ثانيا — السلوك والعلوم :

اهتم الاسلام اهتماما كبيرا بالتربية الاسلامية ، وكان مفهوم التربية عند المسلمين يشمل العناية بالسلوك ، كما يشمل العناية بالعلوم ، وفى مجال السلوك يقدم الامام الغزالى دراسة واسعة فى كتابة « احياء علوم الدين » نقتبس منها سطورا قليلة :

يقول الغزالى : الصبى أمانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة غالية من كل نقش وصورة ، وهو قابل لكل ما ينقش عليه ، ومائل الى كل ما يمال اليه ، فان عُوّد الخير وعُلّمه ، نشأ عليه وسعد فى الدنيا والآخرة ، وشاركه فى ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب ، وان عُوّد الشر ، أو أُهمل شقى وهلك ، وكان الوزر فى رقبة القيّم عليه ، وترقبة من أهمله ، ويتحتم أن

---

(١) History of the Arabs p. 315.

(٢) سورة التوبة الآية ١٢٢ .

يصان الصبي عن الآثام ، وأن يعلم محاسن الأخلاق ويحفظ من قرناء السوء ، ولا يعوده الوالى التنعم ، ولا يحبب اليه الزينة وأسباب الرفاهية ، فيضيع عمره فى طلبها اذا كبر .

ويقرر الغزالى أن تربية الصبيان ليست مقصورة على تعليمهم ، وانما تشمل ألوانا أخرى لا تقل أهمية عن التعليم ، ويذكر الغزالى منها المراقبة . وتقوية خلق الحياء لدى الصبي عند ظهوره فيه ، وأن يعلم الطريق المستقيم فى الطعام والشراب واللباس ، ويفصل الغزالى ذلك تفصيلا دقيقا ، ثم يذكر أن الصبي ينبغى أن يجازى إذا ظهر منه خلق جميل ، أما إذا ظهر منه انحراف فينبغى أن يتغافل عنه أول مرة ، فان كرر ذلك عوتب ثم عوقب ، ويعود على المشى والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل ، ويمنع أن يفتخر على أقرانه .... ويمنع اليمين صادقا كان أو كاذبا الا لضرورة .

أما فى مجال العلم فان الغزالى يرى أن تعليم القرآن وتفهمه أساس لتعلم الشبان ، ويتبع ذلك أحاديث الرسول ، وآراء الأخيار ، وحكايات الأبرار [١] .

تلك لمحات موجزة مما ذكره الغزالى عن تربية السلوك فى الانسان ، وينبغى أن تأخذ هذه الدراسة مكانها فى المناهج الاسلامية .

ويتحدث ابن سينا أحاديث فياضة عن سلوك الطالب ، ويجعله أهم من العلوم بالنسبة اليه والى المجتمع حوله ، فهو يقول : ان الفضائل الخلقية اسمى من الفضائل العقلية ، لأن الجاهل بالعلوم قد لا يضر ، ولكن الجاهل بالآداب والسلوك لا يتوقف ضرره [٢] .

وجاء فى كتاب منهاج المتعلم ما يلى [٣] : وعلى الأب أن يؤدب ابنه

---

(١) احياء علوم الدين جـ ٣ ص ٥٧ — ٥٩ .

(٢) القانون : جـ ١ ص ٧٩ وما بعدها .

(٣) مخطوط مجهول المؤلف : ظهر الورقة رقم ٩ .

ويسلمه الى معلم ، فان لم يفعل ظهر الانحراف فى جميع أعضائه ، وبخاصة فى لســانه •

وسنشير فيما بعد الى ما ورد فى القرآن الكريم وفى أحاديث الرسول من توجيهات لخلق السلوك الطيب فى المسلم ولابعاده عن ذميم الصفات ، ولا شك أن هذه الآيات وتلك الأحاديث كانت المشعل الذى وجّه العلماء والمفكرين المسلمين الى العناية بالسلوك كالعناية بالعلوم أو أكثر من العناية بالعــلوم •

ثالثا : العلوم النظرية والعلمية بالمعاهد الاسلامية :

كانت كل العلوم موجودة بالمعاهد الاسلامية ، قبل أن يوجد التخصص الدقيق ، وقــد رُوِى أن الشعر والعروض والطب والميقات والتفسير والحديث والفقه كانت كلها تدرس فى المسجد [١] ، ولم يبدأ الفصل بين العلوم الا عندما ابتُدعت علوم كانت تتنافى طبيعة تدريسها مع ما يجب للمسجد — الذى كان مركزا للدراسات السابقة — من هدوء وجلال كعلم الكلام وعلم الجدل والمناظرة •

وعلى هذا فان طالب العلوم المختلفة من طب أو رياضة أو فلك أو سواها كان عليه أن يعرف قدرا من الدراسات الاسلامية يُعرّفه مسئولياته تجاه الدين والدنيا قبل أن يتخصص فى المــادة التى يريد أن يتخصص فيها •

ومن أجل هذا وجد بين المفكرين المسلمين من نبغ فى العلوم الدينية والعلوم التجريبية جميعا ، كابن مسكويه الذى كان طبيبا وفيلسوفا ومؤرخا وباحثا فى الأديان ، وكابن سينا الذى كان حجة فى الفلسفة والطب والفلك والرياضة ، وكابن رشد الطبيب الفقيه الفيلسوف ، وكالكندى الذى أجاد الطب والجغرافيا والفلك والرياضيات والموسيقى وغيرها •

---

(١) انظر الموشح للمرزبانى : ص ٢٨٩ ومحاضرات الأدباء للأصفهانى ج ١ ص ٢٠ وابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء : ٢٠٧ •

رابعا : كلمات وعبارات اصطلاحية :

ظهرت مع الأيام والسنين كلمات اصطلاحية تؤدى مدلولات كانت موجودة من قبل ، فالحلال والحرام فى الاسلام أصبح يسمى « فقها » وشرح ألفاظ القرآن الكريم وآياته أصبح يسمى « تفسيرا » والمجادلة بالحسنى أطلق عليها عند البيرونى والمسعودى وابن حزم والشهرستانى ... الديانات والفصل والملل والنحل .... ثم أطلق عليها حديثا « مقارنة الأديان » ، والنهج الذى جاء به الاسلام فى السياسة والاقتصاد والتربية والعلاقات الدولية .... أصبح يعرف بـ « الحضارة الاسلامية » وهكذا ، وسنستعمل هذه التعبيرات الاصطلاحية ، اذ أن مدلولاتها قديمة والتعبير الجديد هو لغة العصر .

وبعد هذه المقدمات نعود لصور التاريخ لنرى كيف كان الاسلام يتقدم فى صدر الاسلام ، ثم كيف انحرفت الأحوال بالمناهج الاسلامية .

المناهج الاسلامية فى صدر الاسلام

قلنا سابقاً ان مقارنة الأديان والحضارة الاسلامية كانا من أبرز العلوم التى كان الاسلام يقدم عن طريقها ، وطالما كسب هذان العلمان النصر للاسلام ، ومرجع الاهتمام بهذين العلمين أن القرآن الكريم اهتم بهما اهتماماً واسعاً ، وكذلك اهتمت بهما السنة الشريفة ، ولا شك أن أى فرع من فروع المعرفـة يهتم به القرآن والسنة فانه يكون جـديراً بالعناية والتقـدير .

ومن الواضح فى التفكير الاسلامى أن المسلمين الأوائل كانوا يهتمون بتدبر القرآن تبعاً لما رسمته لهم الآية الكريمة : « كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته [١] » فقد فهموا منها أن المقصود بالقرآن ليس حفظه وانما تدبره والعمل بما يأمر به ، ويروى السيوطى فى ذلك أن الرجل من الصحابة كان يحفظ من القرآن عشر آيات ثم لا يتجاوزها حتى يفهم معناها ويؤدى مـا طلب فيها [٢] .

ومن هنا كان الاهتمام بمقارنة الأديان وبالحضارة الاسلامية استجابة للقرآن الكريم ثم للحديث الشريف .

فماذا نرى لو عدنا للقرآن الكريم والسنة الشريفة حـول هذين الموضوعين ؟ .

ذلك مـا سنشرحه فيما يلى

---

(١) سورة ص الآية ٢٩ .
(٢) الاتقان فى علوم القرآن جـ ٢ ص ١٧٠

مقارنة الأديان : علم إسلامي مهم

ان آيات قرآنية كثيرة ، ومواقف متعددة للرسول ترينا أهمية هذا العلم الذي يشمل الحديث فيه عدة قضايا مهمة مثل قضية الألوهية ، وقضية النبوة ، وقضية الكتاب المقدس ، وقضية البعث والنشور ، وقضية الحساب ، وغيرها • ونبدأ بأن نذكر أن آيات القرآن الكريم قد رسمت الاهتمام بهذا العلم ، قال تعالى :

— وجادلهم بالتي هي أحسن [١] •

— ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن [٢] •

من الواضح أن مجادلة غير المسلمين بالحسنى هي علم مقارنة الأديان ، ولم يكتف القرآن بالحث على المجادلة بالحسنى ، بل أورد بعض الآيات التي تحمل اتجاه المقارنة كقوله تعالى : **أفمن يخلق كمن لا يخلق** [٣]؟ فهذه الآية تجري مقارنة بين الخالق الأعظم وبين الآلهة التي لا تستطيع أن تخلق شيئاً • ومثل ذلك قوله تعالى : « **لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا** [٤] » فهذه الآية تقارن بين الواحدانية وبين التعدد ، وتوضح أن التعدد يقود الى الفساد والدمار ، وقد تحدث القرآن الكريم عن جميع الأديان سماوية كانت أو وضعية ، تحدث عن اليهود واليهودية ، وتحدث عن المسيح والمسيحية ، وتحدث عن عبدة الأصنام والطاغوت والملائكة والشياطين •• وسماها القرآن الكريم أديانا مع بطلانها قال تعالى : « لكم دينكم ولي دين » [٥] • وسنرى فيما بعد ابن حزم الأندلسي وهو يعدد الأديان التي أوردها الله سبحانه في كتابه العزيز ، ويعلمنا أن نتعرف عليها وأن نقارن بينها لندرك جهالتها وسوء مزاعمها •

---

(١) سورة النحل الآية ١٢٥ .
(٢) سورة العنكبوت الآية ٤٦ .
(٣) سورة النحل الآية ٦٧ .
(٤) سورة الانبياء الآية ٢٢ .
(٥) سورة الكافرون الآية الأخيرة .

فاذا ذهبنا إلى سيرة الرسول وجدنا أن مقارنة الأديان كان فى قمة العلوم التى كان الرسول يقوم بها الاسلام لغير المسلمين ويثبته لدى المسلمين ، وخلال المناقشات التى أجراها الرسول وأيدته الآيات الكريمة دخل كثيرون من عبدة الأصنام ومن اليهود ونصارى نجران دين الاسلام ، وفيما يلى نماذج قصيرة لهذه المجالات ولديْنا منها الكثير .

كان الرسول والمسلمون يكثرون السخرية من عبادة الأصنام ، وكان القرآن الكريم يؤيدهم ويمدهم بأسمى المعانى فى هذا المجال ، ومن ذلك قوله تعالى : « أفرأيتم اللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى ، ألكم الذكر وله الأنثى ، تلك اذاً قسمة ضيزى ، إن هى ألا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان [١] » وقوله : أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون [٢] .

وكانت أصنام العرب وأوثانهم كثيرة ومتعددة ، ومن أجل هذا كانت هشة العرب عميقة عندما قال محمد بالوحدانية وأن لا إله إلا الله ، ويروى القرآن الكريم تعجبهم بقوله « أجعل الآلهة الهاً واحداً ان هـذا لشىء عجاب[٣] » ولقد أجابهم الله بقوله « الله لا اله إلا هو الحى القيوم [٤] وقوله « ولا تدع مع الله الهاً آخر ، لا اله الا هو ، كل شىء هالك ألا وجهه [٥] » وقوله « ما اتخذ الله من ولد ، وما كان معه من اله ، اذن لذهب كل اله بما خلق ، ولعلا بعضهم على بعض ، سبحان الله عما يصفون [٦] » ويقول المفسرون [٧] عن هذه الآية : انها جواب المحاججة والمجادلة ، وهى تبين أن

---

(١) سورة النجم الآيات ١٩ — ٢٤ .
(٢) سورة الصافات الآيات ٩٥ — ٩٦ .
(٣) سورة ص الآية الخامسة .
(٤) سورة البقرة الآية ٢٥٥ .
(٥) سورة القصص الآية ٨٨ .
(٦) سورة المؤمنون الآية ٩١ .
(٧) انظر البيضاوى والنسفى .

التعدد لو حدث لحدث التحارب والتغالب كما هو حال ملوك الدنيا • وعن طريق المجادلة وشرح الآيات دخل الكثيرون فى الاسلام •

وكان الرسول يجلس مرة فى المسجد الحرام قبل الهجرة فالتف حوله بعض المشركين سائلين أو ساخرين ، وفى حومة النقاش والمجادلة قال عليه السلام : يوم القيامة ينادى مناد : ليذهب كل قوم مع ما كانوا يعبدون ثم نزل قوله تعالى « انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم (١) » فتسلل بعض الحاضرين ودخلوا الاسلام سراً اذ لم يكن فى وسعهم أن يعلنوا ذلك ، وعندما نزلت هذه الآية الكريمة ظن بعض الكفار أنهم يستطيعون إحراج الرسول فقالوا له : هل معنى هذا أن عيسى سيكون فى النار مع عابديه ؟ فأجاب عليه السلام بأن كل من أحب أن يُعْبَد من دون الله أو مع الله سيكون مع عابديه فى النار ، وليس عيسى من هؤلاء ، وتلا عليه السلام قوله تعالى : (مخاطبا عيسى) « أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله ؟ قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ، ان كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك ، انك أنت علام الغيوب ، ما قلت لهم الا ما أمرتنى به أن أعبدوا الله ربى وربكم ... (٢) •

وهناك محاورة هامة جرت بين الرسول صلوات الله عليه وبين عدى ابن حاتم الطائى وكان هذا قد اعتنق المسيحية ، وقد أورد ابن هشام (٣) هذه المحاورة التى انتهت بأن أعلن عدى دخول الإسلام وتبعه قومه ، وقد ذكرت هذه المحاورة فى الجزء الأول من موسوعة التاريخ الاسلامى (٤) •

وهناك محاورات ومجادلات كثيرة حول البعث جرت بين الرسول وبين بعض المشركين وبخاصة أبى بن خلف ورواها القرآن الكريم مدللا على الاتجاه الاسلامى القويم قال تعالى : « وضرب لنا مثلا ونسى خلقه ،

---

(١) سورة الانبياء الآية ٩٨ •
(٢) سورة المائدة الآيات ١١٦ — ١١٧ •
(٣) السيرة النبوية ج ٤ ص ١٦٦ وما بعدها .
(٤) ص ٤٢٦ وما بعدها من الطبعة العاشرة .

قال من يحيى العظام وهى رميم ؟ قل يحيها الذى أنشأها أول مرة [١] » .

وجرت مناقشات بين اليهود وبين الرسول حول الكتب المقدسة وكان « محسور بن سبحان » هو المتحدث عن اليهود ، فقال للرسول : ما دليلك على أن القرآن من عند الله ، فنزل قوله تعالى « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً [٢] » .

وأدرك اليهود عظمة القرآن الكريم فتواصوا بعدم النظر فيه حتى لا يغلبهم ، فنزل قوله تعالى يحكى قولهم : « لا تسمعوا لهذا القرآن ، والغوا فيـــه » [٣] .

ـــ وجرت مناقشات واسعة بين الرسول وبين اليهود يرويها القرآن والسنة ، فقد كان اليهود كثيرى الجدال مع الرسول ، وقد دخل الرسول عليهم مرة بيتاً كانوا يجتمعون فيه اسمه « بيت المدراس » فدعاهم الى الله والى وحدانيته ، وناقشهم فى ادعائهم بأنهم الأخيار وأنهم بمنجاة من النار ، وأجرى مقارنة بين كتبهم المحرفة وبين القرآن الكريم ، وأيدته آيات القرآن الكريم وسجلت هذه المحاورات ، ومن ذلك قوله تعالى :

ـــ ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ، ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار الا أياماً معدودات وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون [٤] .

ـــ « وأوحى الى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ ، أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى ، قل لا أشهد ، قل انما هو اله واحد ، وأنا برىء مما تشركون [٥] » .

---

(١) سورة يس الآية ٧٨ .
(٢) سورة النساء الآية ٨٢ .
(٣) سورة فصلت الآية ٢٦ .
(٤) سورة آل عمران الآية ٢٤ .
(٥) سورة الأنعام الآية ١٩ .

ـ مِنَ الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ، ويقولون سمعنا وعصينا [١] » .

ـ يحرفون الكلم عن مواضعه ، ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم [٢] .

وقد دخل كثير من قادة اليهود الاسلام بعد هذه المحاورات وأخلصوا له مثل عبد الله بن سلام وثعلبة بن سعيد وأسد بن عبيد ، ولولا تعصب اليهود ، وما كان يطغى عليهم من عمى يجعلهم لا يفكرون ، لكان من الممكن أن يكثر تدفقهم على الاسلام . وهناك حديث طويل أورده البخاري (جـ ٥ ص ٦٩) ويروى مجادلة ومناقشة بين الرسول وبين عبد الله بن سلام انتهت باسلام عبد الله .

وجرت مناقشات كثيرة بين الرسول ووفد نجران من النصارى ، وقد ذكر هؤلاء للرسول أن المسيح إله لأنه أحيا الموتى وأبرأ المرضى وعرف الغيب ، فقال لهم الرسول : ان ذلك كان بعون الله ومشيئته ، وتلا عليهم قوله تعالى « وَرسولا الى بنى اسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم ، أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً باذن الله ،وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيى الموتى باذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم » [٣] ، وتلا أيضاً قوله تعالى : « لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم » [٤] وسأل واحد منهم الرسول قائلا : أتريدنا يا محمد أن نعبدك كما نعبد عيسى ؟ فقال الرسول : معاذ الله أن نعبد غير الله ولست الا عبداً لله ، ونزل قوله تعالى : « ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لى من دون الله » [٥] .

(١) سورة النساء الآية ٤٥ .
(٢) سورة المائدة الآية ١٣ .
(٣) سورة آل عمران الآية ٤٩
(٤) سورة المائدة الآية ١٩ .
(٥) سورة آل عمران الآية ٧٩ .

ويذكر التاريخ أن كثيرين من نصارى نجران دخلوا الاسلام بعد هذه المناقشات ، ولدينا الكثير من المحاورات والمجادلات فى قضايا الأديان وبخاصة قضية الألوهية ، وقضية النبوة ، وقضية الكتاب المقدس ، ولكنا نكتفى بهذه اللمحة ، ونحيل من يرغب فى دراسات واسعة حول هـذا الموضوع الى الرجوع الى سلسلة مقارنة الأديان التى كتبتها فى أربعة مجلدات ، وأعيدت طبعاتها عدة مرات ، وترجمت إلى عدة لغات ٠

على أنه بقى أن نقول عن مقارنة الأديان انه علم كبير الفائدة للاسلام ، اذ أن الأديان من منبع واحد هو الله سبحانه وتعالى : والاسلام خـاتم الأديان ، ولذلك كان أشمل وأكمل ، وقد وضحنا ذلك فى دراستنا عن « تطور الرسالات مع تطور الجنس البشرى » التى قدمناها بالجزء الثالث مـن سلسلة مقارنة الأديان ، ثم أن علم مقارنة الأديان سيعرض للباحث تاريخ كل دين ، وما حدث به من خلل أو انحراف خلال رحلته التاريخية الطويلة ، كما سيوضح علم مقارنة الأديان أسباب بعد بعض المسلمين عن الدين الصحيح ، ويعالج هذا الأمر بعناية ليعود المسلمون الى دينهم القويم ٠

ومن أجل أهمية علم مقارنة الأديان اهتم به المسلمون الأوائل اهتماماً كبيراً ، وعقدوا له حلقات مجادلة ، وحلقات عرض ، وحققوا فيها نصراً مؤزراً ، وكتب فيه المسلمون فى وقت مبكر ، أو عندما كتبوا العلوم الاسلامية المختلفة ، ومن أشهر الكتاب المسلمين فى علم مقارنة الأديان النوبختى (ت ٢٠٢ هـ) الذى كتب كتابه (الآراء والديانات) والمسعودى (ت ٣٤٦هـ) وقد كتب كتابين عن (الديانات) والمسبحى (ت ٤٢٠) وكتب كتابه (درك البغية فى وصف الأديان والعبادات) وهو كتاب مطول يقع فى حوالى ٣٠٠٠ ورقة ، وكثر بعد ذلك التأليف فى هذه المـادة ، ومن أبرز الكتب التى كتبت عن الملل والنحل واتخذت هذه التسمية عنواناً لها كتاب (الملل والنحـل لابن منصور البغدادى (ت ٤٢٩ هـ) وكتاب (الفصل فى الملل والأهواء والنحل (لابن حزم الأندلسى (ت ٤٥٦) وكتاب (الملل والنحل) للشهرستانى (ت ٥٤٩ هـ) وغيرها من الكتب ٠

ولم يكن هذا العلم موجوداً قبل الاسلام وانما ابتكره المسلمون ، ويذكر آدم متز [١] ذلك بقوله : ان تسامح المسلمين مع اليهود والنصارى ، ذلك التسامح الذى لم يسمع بمثله فى العصور الوسطى كان سبباً فى ظهور علم مقارنة الأديان ، ولم يكن هذا العلم وسيلة لدى المسلمين للحط من الأديان الأخرى ، وانما كان دراسة وصفية علمية لا تعصب فيها ، تؤدى الى نتائجها الطبيعية .

وسنرى فيما بعد كيف ولماذا اختفى هذا العلم من المناهج الاسلامية ومن المعاهد الاسلامية ، وكيف انتقل زمامه الى الغرب ، فأصبح اليهود والمسيحيون يعرفون ديننا ونحن لا نعرف أديانهم ، وأصبحوا يتخذون هذه المعرفة وسيلة للهجوم على ديننا ، بل وصل الأمر ببعض المسلمين الى اعتبارهم علم مقارنة الأديان تضييعا للوقت أو ربما عدوه منكراً ، والتجربة العلمية التى قمت بها تثبت فائدة علم مقارنة الأديان ، فما كدت أنشر سلسلة مقارنة الأديان حتى تخطفها الناس وأعيدت طبعاتها تسع مرات فى مدى وجيز على الرغم من الأعداد الهائلة التى تطبع فى كل طبعة ، وترجمت الى عدة لغات ، وأخذت مكانها وشقت طريقها الى جمهور عريض من المثقفين ، ولعبت دورها فى جذب عدد هائل الى الاسلام فى الولايات المتحدة واستراليا وجنوب شرقى آسيا وغيرها من البقاع ، كما لعبت دورها فى ربط قلوب مسلمة بالاسلام كانت قد أوشكت أن تبعد عنه بجاذبية الغرب وجفاف الدراسات الموجودة عن الاسلام .

الغرب والدعوة لإحياء مقارنة الأديان

على أن اتجاهنا الحديث لإحياء علم مقارنة الأديان أثار ثائرة الخوف لدى المتعصبين من المستشرقين ولدى من يناصرونهم من أصحاب النفوذ ، ولهذا سرعان ما أدركت بعض الجامعات بالغرب خطورة احياء علم مقارنة

---

(١) الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ج ١ ص ٣٦٦ .

الأديان بأرض الاسلام ، وخافت أن ينتعش فى المعاهد الاسلامية فأسرعت بإنشاء أقسام له فى جامعاتها ، ودعت له الطلاب من مختلف الأنحاء ويسرت لهم السبيل للحياة ، وعندما كنت فى مؤتمر اسلامى بالرياض عام (١٣٩٨ هـ — ١٩٧٧ م) كانت جامعة بنسلفانيا بأمريكا توزع منشورات عن المعهد الهائل الذى افتتح لهذه الدراسة ، وتدعو الراغبين للالتحاق به . وتذكر ألوان التيسيرات التى ستقدم للطلاب هناك .

وهذه صيحة نقدمها قبل فوات الأوان ، فانى أخشى أن يدرس هذا العلم من زوايا تمس الاسلام كما هى العادة لدى الأغلبية العظمى من المستشرقين ومن سار فى فلكهم .

الحضارة الاسلامية

ذكرنا فى المقدمة العامة التى أوردناها فى صدر هذا الكتاب أن الحضارة الاسلامية من أسمى العلوم الاسلامية وأكثرها فائدة ؛ لأنها تبرز ما قدمه الاسلام للجنس البشرى من مآثر ؛ وهى منحة الاسلام لهداية البشرية ، وأنها ينضوى تحتها ثلاثة أنواع :

حضارة الخلق أو الحضارة الأصيلة : وهى الحضارة الاسلامية الأصيلة التى جاء بها الاسلام ولم تكن معروفة قبل الاسلام ، كالنهج الاسلامى فى السياسة وفى الاقتصاد وفى التربية والحياة الاجتماعية والعلاقات الدولية وغيرها .

حضارة البعث أو الحضارة التجريبية : وهى الحضارة التى كانت موجودة قبل الاسلام ثم ذبلت واختفت ، ثم أحياها المسلمون وطوروها وابتكروا فى مجالاتها ، وهى الحضارة المرتبطة بالعلوم التجريبية كالطب والرياضة والفلك والزراعة والموسيقى غيرها .

حضارة التاريخ أو الدول : وهى الحضارة التى تقدمها دولة من الدول الاسلامية لشعبها أو له ولغيره من الشعوب فى مجال الاقتصاد (الزراعة والتجارة والصناعة) وفى مجال الصحة ، والعمران ، والتعليم ، والأمن الداخلى ، والأمن من العدوان الخارجى ، وهذا النوع (الثالث) من الحضارة مكانه التاريخ الاسلامى ؛ فالكاتب فى التاريخ الاسلامى أو معلم التاريخ عندما يتحدث عن تاريخ دولة من الدول ، ويعرض الأحداث المرتبطة بها ، ينبغى أن يقف وقفة يذكر فيها جهودها فى الاقتصاد والصحة والتعليم .. أما النوع الأول والثانى من أنواع الحضارة فيكونان مادة قائمة بذاتها هى مادة الحضارة الاسلامية وهى التى نشير لها هنا وهى التى دونتها فى « موسوعة الحضارة الاسلامية » بأجزائها العشرة .

وعندما نتتبع المعلمين الأول فى الإسلام نجد كثيرا من الاهتمام بوجه الحضارة الاسلامية ، وطبيعى أن الرسول كان المعلم الأول وأحاديثه الشريفة ومواقفه المتعددة تعتبر خير دليل على اهتمامه بموضوعات الحضارة ، ففى المجال السياسى يتجه الرسول بدقة الى تنفيذ قوله تعالى :

— وشاورهم فى الأمر (١) .

— وأمرهم شـــورى بينهم (٢) .

فيستشير فى غزوة بدر وينزل على رأى الحباب بن المنذر عندما أيدته الأغلبية فى اختيار مكان الموقعة ، وفى غزوة الأحزاب ينزل على رأى سعد بن معاذ وأهل المدينة ، ويرجع عن رأيه هو فى المصالحة مع المهاجمين من أهل الطائف ، وتدلنا الزوايات التاريخية على أنه كان يكثر من أستشارته لأصحابه، حتى قال أبو هريرة : ما رأيت أحدا قط كان أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان أبو بكر وعمر فى مقدمة الصحابة الذين كان يعتمد عليهم ، وقد روى أنه قال : « وأيم الله لو أنكما تتفقان على أمر ما خالفتكما فيه » ومن أجل هذا اتخذ الخلفاء الراشدون مجالس للشورى بعد الرسول وساروا على نهجه بكل دقة وعناية .

وفى المجال الاقتصادى تنطلق آيات كثيرة جدا لتلزم الغنى أن يعطى الفقير حقه مما يملك ، وقبل الاسلام كان الفقير هو الذى يعمل للغنى أو يقدم له كسبه ؛ ومع آيات الذكر الحكيم يقف المعلم الأول موقفاً رائعاً حين يقـــول :

— ما آمن بى رجل بات شبعان وجاره جائع وهو يعلم .

— أيما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائعا فقد برئت منهم ذمة الله .

— من كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له .

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٥٩.

(٢) سورة الشورى الآية ٣٨ .

اذا جئنا الى مجال التعليم ظهر أمامنا ما سبق أن وضحناه من أن الاسلام فتح باب العلم للجميع بعد أن كان العلم خاصاً بالكهنة ، وقد أوردنا من قبل الآيات والأحاديث الدالة على ذلك وأنشأ المسلمون المساجد منذ وقت مبكر جدا ، وكان التعليم من أهداف المسجد ومسئولياته ، وسرعان ما تخرج جيل من العلماء يتحدرون من أسر فقيرة أو مختلفة الاتجاهات فى الحياة العملية •

وفى مجال العلاقات الدولية فتح الإسلام أبوابا للمسلمين ليقيموا علاقات مع الدول والجماعات غير الإسلامية ، وتشمل هذه العلاقات نظام السفارات والتبادل التجارى ، وتبادل العملات ، كما تشمل التعاون الثقافى ، وكثيرا من الارتباطات الاجتماعية ، وقدم الإسلام كذلك فكرا جديدا يخفف ويلات الحرب إذا كان لابد من الحرب ، فألزم ألا يقتل طفل أو شيخ أو امرأة ، ولا يهدم منزل ، ولا يحرق زرع ، ولا يؤذى حيوان ، وكانت تلك مآثر لم تعرفها البشرية من قبل ، بل لا يزال الكثيرون من الناس يجهلونها وبخاصة من غير المسلمين ، والآيات والأحاديث فى ذلك أشهر من أن تورد هنا وقد ذكرتها فى الجزء التاسع من موسوعة والحضارة الاسلامية •

وكان للحضارة الاسلامية دور كبير فى تحرير الرقيق وتحرير العقول وفى موضوعات كثيرة أخرى ، أشرنا لها فى المقدمة السابقة وقد أوردناها بافاضة فى الموسوعة سالفة الذكر •

ومن الواضح أن مبعوثى الرسول الى البلدان المختلفة اتبعوا نهجه فى عرض قضايا مقارنة الأديان والحضارة الاسلامية ، بالاضافة الى تعليم الصلاة وغيرها من التشريعات التى كانت قد نزلت ، فيروى أن الرسول عندما أرسل مصعب بن عمير الى يثرب قال له : أقرئهم القرآن وعلمهم الاسلام وأمهم فى الصلاة ، وعندما بعث معاذاً الى اليمن أوصاه بقوله : علمهم مكان الاسلام بين الأديان ، ويسر ولا تعسر ، واعلم أنك ستقابل قوما من أهل الكتاب يسألونك : ما مفتاح الجنة ؟ فقل : شهادة ألا اله إلا الله

وحده لا شريك له . وفى يوم خيبر أراد الرسول أن يعطى الراية رجلا يفتح الله عليه ، فسأل : أين على ؟ فعرف أنه يشتكى ألما فى عينيه فدعا له فبرأ وحضر ، فقال له الرسول : اذا نزلت بساحتهم فادعهم الى الاسلام فان جادلوك فجادلهم بالتى هى أحسن ، وأخبرهم بما يجب عليهم ، فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم (١) .

فاذا قفزنا الى عهد الشريف الرضى وجدنا حلقاته مع الصائبة كانت مكانا خصبا لعرض قضايا الأديان والحضارة الاسلامية ، وكانت تجذب الوفير من الناس فى كل لقاء لدخول الاسلام (٢) .

وهكذا كانت الحضارة الاسلامية منحة الاسلام لهداية البشرية ، وهكذا جاءت الحضارة الاسلامية لبنى الانسان بما يضمن لهم السعادة لو تدارسوها واتبعوها ، ولكن هذه الحضارة اختفت تقريبا من مناهج الدراسة ، ولم يبق لها الا شبح هزيل قليل المدلول ، وسنرى فيما بعد كيف ولماذا ذبل هذا العلم العظيم .

بيت الحكمة ودوره فى الحضاره :

ويعتبر من معالم الحضارة الاسلامية انشاء بيت الحكمة ببغداد فى عهد هارون الرشيد ، ويعتبر هذا المعهد أهم مجمع علمى شيد منذ انشاء جامعة الاسكندرية فى النصف الأول من القرن الثالث ق . م . وفى بيت الحكمة الذى تحدثنا عنه من قبل ترجمت أمهات الكتب من اللغات المختلفة وفى موضوعات متباينة الى اللغة العربية ، وجلس العلماء أمام هذه الكتب جلسات فكرية رائعة ، ذات مراحل متعددة أشرنا لها من قبل : وقد وصلوا الى قمة المراحل عندما ألفوا وابتكروا فى هذه الموضوعات ، فوضعوا فى الطب والرياضة والموسيقى والزراعة والبيطرة والأدوية وغيرها مؤلفات قيمة كانت عماد الفكر فى تلك العصور ، وهى التى نقلت الى

---

(١) ابن هشام جـ ١ ص ٢٦٨ وانظر كذلك الصحيحين .

(٢) انظر رسائل الشريف الرضى .

أوربا فوضعت أساس عصر النهضة ، وهكذا ازدهر فى بيت الحكمـــة ما أسميناه من قبل (حضارة البعث) .

علوم أخرى مع مقارنة الأديان والحضارة الاسلامية :

استكمالا لمنهج الدراسات الاسلامية نقرر أنه كانت هناك علوم أخرى معه بجانب مقارنة الأديان والحضارة الاسلامية ، وسنذكرها دون حاجة الى أن نطيل الوقوف معها لأنها معروفة مشهورة ، وذلك كالفقه الاســـلامى الذى يشرح التشريعات الاسلامية فى شئون العبادات والمعاملات ليستطيع المسلم أن يعبد الله كما يريد الله ، وليتعامل مع البشر معاملة تتفق مع التشريع الاسلامى ، وكتفسير القرآن الكريم الذى كان يقصد به أيضاح ما قـــد يغمض على الانسان من كلمات الكتاب الحكيم أو عباراته ، وكدراسة أحاديث الرسول للانتفاع بما بها من فكر وخلق ، وكعلوم اللغة التى تساعد على فهم كتاب الله وسنة رسوله والتى كتب بها الفكر الاسلامى ، وسنتكلم عن هذه العلوم ومـــا حدث لها بعد قليل .

التعليم بالاقتداء :

ولكن ينبغى أن يتضح أن تعليم هذه الدراسات كان فى الصدر الأول للاسلام يتم بروح اليسر ، وكان فيه كثير من القصـــد والاعتدال ، فقـــد علّم الرسول الصلاة للمسلمين تعليما واقعياً فى فترة وجيزة ، إذ توضأ أمامهم وصلى ثم قال : صلوا كما رأيتمونى أصلى ، وفى الحج قادهم الرسول لأداء الشعائر وقال لهم : خذوا عنى مناسككم ، وفى تفســـير القرآن كانت تغمض كلمة أو آية على بعض الناس فيسألون الرسول عن معناها فيجيب عن ذلك ، وقد روى أن الرســـول سئل عن معنى كلمة ضيزى فى قوله تعالى « قسمة ضيزى » فقال « جائرة » ولمـــا نزلت الآية الكريمة « وكلـــوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر[1] » ،

---

(١) سورة البقرة الآية ١٨٧ .

سأل علي بن حاتم رسول الله عن الخيطين فقال الرسول : الشعاع الأول من النهار الذى يطارد سواد الليل .

ومن تتبع تاريخ المناهج في صدر الاسلام يتضح لنا أن الرسول كان لا يحب أن يسأل عن الأشياء التى لا تدعو الحاجة اليها ، وكان ذلك اتباعا لقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم [١] » وقد شاع عند المسلمين الأول هذا الخلق أى ألا يسأل الرسول عن تفسير آية أو ايضاح حكم لم تدع الضرورة له ، وقد روى عن ابن عباس أنه قال : ما رأيت قوما قط كانوا خيراً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما كانوا يسألونه إلا عند الحاجة ، وكان عمر بن الخطاب يلعن من سأل عما لم يكن [٢] .

وينبغى أن نوضح أن التعليم عن طريق التجربة هو الذى لا يزال متبعاً فى الحياة الواقعية حتى اليوم ، فالصبى يتعلم الصلاة والصوم من ذويه وهو حدث ، ويعيش على ذلك حياته حتى لو اتجهت ثقافته الى الدراسات الدينية دون أن يجد فى التفاصيل والفروض التى يدرسها ما يستدعى اجراء أى تعديل ذى بال فيما تلقاه من ذويه فى مطلع العمر .

وقد صام الآباء والأجداد وصلوا ، وأدوا فريضة الحج ولا يزالون يفعلون ، وهم يتبعون التجربة العملية التى سن الرسول صلوات الله عليه سنتها ، دون حاجة الى التفاصيل والفروض التى أدخلتها عصور الظلام كما سنرى فيما بعد .

ومع العلوم التى كانت موجودة بالمناهج اهتم المسلمون بالسلوك واتباع الفكر الاسلامى فى الأخلاق والمعاملات ، والقرآن الكريم ، وأحاديث الرسول فيهما ثروة هائلة فى هذا المجال ، وكان المسلمون الأول — كما

---

(١) سورة المائدة الآية ١٠١ .

(٢) انظر تاريخ التشريع الاسلامى للمؤلف ص ١٣٩ .

ذكرنا من قبل ـــ اذا حفظوا عشر آيات من القرآن توقفوا دون أن يتجاوزوها حتى يفهموا معناها ويعملوا بما بها • وهـذا جعل السلوك الإسلامى والحضارة الإسلامية يسيران جنبا الى جنب مع حفظ القرآن الكريم •

تلك صورة سريعة للمناهج الاسلامية فى العصـور الاسلامية الأولى ، وقد أثمرت هـذه المناهج آنذاك وأينعت ، وحملت الفكـر الاسـلامى عبر الآفاق الى ملايين الناس ، وقدمت الهداية الى جموع غفيرة من جموع المجتمع البشرى ، وجمعت المسلمين حول مركز واحد لا فرق فيه ولا مذاهب، ولا غموض فيه ولا فروض ، وسنرى فيما يلى كيف امتدت يد الظلام الى هذه المناهج فحولتها من حال الى حال •

عصــور الظــلام
وماذا فعلت بالمناهج الاسلامية

بدأت عصور الظلام تطل قبيل نهاية عهد الخلفاء الراشدين ، حينما ظهرت انحرافات مدعى التشيع التى أدت الى مقتل الخليفة عثمان بن عفان ، واتجهت للمبالغة فى مكانة الامام على ، ولكن الامام وقف منهم موقفاً حازماً على نحو ما شرحنا فى مكان آخر (١) . بيد أن مبالغات الشيعة استأنفت نشاطها بعد مقتل الامام على حتى انتصرت باسقاط الأمويين وإقامة الخلافة العباسية .

ومن الواضح أن الفرس هم الذين حملوا عبء مقاومة الأمويين ، فقد عز على الفرس أن تسقط امبراطوريتهم بسيوف العرب ، وأدرك الفرس ألا حــول لهم فى مواجهة العرب عســكريا ، فاتجهوا لمحاربة أفكارهم الاسلامية وافسادها وكانوا بذلك من أهم العناصر التى أفسدت المناهج الاسلامية ليفسدوا الاســلام عن هــذا الطريق (٢) .

واستطاع المماليك أن يستولوا على السلطة ابتداء من العصر العباسى الثانى فتفكك العالم الاسلامى وانحل الى دول متعددة متصارعة ، فظهر منذ ذلك الوقت ملوك وغاصبون لم يتعمق الاسلام فى قلوبهم ، ولم تتوافر فيهم شروط السيادة .

وظهرت المذاهب الأربعة وهى فى الأصل نعمــة لأنها تضع أمــام المسلمين حلولا متعددة يختارون منها ما يناسبهم ، ولكن الأجيال التالية

---

(١) انظر الحديث عن الشيعة ومدعى التشيع فى الجزء الثانى من موسوعة التاريخ الاسلامى للمؤلف .

(٢) انظر حديثنا عن الزنج والقرامطة وغيرهم من الحركات التى قامت على الخليج العربى بمنطقة يتضح بها نفوذ الفرس ، وذلك فى الجــزء السابع من موسوعة التاريخ الاسلامى .

تعصبت لهذه المذاهب ، واعتبرتها أصلا للشريعة ، واعتبرت المصادر الاسلامية الأولى فروعا ، ويقول الأستاذ الشيخ محمد الخضرى فى ذلك : بلغ الأمر بأتباع المذاهب أن جعلوا الأصل فرعا والفرع أصلا ، فأصبحوا يتخذون رأى الامام أصلا فان خالفته آية أو حديث فهما مؤولان أو منسوخان ، وفى ذلك يقول أبو الحسن عبد الله الكرخى : كل آية تخالف ما عليه أصحابنا فهى مؤولة أو منسوخة ، وكل حديث كذلك فهو مؤول منسوخ [١]

تلك بشكل مجمل هى الأسباب التى قادت للانحراف الذى سنعرض لابراز بعض التفاصيل عنه فيما بعد ، ولكن ينبغى أن نذكر أن البصرة والكوفة لعبتا دوراً مهما فى الاتجاه نحو الانحرافات ، فهما فى أرض كانت قد احتلها الفرس أكثر من ألف عام قبل الفتح الاسلامى (من سقوط الكلدانيين سنة ٥٣٧ ق ٠ م حتى الفتح الاسلامى سنة ٦٣٣ م) وكان يقيم بها عدد من الفرس ، وفيها أقام كسرى إيوانه المشهور ، وقد صعب على الفرس فى هذه المنطقة أن يصبحوا خاضعين للعرب ، فأثاروا المشكلات وابتدعوا المذاهب وكانوا وراء كل الحركات التى صارعت الاسلام [٢] ٠

ويقول Wellhausen [٣] إنه وجد بالبصرة والكوفة عدد كبير من الأجانب وبخاصة جماهير الايرانيين الذين كانوا أسرى حرب ، ثم اعتنقوا الاسلام ٠

ووجدت بالبصرة والكوفة مدارس اللغة العربية التى نقلت اللغة الى القواعد وتعمقت فى ذلك ، وفى هذه المنطقة نشأ علم الكلام فى القرن

---

(١) تاريخ التشريع الاسلامى ص ٣٣٣ ٠

(٢) انظر الحركات الفارسية بمنطقة الخليج فى الجزء السابع من موسوعة التاريخ الاسلامى للمؤلف ٠

(٣) Arab Kingdom and its Fall p. 71.

الهجرى الثانى ، وقد جلس واصل بن عطاء (١٣١ هـ) يعلمه لأول مرة فى مسجد البصرة كما سنرى فيما بعد .

لكل ذلك ظهر أخطر حدث أدى الى ضعف الدراسات الاسلامية وهو الانحراف بالمناهج الدراسية على النحو الذى ذكرناه من قبل .

ومظاهر هذا الانحراف هى كما ذكرنا من قبل :

(أولا) اختفاء أهم العلوم الاسلامية من المناهج .

(ثانياً) انحراف علوم اسلامية أخرى .

(ثالثاً) بروز علوم جديدة أسمت نفسها اسلامية وهى ليست من الاسلام فى شىء وسنتكلم بشىء من التفصيل عن كل مظهر من هذه المظاهر فيما يلى :

العلوم التى اختفت من المناهج

قلنا من قبل إن علم مقارنة الأديان وعلم الحضارة الاسلامية اختفيا من المناهج ابتداء عن عصور الضعف ، وسنوضح فيما يلى لماذا اختفى هذان العلمان :

اختفاء علم مقارنة الأديان وأسبابه :

اختفى علم مقارنة الأديان للأسباب التالية :

١ — ازدحمت قصور الملوك والخلفاء فى عصور الضعف بزوجات من أهل الكتاب كما ظهر فيها الأطباء والوزراء من غير المسلمين ، وبنفوذ هؤلاء ضعف صوت علم مقارنة الأديان الذى كان يطعن فى التثليث وفى ألوهية عيسى وغيرها من المبادىء التى كانت الزوجات المسيحيات والعظماء المسيحيون يدينون بها ، وقد استطاع أصحاب النفوذ بالرهبة أو الترغيب أن يسكتوا أصوات المتحدثين فى مقارنة الأديان ، وأن يقللوا أهمية هذا العلم فى المناهج الاسلامية ، ثم يخلعونه خلعا من الدراسة ، وفى عصر عبد الناصر حدث شىء قريب من ذلك ، فقد حاولت ادارة المطبوعات أن توقف كتبى فى مقارنة الأديان بسبب تدخل بعض أصحاب النفوذ من المسيحيين ، ولولا ما اصطنعت من حيل لتحقق لأصحاب النفوذ ما أرادوا عن طريق تأثيرهم فى الحاكم .

٢ — زحف الصليبيون على الشرق الاسلامى فى أواخر القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) وأرادوا تدمير العالم الاسلامى ، وأحس المسلمون أن الصليبيين لا يعرفون التسامح الدينى ولا الجدال بالحسنى ، وأنهم يستحلون دماء المسلمين بدون ذنب أو جريرة ، فراح المسلمون يواجهون الصراع بالصراع ، وبالتالى خفت صوت المجادلة بالحسنى ، ويوماً بعد ضعف علم مقارنة الأديان واتجه للذبول .

٣ — فى عصور الضعف اتجه أكثر الفقهاء الى للتعصب للمذاهب كما قلنا من قبل ، وقلّ أو انعدم اطلاع أتباع مذهب على المذاهب الأخرى وأدلتها ، ومن باب أولى قلّ أو انعدم اطلاعهم على الأديان الأخــرى وقضاياها ، وبدل أن يعدّوا ذلك نقصا عدّوه حسنه ، وناموا فى ساحتها .

٤ — كان كلٌ من أتباع ديانات مـا قبل الاسلام يرى أن دينـه هو الدين الأوحد ، ويَعُدُّ ما سواه من الأديان هرطقه وضلالا لا تستحق بحثا أو دراسة ، فلما اختلط الصليبيون بالمسلمين فى فترات الهدنة بفلسطين ، وسمع المسلمون هذا القول من الصليبيين دان به بعضهم ووُجِد من المسلمين من يرى أن البحث فى الأديان الأخرى مضيعة للوقت ، بل ربما عدوه مكروها أو حراما ، ناسين ما سبق ان أوردناه من آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول التى تحث عليه ، وقد انحدر هذا الاتجاه من قرن الى قرن .

ومن عجب أن الصليبيين الذين أشــاعوا هــذا الرأى فى المسلمين التقطوا الزمام وتعلموا من المسلمين أسس علم مقارنة الأديان ، وراحوا به يغمزون الاسلام والفكر الاسلامى .

ومات هذا العلم العظيم فى ثنايا هــذا الظلام ، وفقدت المنــاهج الاسلامية بفقده عِلْما يُعَدُّ من أنفع العلوم الاسلامية وأمتعها .

اختفاء علم الحضارة الاسلامية وأسباب ذلك :

تكلمنا من قبل عن أنواع الحضارة الاسلامية فذكرنا أنها تشمل حضارة الخلق وحضارة البعث (الحضارة التجريبية) وحضارة التاريخ أو الدول . وأوجزنا ما ينطوى عليه كل نوع من هذه الأنواع ، وقد اختفت هــذه الحضارة من المناهج بمؤامرات ينبغى التعرف عليها وبالتالى القضاء عليها .

وهذه المؤامرات أو هذه الأسباب هى :

— اختفى المنهج الاسلامى فى مجال السياسة لأن هذا المنهج يهتم

بالشروط التى يلزم أن تتوافر فى الخليفة أو الرئيس ويلتزم ولى الأمر بالشورى خلال حكمه ، ويجيز عزله عند الاقتضاء ، ولا يقبل التوارث فى الحكم .

وكل هذه المبادىء كانت فى عصور الظلام ضد رغبة الحكام ، فقاوم هؤلاء هذا الاتجاه الذى يمثل ركنا مهما من أركان الحضارة الاسلامية وكانت وسيلتهم للقضاء عليه ابعاده عن المناهج حتى لا يعرفه جيل الطلاب ويختفى يوما بعد يوم .

ــ اختفى المنهج الاسلامى فى مجال الاقتصاد لأن الثراء كان فى أيدى أصحاب النفوذ ، ولم يُرِدْ هؤلاء أن يدفعوا حق الفقير وحق الدولة ، فاتجهوا الى محاربة الاتجاهات الاسلامية الاقتصادية ، وبالتالى تعطل جانب مهم من جوانب الحضارة الاسلامية ، وقنع الباحثون بالحديث عن الزكاة مع أن الزكاة ليست إلا جزءا من الالتزامات التى يلتزم الأغنياء بها تجاه الفقراء وتجاه الصالح العام (١) .

ــ اختفى النهج الاسلامى فى مجال الرق ، ذلك النهج الذى يقضى على الرق تبعا لقوله تعالى « حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منًّا بعد وأما فداء (٢) »وبقوله عليه السلام : (شر الناس من باع الناس) وكان اختفاء النهج الاسلامى استجابة لرغبات القصور التى حشدت بالغوانى والعبيد ، فلم تسمح هذه القصور بتعليم ما يتنافى مع متع السادة ولذائذهم .

ــ واختفى النهج الاسلامى فى موضوع العلاقات الدولية الذى أوجزناه آنفا ، لأن شعار الحرب غلب على القوم ، ولأن الزعماء كانوا يتوقون للنصر بأى ثمن ، كما كانوا يسعون للغنائم ، فأزالوا من المناهج ما يخالف رغباتهم فى هذا الاتجاه .

---

(١) انظر فى ذلك كتاب الاقتصاد فى التفكير الاسلامى للمؤلف .

(٢) سورة محمد الآية الرابعة .

وهكذا اختفت من المناهج الاسلامية أنواع الحضارة الاسلامية ، وعاماً بعد عام ، وقرنا بعد قرن خلت المعاهد الاسلامية من الحديث عن هذه الحضارة التى هى مفخرة الاسلام والمسلمين ، ولم يبق من الحضارة الا قدر شاحب كالاشارة الى قصر الحمراء بغرناطة أو الجامع الأزهر بمصر ، أو الجامع الأموى بدمشق ، أو كالتغنى بالحضارة الاسلامية التى زحفت من الأندلس ، أو من فلسطين الى أوربا [1] فعلمتها علوماً اهملها أصحابها الأصليون ، وقنعوا منها بالذكريات .

وفى مطلع النهضة الفكرية بالعالم الاسلامى اتجهت الدول الاسلامية لارسال المتخرجين المتفوقين من جامعاتها لاستكمال دراساتهم العليا فى أوربا فجلس الطلاب المسلمون يتلقون مناهج البحث وصور النقد والمقارنة ... عن المستشرقين ، ولم يكن المستشرقون حريصين على ابراز الحضارة الاسلامية الأصلية أو احيائها ، فتركوها فى الظلام ، ولكنهم لم يستطيعوا اخفاء النظم الاسلامية وهى المؤسسات التى أقامها المسلمون عبر التاريخ لتنفيذ الحضارة كالجامعات والمكتبات والمستشفيات والمناصب لأن هذه النظم كانت حقيقة واقعة ، وكانت من الشهرة بحيث لم يمكن تجاوزها ، فدرسوا لنا فى أوربا منهجاً عنوانه النظم الاسلامية Islamic institutions وعاد المبعوثون المسلمون فألفوا فى النظم الاسلامية ، ولم يقربوا من التأليف فى الحضارة الاسلامية .

---

(١) عن طريق الأندلس انتقلت الى أوربا حضارة المسلمين التجريبية ، فقد حرص ملوك أوربا على الاستفادة بما لدى المسلمين من طب وهندسة ... فأوفدوا الطلاب للجامعات الاسلامية وشجعوا ترجمة الكتب العربية فى هذه العلوم الى لغاتهم ، أما الشورى والنهج الاقتصادى وحقوق المرأة ... فقد قاومها ملوك الغرب لانها تنقص حقوق السادة ، ولكن هذه العلوم قاومت ووجدت طريقها الى الغرب خلال الحروب الصليبية بواسطة الاحتكاك بين المسلمين والصليبيين وبخاصة فى فترات الهدنة ، ثم انتقلت الحضارة الاسلامية بنوعيها عن طريق أوربا الى أمريكا وغيرها من ربوع العالم وقد ذكرنا ذلك فى المقدمة السابقة التى صدرنا بها هذا الكتاب .

وكان اخفاء الحضارة مقصودا ، لأن بعض المستشرقين عرفوا سمات الحضارة الاسلامية وأشاروا اليها اشارات عابرة فى بحوثهم كما فعل Emerton, Kirk and Gosiph Calmith وغيرهم ولكن أحدا منهم لم يعمل على التنقيب عليها وعرضها كاملة ، وهو الدور الذى حاولت أن اقوم بـه .

ووجد بين المسلمين بل بين المفكرين من يقول أن عصر صدر الاسلام كان مشغولا بالدعوة ، واتجه العصر الأموى للفتوحات والتوسع ولم تزدهر الحضارة الا فى العصر العباسى . وهذا رأى يتجه الى ان الحضارة الاسلامية هى حصيلة الترجمات الى اللغة العربية وبخاصة فى بيت الحكمة ، وهذا رأى ضعيف نشأ عن عدم التعرف على الحضارة الاسلامية الأصيلة التى قدمها القرآن وأحاديث الرسول فى مطلع الاسلام ، ولم يكن دور بيت الحكمة الا شديد الارتباط بالحضارة التجريبية ، أما الحضارة الاسلامية الأصيلة فقد جاءت مع القرآن الكريم وأحاديث الرسول ، وتم تفصيلها وتدوينها فى العصر العباسى الأول كما ذكرنا من قبل .

وعندما اختفت الحضارة الاسلامية الأصيلة اختفت أيضا حضارة البعث وحضارة الدول ، فقد تراجع المسلمون ، ولم يهتم زعماء الدول الاسلامية بتقديم شىء للشعوب بها ، وقنع الحكام بالأنانية وأن يعيشوا لأنفسهم لا للناس .

وهكذا أصبحت الحضارة الاسلامية مجرد ذكرى ، بل عاداها كثيرون ممن لا يعرفون قدرها ، فقد رأينا بعض الكليات تحاول أن تحذف من المناهج الدراسية الساعات القليلة المخصصة للحضارة الاسلامية ، وأغلب الظن أن ضعف الوعى بهذه المادة هو الذى دفع الى هذا الاتجاه ، وقد تساءلت شخصيا عن سبب ذلك فقيل لى نحن لا نحذفها وانما ندمجها فى التاريخ الاسلامى . والاجابة تدل على عدم ادراك الفرق بين التاريخ الاسلامى وبين الحضارة الاسلامية ، وهو ما حاولنا ابرازه هنا .

العلوم التى انحرفت عن المسار الصحيح

اذا جئنا الى العلوم الاسلامية التى لم تختف من المناهج ، فاننا نجد الكثير منها قد انحرف عن المسار الصحيح ، وانتقل من روحانية الاسلام وجماله الى ماديات خشنة بعيدة عن صفاء الاسلام : وهذا الاتجاه يقول به كل الباحثين فى شئون المناهج الاسلامية ، وقبل أن انطلق عارضاً نماذج من انحراف الفقه والتفسير وغيرهما من العلوم الاسلامية أقتبس سطورا من بعض الباحثين المسلمين :

رأى الأستاذ محمد المبارك :

قام المرحوم الأستاذ محمد المبارك الوزير السورى (سابقا) بدراسة النظام الحالى للتعليم والمواد التى تدرس بالمعاهد والكليات الاسلامية ، وفى ذلك كتب يقول :

« أكثر ما يقرأ فى التفسير هو تفسير الجلالين والنسفى على ما فيهما من اسرائيليات • والغالب فى طريقة التفسير فهم الآيات مجزأة والمرور سريعا بآيات الأحكام دون تحقيق ودون الرجوع الى مجموع الأدلة ومقارنة الآراء ، ولذلك لم تنتج هذه الطريقة التعمق فى فهم مقاصد القرآن وكلياته الكبرى •

« وفى الفقه اتجهت الدراسة اتجاها مذهبياً ، ولا يدرس الطالب الا مذهبه ، ولا يطلع على المذاهب الأخرى ، وبهذا غلبت العصبية المذهبية •

« وفى أصول الفقه لم تتجه الدراسة لمعرفة طريق استنباط الأحكام ومناقشة الأدلة وفقاً لمناهج الأصول ، وانما جمدت الدراسة فى قوالب وأشكال تدرس وتحفظ •••

« وفى اللغة العربية انصبت العناية على مواد النحو والصرف والبلاغة وأصبحت مواد اللغة والأدب شعره ونثره قليلة الحظ ، ويدرس النحو وتكرر دراسته الى حد الاسراف

« واتجهت البلاغة الى كتب تغلب عليها الصبغة الفلسفية والى التعقيد فى الأسلوب مع بُعد عن الذوق الادبى ، وعلى هذا لا يوجد أى أثر للبلاغة فى تحسين أسلوب من يقرأونها ، ولا فى تكوين ملكة أدبية لديهم ، أما كتب اللغة والأدب كالأمالى والكامل والعقد الفريد والأغانى فقلّ بل ندر من يقرؤها [١] » .

رأى الأستاذ الحبيب الجنحانى :

ومثل هذا ما يقولـه الأستاذ الحبيب الجنحانى عن تعثر الثقافـة الاسلامية فى بلاد المغرب ، ونقتبس من كلامه بضعة سطور :

« توقفت الحركة العلمية بالمغرب أيام الوطاسيين توقفا تاما تقريبا .. ثم بدأت تنشط فى عهد السعديين ، ولكنها لم تعدم العوائق التى عاقتها عن استئناف السير الى الامام اذ أصبحت العلوم فى حالة من الابهام والجمود باعثة على النفرة ، فقد انتشرت الشروح المملة لمسائل الفقه ، كما انتشر أيضا علم الكلام وفن القراءات ، وطغى التصوف الكاذب .

« وأما علوم اللغة فقد انتشرت أيضا لا سيما النحو والبلاغة ، ولكن انتشار هذين العلمين كان عقيما ، فالنحو اعتمد على المنظومات ، والبلاغة اتجهت الى الألفاظ والقواعد والزخرفة الثقيلة ، مما كان سبباً فى بروز التكلف الفاضح والذوق البليد [٢] » .

ولنعط للقارىء بعض التفصيلات عن انحراف المناهج فى هذه العلوم :

الفقـــه :

حفل الفقه الاسلامى بأروع مجموعة من التشريعات تمتاز بالشمول والحكمة ، ولكن كتب الفقه اتجهت عند عرض هذه التشريعات اتجاها عجيباً ، فقلما تحدثتْ عن حكمة التشريع . حتى فى الموضوعات التى ينبغى أن يبدأ

---

(١) بحث مقدم للمؤتمر العالمى للتعليم الاسلامى ص ٨ و ١٠ .

(٢) الحبيب الجنحانى : المقرى صاحب نفح الطيب ص ٢٧ — ٢٨ بايجاز .

الحديث فيها بابراز حكمة التشريع كالزكاة ، ومع أن أكثر الفقهاء يخلوا بفراغ يشرحون فيه هذه النقطة المهمة نجدهم يتجهون الى تفاصيل واسعة فيما لا يحتاج الى تفاصيل ، وأمامي الآن حشد من الكتب المقررة بالأزهر ، وفيها تفاصيل عجيبة عن أنواع المياه : وتفاصيل فى باب الطهارة وغيره من الأبواب ، وبالاضافة الى التفاصيل ازدحمت كتب الفقه بالفروض التى قد لا تحدث مدى الحياة وفيما يلى بعض النماذج لذلك :

— لو استاك باصبع غيره وهى خشنة أجزأه ذلك ، قاله فى شرح المهذب وفى أصبعه خلاف ، الراجح فى الروضة لا يجزىء والراجح فى شرح المهذب الاجزاء ، وبه قطع القاضى حسين والحاملى والبغوى والشيخ أبو حامد ، واختاره الدريانى فى البحر . يا الله ! كيف شغل هؤلاء جميعاً أنفسهم بهذه المسألة السانجة ! ! التى لا يعقل أن تحدث مع مر السنين والقرون .

— لو غرز الصائم سكيناً فى ساقه لم يفطر : ولكن لو غرزها فى جوفه فانه يفطر .

— لو أدخل الصائم بعض خيط فى جوفه قبل الإمساك : وبقى البعض الآخر خارج الجوف فانه يفطر اذا شد الخيط وأخرجه من جوفه ، ويفطر كذلك اذا ابتلع الجزء الخارجى .

— اذا كان للرجل ثلاث نسوة لم يدخل بواحدة منهن . اسم واحدة منهن زينب والأخرى عمرة . والثالثة حمادة . فقال لزينب أن طلقتك فزينب طالق : ثم قال لعمرة : ان طلقتك فحمادة طالق : ثم قال لحمادة : ان طلقتك فزينب طالق . فطلق زينب تطليقة واحدة فان زينب تطلق التطليقة التى طلقها ، وتطلق عمرة تطليقة بالحنث : ولا يقع الطلاق على غيرهما . ويستمر محمد بن الحسن فى فروض حول هذا الموضوع تنقل المسألة الى عالم الألغاز وتحتاج الى متخصص فى علوم الرياضة .

واذا تركنا مسألة الفروض قابلتنا صورة اعجب فى كتب الفقه ، هى أن من الفقهاء من حارب روح الاسلام برسم الحيل للقراء لتخلص من بعض الأحكام الشرعية ، ونضرب لذلك مثالين :

ـ اذا أراد المالك أن يتخلص من دفع الزكاة فانه يهب أمواله لزوجته قبل أن يحول الحول ، وترد الزوجة المال لزوجها قبل أن يحول الحول على ملكيتها للمال وهكذا ، وعلى هذا لا تجب الزكاة على أى منهما .

ـ اذا أراد أن يأخذ ربا عن قرض فانه يبيع للمقترض شيئاً يملكه بثمن مرتفع ويقبض الثمن ثم يشتريه من المقترض بثمن منخفض ، ويبقى لـه الفرق ، ويمنحه القرض بعد ذلك بدون زيادة ، لأنه أخذ الزيادة مقدمـاً .

واذا تركنا الحيل قابلتنا المذهبية فى الدراسات الفقهية ، تلك المذهبية التى صرفت كثيراً من الفقهاء عن المصادر الأساسية للتشريع الاسلامى وجعلتهم يتجهون لدراسة كتب امام معين ، ويدرسون طريقته التى استنبط بها ما دونه من أحكام وقد وصل بهم التعصب للمذاهب أن جعلوا الأصل فرعا والفرع أصلا ، فأصبح رأى الامام أصلا عندهم ، فان خالفته آية أو حديث ، فهما مؤولان أو منسوخان كما ذكرنا من قبل نقلا عن أبى عبد الله الحسن الكرخى . وقد اتجـه الفقهاء فى عصور الظلام هـذا الاتجاه على الرغم من أن غير واحد من الأئمة قال : « اذا صح الحديث فهـو مذهبى واضربوا بقولى عرض الحائط » .

وانتهت المذهبية الى اثارة الأحقاد والخـلافات ، بل الى الصراع والحروب كما أشرنا من قبل نقلا عن ياقوت وعن الخطيب البغدادى .

تلك لمحة سريعة عن انحرافات الفقه فى عصور الظلام ، ولنترك الفقه إلى علم آخر من العلوم الاسلامية .

التفسير

سبق أن تحدثنا عن التفسير وعن إزدحامه بالاسرائيليات ونقول أن اليهود وغيرهم من أعداء الاسلام صعب عليهم تحريف القرآن لأن الله سبحانه وتعالى وعد بحفظه بقوله :

« انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » [1] .

وعند ذلك اتجه اليهود الى التفسير ليدخلوا عن طريقه ما شاءوا من انحرافات على أنها التأويل الحق للذكر الحكيم .

ويعتبر تفسير ابن كثير نموذجا للتفاسير الحافلة بالاسرائيليات ، وقد اعترف بذلك الأساتذة الأزهريون الذين قاموا بتحقيقه ونشره حديثا ، فذكروا في صفحة ١٢ من الجزء الأول أنه يمتلىء بالاسرائيليات التي لا تستند الى عقل أو نقل ، وقد جاء في ص ٦٨ قوله ان الله قد خلق الأرض على ظهر حوت ...

ويجىء لنا في التفسير سؤال مهم يرتبط بطريقة التفسير وتاريخ ظهوره ، والاجابة عن هذا السؤال تحدد مكانة التفسير بين العلوم الاسلامية .

والواضح أن بعض الكلمات أو مدلول بعض الآيات كان يخفى على المسلمين منذ عهد الرسول صلوات الله عليه ، وكان المسلمون يلجأون للرسول لفهم ما غمض عليهم ، وقد روى ـ كما ذكرنا من قبل ـ أنه عليه السلام سئل عن معنى كلمة « ضيزى » في قوله تعالى « قسمة ضيزى » فقال : جائرة . ومن الآيات التى لم يفهم المسلمون معناها قوله تعالى « وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر » [2] وقد سأل على بن حاتم رسول الله عن الخيطين فقال : هو

---

(١) سورة الحجر الآية التاسعة .

(٢) سورة البقرة الآية ١٨٧ .

الشعاع الأول من النهار الذى يطارد سواد الليل [١]. وقد ظل الحال على ذلك طيلة القرنين الأول والثانى أى كان الصحابة والتابعون يفسرون ما غمض على الناس ، وكانوا يقدمون التفسير مما رووه عن الرسول أو عن صحابته .

هذا هو مدلول تفسير القرآن الذى يجب الا نتعداه ، أى أن نوضح معانى الكلمات ومعانى الآيات التى تخفى على الناس ، ولا تجوز الزيادة على ذلك ، أمـا أخذ الأحكام من القرآن الكريم فذلك عمل الفقيه الذى سيجمع الآيات التى تتحدث عن الصلاة أو الصوم أو المال وغيرها ، ويجمع الأحاديث عن هذه الموضوعات كذلك ثم يستنتج الأحكام ، وللبلاغيين وهم يتحدثون فى البلاغـة أن يقتبسوا من القرآن الكريم ما يوضح أهدافهم ، وللباحثين فى الحضـارة الاسلامية أن يعودوا للقرآن الكريم وأحاديث الرسول ففيها فيض يسـاعد هؤلاء الباحثين على عرض جانب الحضارة الاسلامية وخصائصها ، أمـا التمادى فى التفسير لغير التفسير فهو خروج عن الغاية ، واعطاء فرصة لأعداء الاسلام لينفثوا سمومهم ، ثم أن الامام السيوطى يحـذر من المفسرين الذين يخوضـون فى كل شىء وهم الذين ظهروا فى عصور الضعف ويسميهم « عوام المفسرين » [٢] .

فاذا جئنا الى تاريخ ظهور علم يسمى « علم التفسير » فاننا نرى أنه ليس من علوم صـدر الاسلام ، وأنه لم يظهر إلا فى مطلع القرن الهجرى الثالث ، ويحكى لنا ابن النديم قصة ذلك فيقول [٣] : ان عمر بن بكير كان منقطعاً الى الحسن بن سهل (٢٣٦ هـ) فكتب الى الفراء (٢٠٨ هـ) يقول ان الأمير الحسن بن سهل ربما سألنى عن الشىء بعد الشىء من القرآن فلا يحضرنى فيه جـواب ، فان رأيت أن تجمع لى أصولا أو تجعل فى ذلك كتاباً أرجع اليه فعلت .... فبدأ الفراء يكتب تفسيراً متصلا متكاملا للقرآن

(١) انظر تاريخ التشريع الاسلامى للمؤلف ص ٩٨ .
(٢) الاتقان فى علوم القرآن جـ ٢ ص ٤٠ .
(٣) الفهرست ص ٦٦ .

الكريم كله ، ويختتم ابن النديم روايته هذه بقوله : ان أحـداً لم يفعل قبـله مثله .

ونحن نحيى الفراء لأن قام بهذا العمل المتكامل ليوضح لغير العرب ولمحدودى الثقافة من العرب ما غمض عليهم من الذكر الحكيم : وطبيعة مثل هـذا العمل أن يشرح ما يحتاج للشرح فقط أمـا أن يتخذ تفسير القرآن وسيلة لحشــد آراء المعتزلة أو الأحكام الفقهية أو البلاغية ... فقد فتح هذا التصرف الباب للأساطير وللاسرائيليات ، وهـذا ما لا يتفق مع جلال القرآن : ولا مع علم التفســير الذى ينبغى أن يظل فى نطاق إيضاح كلمات القرآن أو آياته : وأن يربطها بأسباب النزول الأكيدة ليزيدها شرحاً وبياناً ، وما عدا ذلك من الأفكار فلا مجال له فى علم التفسير .

وللأسف نقرر أن التفسير أحيانا يجلب الغموض ، فإننا عندما نقرأ القرآن الكريم نطرب لمـا فى أسلوبه من حـلاوة وطلاوة وأدب ، فاذا قرأنا للتفسير اختفى أحياناً ؛ كأن التفسير يبهم ولا يشرح .

ولنأخذ مثالا لذلك من كتاب التفسير المقرر على القسم الثانوى بالأزهر وهو تفسير النسفى ، وليكن المثال الذى نورده هـو الآيات الأولى مـن سـورة القمر وتفسيرها .

يقول الله تعالى : اقتربت الساعة وانشق القمر : وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر : وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر ، ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر . حكمة بالغة : فما تغن النذر » [1] .

والآيات واضحة الدلالة على أنها انذار للمعارضين ، وتخويف لهم بقرب قيام الساعة ؛ وبأن القمر سينشق لا محالة ككل الأجرام التى ستبتر لهول القيـامة : ثم ان الآيات تصف الكفـار بالأعراض عن كل آية

(١) سورة القمر الآيات ١ — ٥

ومعجزة تحث على الايمان وبانهم يقولون عن هذه الآيات انها سحر متكرر ، وهم بهذا الموقف كذابون يتبعون ما تزينه لهم أهواؤهم ، ولا شك أن هذا الضلال له نهاية ، وتذكر الآيات الكريمة أن ما جاء به محمد من أخبار الأمم السابقة ، ومن الحقائق الكونية كان يكفى لزجرهم لو فكروا ، ولكن الحكمة العظيمة والنذر القوية لا تنفع مَنْ أغلق عقله وقلبه ، ولم يُرِدْ اتباع الصراط القويم •

ماذا يقول الشيخ النسفى فى شرح هذه الآيات الكريمة ؟ اننا نثبت فيما يلى كلماته :

(اقتربت الساعة) قربت القيامة (وانشق القمر) نصفين وقرىء وقد (انشق القمر) نصفين وقرىء وقد انشق أى اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها أن القمر قد انشق كما تقول أقبل الأمير وقد جاء المبشر بقدومه • قال ابن مسعود رضى الله عنه : رأيت حراء بين فلقتى القمر وقيل معناه ينشق يوم القيامة والجمهور على الأول وهو المروى فى الصحيحين ولا يقال لو انشق لما خفى على أهل الأقطار ولو ظهر عندهم لنقلوه متواتراً ، لأن الطباع جلبت على نشر العجائب • فهذا الاعتراض يجاب عنه بأنه يجوز أن يحجبه الله عنهم بغيم •

(وإن يروا) يعنى أهل مكة (آية) تدل على صدق محمد صلى الله عليه وسلم (يعرضوا) عن الايمان به (ويقولوا سحر مستمر) محكم قوى من المرة أى القوة ، أى دائم مطرد (وكذبوا) النبى صلى الله عليه وسلم (واتبعوا أهواءهم) وما زين لهم الشيطان من دفع الحق بعد ظهوره (وكل أمر) وعدهم الله (مستقر) كائن فى وقته وقيل كل ما قدر واقع ، وقيل كل أمر من أمرهم واقع مستقر أى سيثبت ويستقر عند ظهور العقاب والثواب (ولقد جاءهم) أهل مكة (من الأنباء) من القرآن المودع أنباء القرون الخالية أو أنباء الآخرة وما وصف من عذاب الكفار (ما فية مزدجر) ازدجار عن الكفر تقول زجرته وازدجرته أى منعته ، وأصله

ازتجر ولكن التاء اذا وقعت بعد زاى ساكنة أبدلت دالا لأن التاء حرف مهموس والراء حرف مجهور فأبدل من التاء حرف مجهور وهو الدال ليتناسب ، وهذا فى آخر كتاب سيبويه (حكمة) بدل من ما أو على حكمة (بالغة) نهاية الصواب أو بالغة من الله اليهم (فما تغن النذر) ما نافيه النذر جميع نذير وهم الرسل أو المنذر به أو النذر مصدر الانذار » .

وهكذا نجد كلام النسفى يشمل فكراً غير مسلم به يعتمد على أقوال غير ثابتة ، كالقول بأن القمر قد انشق فعلا ، وكنقله دون تعليق ما أسند الى ابن مسعود من أنه رأى حراء بين فلقتى القمر ، وهو كلام غير مفهوم ، وشمل كلام النسفى كلاماً لسيبويه ، ثم ان طريقته فى التفسير مفككة تشرح كلمة كلمة دون أن تعطى معنى عاماً واضحاً للآيات الكريمة .

ومن صور التفاسير ما أورده الزركشى من أن الألف واللام فى « الحمد لله » مختلف فيهما ، فقيل للاستغراق ، وقيل لتعريف الجنس ، ومنع كونها للاستغراق قيل وهى نزعة اعتزالية [١] .

الحديث :

قلنا آنفا — عند الكلام عن التفسير — ان لليهود وغيرهم من أعداء الاسلام عندما صعب عليهم تحريف القرآن الكريم لجأوا الى تفسيره ليدخلوا عن طريقه ما شاءوا من انحرافات على أنها مدلول القرآن الكريم ، ونقول هنا ان مجال الحديث الشريف كان خصباً لهؤلاء الظالمين ، ومما ساعدهم على ذلك أن الحديث لم يدوّن فى عهد الرسول خشية أن يختلط بالقرآن الكريم ، وقد روى عن الرسول صلوات الله عليه أنه نهى عن كتابة غير القرآن ، فقد قال فيما رواه مسلم عن أبى سعيد الخدرى : « لا تكتبوا عنى ، ومن كتب عنى غير القرآن فليمحه ، وحدثوا عنى ولا حرج ، ومن كذب علىّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » .

---

(١) الكشكول للعاملى ص ٨ .

ويؤخذ من هذا الحديث نقطتان ، النقطة الأولى نهى الرسول عن تدوين الأحاديث ، والنقطة الثانية احساس الرسول باحتمال الوضع وتحذيره منه .

وكان عدم تدوين الأحاديث فرصة أمام مدعى التشيع ومعهم اليهود ليضعوا حشدا من الأحاديث وينسبوها للرسول ، ولعل حديث « غدير خم » كان من مطلعها ثم تلته أحاديث أخرى فى مختلف النواحى (١) .

وقد بذل أعداء الاسلام أقصى الجهد لتوضع أحاديث كاذبة يرويها بعض من عرف بالعدالة والنزاهة ، ومما يدل على ذلك قول الشعبى : لو أردت أن يعطونى رقابهم عبيدا ، وأن يملئوا بيتى ذهبا على أن أكذب على رسول الله كذبة واحدة لقبلوا ، ولكنى والله لا أفعلها أبدا (٢) .

فاذا امتنع الشعبى وسواه من الأبرار على هؤلاء ، فقد كان لهؤلاء وسائل متعددة ليصلوا الى هدفهم ومن هذه الوسائل نشر الكتب ، فان جامعى الأحاديث المشاهير ابتداء من الامام البخارى تركوا ما جمعوه فى رقاع مخطوطة ، وطبعت هذه المخطوطات بعد ذلك بأمد ليس بالقصير ، ومن المحتمل أن يدا عبثت بمؤلفات هؤلاء فأضافت اليها قبل نشرها ما ليس منها ، ولم يخل زمن من الأزمنة من هؤلاء الطغاة (٣) .

وقد لاحظ بعض المفكرين المسلمين هذا الوضع فأعلنوا استنكارهم لذلك ومن هؤلاء الأستاذ على محمد عيد الذى نشر مقالا بصحيفة الأخبار فى ديسمبر ١٩٧٦ عنوانه « كلام لا يصدقه عقل يدرسونه فى الأزهر » والعنوان واضح الدلالة على انحرافات كثير من العلوم الاسلامية وبخاصة ما نسب للرسول من أحاديث .

---

(١) انظر بعض هذه الأحاديث فى الجزء الثانى من موسوعة التاريخ ص ١٠٢٤ وما بعدها .

(٢) ابن عبد ربه . العقد الفريد ج ٢ ص ٤٠٩ .

(٣) انظر دراسة عن هذا الموضوع فى موسوعة التاريخ ج ٢ ص ١٠٢٨ الطبعة السادسة .

وبعد ذلك بفترة نشر الدكتور محمد الطويل المدرس بجامعة القاهرة مقالا أورد فيه حديثا ورد فى البخارى ج ٢ ص ٩ فى باب « من أحب الدفن فى الأرض المقدسة » ونص هذا الحديث هو : « حدثنا محمود ، وحدثنا عبد الرازق ، أخبرنا معمر ابن طاووس عن أبيه ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : أرسل ملك الموت الى موسى عليهما السلام فلما جاءه صكه — أى ضربه على عينيه — فرجع الى ربه فقال : أرسلتنى الى عبد لا يريد الموت فرد الله عليه عينه وقال : ارجع فقل له : يضع يده على متن ثور فله بكل ما غطت يده بكل شعرة سنة ، قال أى ربى ، ثم ماذا ؟ قال : ثم الموت » •

ثم نشر الدكتور محمد حسان فى صحيفة الأخبار الصادرة فى ١٩٧٧/١٢/٣٠ مقالا أكثر شمولا قال فيه :

لو قدر لهذا الامام الجليل « البخارى » أن يبعث اليوم حيا ليطلع على كتابه لتحسر ألما على ما حدث فيه من دس وتحريف •• ولامتدت يده تنزع منه تلك الصفحات التى دست فيها الروايات الاسرائيلية الباطلة • •فقد وجد أعداء الاسلام فى ثقة المسلمين المطلقة فى أحاديث البخارى الفرصة مواتية لبث سمومهم فى السنة النبوية الشريفة فراحت الأيدى الآثمة تدس الروايات الفاسدة وساعدها على ذلك العوامل التالية :

١ — عصور الفتن والغزوات الاستعمارية التى مرت بالأمة الاسلامية•

٢ — أن الطباعة منذ ظهورها كان أكثر أصحابها من أعداء الاسلام ، وقد امتد احتكارهم لها مدة طويلة مما سهل أن يطبع صحيح البخارى بعد التحريف والدس •

٣ — أن صحيح البخارى قد اعتمد أساسا فى جمعه للأحاديث على شرط « صحة السند » وهذا يسهل مهمة الأيدى العابثة ، فما أسهل أن تدس هذه الأيدى حديثا مكذوبا بعد أن تضع له سندا موضع دقة وتقدير •

٤ — تعطل العقل الاسلامى وتوقفه قرونا طويلة عن أية محاولة لتنقية التراث الاسلامى ، مع اقراره بأن فيه الكثير من المدسوسات .

ويقدم الدكتور حسان نماذج مما ورد فى البخارى ولا يمكن أن يكون من كلام سيدنا رسول الله ، ولا مما ارتضاه البخارى ومن ذلك :

١ — « أن سيدنا موسى عندما جاءه ملك الموت لتقبض روحه صكه ففقأ عينه » طبعة الحلبى جـ ٢ ص ١٥٤ (وهو الحديث الذى رويناه من قبل) .

٢ — « أن الحجر هرب بملابس سيدنا موسى عندما نزل ليستحم ، فرآه بنو اسرائيل وهو عار تماما ، وأن المولى عز وجل هو الذى فعل به ذلك حتى يتأكد بنو اسرائيل من أن جسده ليس به برص وأنه ليس بآدر (أى عظيم الخصيتين) كما كانوا يتقولون عليه » .. جـ ١ ص ٤٣ .

والحجر لا يهرب بالملابس إلا بمعجزة ، وليس من معجزات موسى هرب الحجر ، ثم إن عرى موسى وسط قومه كشف لعورة تخالف التشريع الإلهى .

٣ — « ان سيدنا ابراهيم قد كذب ثلاث كذبات منها اثنتان فى ذات الله ، وأن الكذبة الثالثة أنه جعل زوجته تقول لأحد الملوك أنها أخته خوفا من أن يقتله ليتزوجها ، وتركها تذهب الى الملك الذى راودها عن نفسها لينجو هو برقبته » جـ ٢ ص ١٤٦ .

٤ — « أن سيدنا سليمان أقسم أن يطوف فى ليلة واحدة على تسعين امرأة تحمل كل منهن ببطل » جـ ٤ ص ١٧٦ .

ولا يعرف التاريخ هذا العدد من الأبناء لسليمان .

ولا يمكن أبدا أن يكون الامام الجليل البخارى هو الذى روى هذه الأحاديث لأن بعضها يتعارض مع الفكر الإسلامى تعارضا تاما .. وبعضها

يطعن طعنا واضحا فى رسل الله بالاضافة الى أنها تتعارض بشدة مع بديهيات العقل ، واعتقادى أن هذه الأحاديث دخيلة على صحيح البخارى خلال الفترة الطويلة التى مرت بين وفاة الامام سنة ٢٥٦ هـ وبين طبع صحيحه .

وليس بدعا بعد هذا أن نعود لكتب الحديث بالتنقيح متبعين القاعدة التى ارتضاها علماء الحديث وهى رد الحديث الذى يتعارض مع آيات القرآن الكريم الصريحة أو مع بديهيات العقل وسائر ما هو يقين .

ولا يعنى هذا الموقف أى تشكيك فى السنة كما يخاف البعض ، بل أن ترك كتب الحديث على هذا الوضع هو الذى يدعو الى التشكيك وعدم الثقة ، أما رفع بضعة أحاديث من البخارى وغيره فانه يترك لنا ذخيرة واسعة لا شكوك حولها ، ولا تحتاج للدفاع عنها .

ثم اننا إذا دافعنا عن البخارى كله ، وتمسكنا به كله ، فان هذا يعنى أننا نضعه فى منزلة كتاب الله ، وذلك جهل نعيذ علماء المسلمين من الوقوع فيه .

وإذا تركنا صحيح البخارى واتجهنا الى الجامع الكبير للسيوطى وجدنا صيحة عالية يرددها خيرة العلماء ، تذكر أن به عشرات الآلاف من الأحاديث المدسوسة ، وأن السيوطى نفسه اختار ما يوثق به من أحاديث الجامع الكبير فدونها فى الجامع الصغير ، ومع هذا اتجه الأزهر لنشر الجامع الكبير وهو شىء يدعو للعجب .

وفى دراساتى عن الأحاديث المرتبطة بالسيرة النبوية واجهت كثيرا من الأحاديث التى وردت فى البخارى ، ولكن علماء الحديث لم يقبلوها ولا يستطيع أن يسلم بها فكر المؤمن ، ومن هذه الأحاديث ما اتصل بالاسراء والمعراج ، ولا شك أننى كمسلم أجزم بحدوث الاسراء والمعراج ، وأرى أن ذلك حدث بالروح والجسد ، ولكنى لا أستطيع أن أقبل ما ورد من أن موسى قال لرسولنا عليه السلام : أنا أعلم بالناس منك ، وقوله

له : أمتك أضعف أجسادا وقلوبا وأبدانا وأبصارا وأسماعا ، فهذه الأوصاف لا تطابق الواقع ، ويظهر فيها روح الأسرائيليات [١] .

وفى هذه الدراسة عن الاسراء والمعراج يصعب على المسلم أن يقبل النقاط التالية :

١ — ركب الرسول براقا تصفه الرواية بأنه حيوان فوق الحمار وتحت البغل .

وإن روح الحقد ظاهرة فى هذا النص ، والإنسان يتساءل : لماذا لم يقل تحت الحصان ، فالحصان فى حجم البغل ؟

٢ — فى بيت المقدس صلى الرسول بالأنبياء ركعتين .

٣ — صعد الرسول ومعه جبريل الى السماء ، ووقفا أمام كل سماء ليدق جبريل الباب ، ويسأله الملاك الواقف بالباب : من أنت ؟ من معك ؟ أو بُعِثَ محمد ؟ وهل أذن له ؟ ... وبعد الاجابة يفتح الباب لهما ويسيران الى الباب التالى وهكذا ....

٤ — بعد السموات السبع توقف جبريل وطلب من الرسول أن يتقدم هو ، لأن جبريل لا يستطيع أن يتقدم أكثر من ذلك .

٥ — فرضت الصلاة على المسلمين خمسين صلاة فى اليوم والليلة ، ولكن فى عودة محمد احتبسه موسى فى السماء السابعة ، وسأله عما فرض عليه وعلى أمته ، فأعلمه الرسول ، فقال له موسى : أمتك لا تقوى على ذلك وأنا أعلم بالناس منك ، ارجع الى ربك فاسأله التخفيف ، فعاد محمد ، فجعلها الله خمسا وأربعين ثم أعاده موسى مرة ثانية وثالثة ورابعة ... وفى كل مرة تنقص خمسا أو عشرا الى أن صارت خمس صلوات ... وقد حاول موسى أن يعيد الرسول مرة أخرى بعد ذلك ، ولكن الرسول أجابه بأنى أخجل من ربى أن أعود بعد ذلك ، وفى رواية أنه عاد فعلا ولكن الله قال له : لا يبدل القول لدى وثبتها خمسا .

---

(١) اقرأ كتاب الاسراء والمعراج : دراسة تصحيح للقضاء على الشطحات والخيال — للمؤلف .

وقد تدارس المفكرون المسلمون الأحاديث التي تصور الاسراء والمعراج بهذه الصورة ، ومن الذين تدارسوا هذه الأحاديث ابن كثير ، وقد وصف بعض ما ورد من أحاديث حول الاسراء والمعراج بالاضطراب ، وحدد ما ينبغي أن يعتقده المسلم وما ينبغي أن يتركه .

وفيما يلي كلمات ابن كثير :

واذا حصل الوقوف على هذه الأحاديث صحيحها وحسنها وضعيفها يحصل مضمون مـا اتفقت عليه .

والحق انه عليه السلام أسرى به من مكة الى بيت المقدس ، وهناك صلى ركعتين ، ثم عرج به الى السمـاء ، وفرض الله عليه الصلـوات خمسين ثم خففها الى خمس ، رحمة منه ولطفا بعباده ، وذلك القدر هو ما ينبغي أن يقتنع به المسلم ويستبعد ما سواه [١] .

ويتضح للذين تدارسوا الاسراء والمعراج بعمق مـا يلي :

١ ــ أن الاسراء تم من مكة الى بيت المقدس دون ذكر الوسيلة .

٢ ــ صلى الرسـول ركعتين بدون ذكر أنه أم الأنبياء ، أمـا الأنبياء عليهم السلام فقد ماتوا والقرآن الكريم يقرر أنه لا بعث قبل يوم البعث ، قال تعالى « ثم إنكم بعد ذلك لميتون ، ثم انكم يوم القيامة تبعثون » فالبعث يكون يوم القيامة فقط واذا قيل ان أرواحهم هي التي حضرت الصلاة قلنا انه ليس لنا أن نحرك الأرواح أو نتكلم عنها فقد قال تعالى « يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي » وعلى هذا فالله هو الذي اختص بالروح .

٣ ــ عرج به الى السماء بدون حاجة الى دق باب ووقوف أمـام الأبـواب .

---

(١) تفسير ابن كثير : البغوي جـ ٥ ص ٢٤٥ ، وانظر التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية للمؤلف جـ ١ ص ٢٢٦ وما بعدها من الطبعة الثانية عشرة .

٤ ـ فرض الله عليه الصلاة خمسين ثم خففها الى خمس تفضلا منه بدون وساطة موسى عليه السلام وبدون تعدد للذهاب والعودة •

٥ ـ يقرر ابن كثير ضرورة استبعاد ما سوى ذلك وضرورة تركه تماما وهـذا مـا نراه •

ومن العلماء الثقات المعاصرين الذين تدارسـوا أحاديث الاسراء والمعراج فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الجليل عيسى عضو مجمع البحوث الاسلامية ، وقد ذكر أن أحاديث الاسراء والمعراج وردت فى البخارى فى سبع روايات مختلفة فى تحديد زمان الاسراء والمعراج وفى تحديد المكان الذى بدأ منه الاسراء ، وفى تحديد الطريقة ••• واختلاف الروايات فى حديث ما على هذا النمط ينفى عنه عند علماء الحديث صفة الحديث الصحيح والحسـن •

مصطلح الحـديث :

رغبة فى الاختصار نقنع بأن نذكر أن المقرر على القسم الثـانوى بالمعاهد الأزهرية فى مصطلح الحديث هو التعرف على ما يلى :

الحديث المعضل ـ الحديث المدلس ـ الحديث المعل ـ الحديث المدرج ـ الحديث المقلوب ـ الحديث المصحف ـ الحديث المحرف ـ الحديث المبهم ـ الحديث المعلق ـ الحديث المحفوظ •• وغير هذه من الأسماء التى قد يحفظها الطالب للامتحان وسرعان ما ينساها •

اللغـة العربيـة :

اللغة العربية مهمة جدا للدراسات الاسلامية ، فبها نزل كتاب الله وجاءت أحاديث الرسول وكتب التراث الاسلامى • والتعرف عليها ضرورى لكل باحث فى الدراسات الاسلامية ، والتعمق فى آدابها وبلاغتها يساعد مساعدة كبيرة على فهم بلاغة الكتاب العزيز واعجازه •

ويؤسفنا أن نقرر أن اللغة العربية أوشكت أن تختفي من مناهج الدراسات الاسلامية ، وقد حلت محلها قواعد النحو والصرف ، فبدل أن يدرس الطالب اللغة أصبح يدرس قواعد اللغة وتنوسيت اللغة أو أهملت ، بل أن الطالب بدل أن يدرس قواعد اللغة اتجه بـه المدرسون لدراسـة شواذ القواعد كدوائر أفعل التفضيل التي تصل الي بضع وثلاثين دائرة ، وكأحوال الصفة المشبهة التي تصل الى ست وثلاثين ، ويضاعفها النحاة أحيانا فيصلون بها الى بضع مئات ، وكالاعلال والابدال ، وبدل الدراسة الشاملة لأبواب النحو التقط المدرسون بعض الأبواب لدراستها بالتفصيل وتركوا سائر الأبواب يجهلها الطلاب .

وقد حلت بعض هذه الانحرافات بالبلاغة ، فأصبحت في كثير من الحالات قواعد ورسوما ، وأصبحت لها شواهد محددة كأن القاعدة قد وضعت لهذا الشاهد بعينه وان تعسر وجود نظائر له [1] ، ولنعد الى كتاب « المنهج الواضح في البلاغة [2] » وهو المقرر على الصف الأول بالقسم الثانوي بالأزهر لنقتبس سطورا من علم البيان ، وهاك نص عبارته :

قال بعض بني أسـد :

كلا أخوينـا ذو رجـال كأنهم　　أسود الشرى من كل أغلب ضيغم

وقال زهير بن أبي سلمى :

لدى أسد شاكي السـلاح مقذف　　لـه لبـد أظفـاره لم تقـلم

(١) سيأتي عند الحديث عن توزيع المناهج الاسلامية اقتباس من المربين بوزارة التربية والتعليم ، يصف البلاغة القديمة بالغموض والتعقيد .

(٢) من الملاحظ في النحو والبلاغة أن المؤلفات الحديثة تصف نفسـها بالوضوح كالبلاغة الواضحة ، والمنهاج الواضح في البلاغة ، والنحو الواضح ، والنحو المصفى ، كأن المؤلفين يشعرون بالغموض والاضطراب فيما سبقهم من مؤلفات ، ويحاولون خلق الوضوح في مؤلفاتهم الحديثة .

وقال سوار بن مضرب السعدنى

وإنى لا أزال أخـــا حـــروب اذا لم أجن كنت مجن جـــان

ومن الطبيعى أن مؤلف الكتاب اتجه قبل أن يتحدث عن علم البيان الى شرح المفردات الغامضة فى هذه الأبيات ، والى شرح المعنى الاجمالى ، واستعمال هذه الأبيات القديمة ، التى لا ينسب أولها لشاعر معين ، والتى ينسب ثالثها لشاعر غير معروف ، والتى تكثر فيها المفردات الغامضة ، والتى يحتاج فهمها لفكر وتدبر ، ثم تكرار استعمال هذه الأبيات فى أكثر المؤلفات عن البيان ... كل هذا يبعد القضية عن « البيـــان » وينقل البيان الى الغموض ، ومع هذا فلنسر مع المؤلف لنرى كيف وضح أقسام علم البيان من هذه الأبيات ، انه يقول :

هذه أمثلة ثلاثة تدل جميعها على وصف الجرأة والإقـــدام ، غير أن الأول منها طريقه التشبيه ، فقد شبه الشاعر أولئك الرجال البواسل بأسود الشرى فى الجرأة والاقدام .

« والثانى طريقة الاستعارة فقد شبه الشاعر الممدوح بالأسد فى الجرأة ثم فرضه أسدا حقيقة واستعار له لفظه .

« والثالث طريقه الكناية ، ذلك أن أخوته للحرب دليل ملازمته لها كما يلازم الأخ أخاه ، وهى كناية عن شجاعته وقوة بأسه .

« وأوضح التراكيب دلالة على وصف الشجاعة هو الأول للتصريح فيه بطرفى التشبيه والأداة ، ويليه وضوحا الثانى لاختفاء ذكر المشبه ، وأقلها وضوحا الثالث كما ترى .

« وعلى هذا فعلم البيان عند البيانيين هو علم يعرف به ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة فى وضوح الدلالة عليه ... » .

ويمكننا أن نقول أن هذا الغموض الذى لازم علم البيان هو الذى أدى به هو ومادة النحو والصرف ليصبحا من أبرز مواد الرسوب فى الكليات المتخصصة فى الدراسات العربية ، فاننا اذا عدنا الى نتائج الامتحان فى بعض الكليات المتخصصة فى اللغة العربية وآدابها بجامعة القاهرة وجدنا دوائر حمراء حول درجات النحو والصرف والبيان لأكثر من نصف الطلاب ، أما اذا عدنا للطلاب أنفسهم ناجحين أو راسبين فاننا نجدهم ضعاف الأسلوب ، ونجدهم فى النحو والصرف يعرفون دوائر لفعل التفضيل ويجهلون الفاعل والمفعول به وأوليات النحو ، وهذا ما يلزمنا أن نعيد النظر فى مناهج اللغة العربية .

وانتقلت عدوى القواعد الى العروض فبعد أن كان مرتبطا بالشعر العربى لبيان ما به من موسيقى وضبط نغم ، وبعد أن كان يقوم بتدريسه الشعراء والأدباء ، انتقل به الحال ليصبح قواعد جافة ، ويقوم بتدريسه المتخصصون فى النحو والصرف ، ورحم الله الشاعر العربى الذى دخل مسجد البصرة ، فانتهى الى حلقه يتذاكرون فيها الأشعار والأخبار ، فجلس وهو يستطيب كلامهم ، ثم اخذوا فى العروض فلما سمع كلامهم فيه خرج مسرعا وهو يقول

قد كان أخذهم فى الشعر يعجبنى
حتى تعاطوا كلام الزنج والروم [1]

ولعل من أثر العروض وطرق تدريسه ما يرويه الدكتور محمد كمال جعفر الأستاذ بكلية دار العلوم من أنه كان يقول الشعر الجيد ، فلما درس له العروض على هذا المنهج وهو طالب توقفت موهبة الشعر فيه .

ولو أخذنا بالقياس لذكرنا امكان أن يتأثر الطالب بقواعد النحو

---

(١) الاصفهانى : محاضرات الأدباء جـ ١ ص ٢٠ .

والصرف فتضعف عنده موهبة النطق الصحيح التى تكون أحيانا سليقة عند بعض النـاس .

ولو قمنا بدراسة احصائية للساعات المخصصة للغة العربية فى كلية من الكليات المتخصصة فى دراساتها لوجدنا أنها حوالى عشرين ساعة فى الأسبوع وهو قدر هائل يمكن أن يخرج انسانا ممتازا فى اللغة العربية حتى اذا كانت مواهبه متوسطة ، ولكن الواقع أن أكثر المتخرجين فى هذه الكليات ضعاف فى اللغة العربية ، لا يستطيعون التعبيـر عن أنفسـهم بأسلوب مقبول بالكلمة المقولة أو المكتوبة ، ولا يستطيعون الالتزام بأشهر القواعد النحوية كالمبتدأ والخبر ، والفاعل ونائب الفاعل ، ويرجع ضعفهم فى التعبير الى أنهم لم يدرسوا اللغة ذاتها ، وانما أفنوا وقتهم فى دراسة القواعد وبخاصة الشاذ منها ، ثم انهم لم يقرءوا كتب الأدب كالأغانى والأمالى والعقد الفريد ، ولم يقرءوا دواوين الشعراء ، ولم يتدربوا على الكتابة أو الإبقاء ، فقد أصـبحت اللغة قواعد لا غـير ، وكـان عكوفهم عـلى شواذ القواعـد وعـلى التفاصـيل التى لا جـدوى فيهـا من أبرز الأسـباب التى حرمتهم اجـادة اللازم من أبـواب النحو ، وجعلتهم يتعثرون ان تكلموا أو كتبوا ، فهم ضحية منهاج سقيم قدم لهم النحو على أنه اللغة ، وحشا اذهانهم بما لا يلزم من تفريعات القواعد ، وحرمهم ما يحتاجون اليه منها .

وهذا هو الداء الذى يتحتم أن نسرع فنجد له الدواء .

والأكثر من ذلك أن كثيرين من مدرسى النحو والصرف لم يقنعوا بتقديم قواعده بأسلوبهم ، بل التزموا وألزموا الطلاب بأن يأخذوا هذه القواعد من ألفية ابن مالك وأمثالها ، ولا تغنى عندهم معرفة القاعدة بدون ذلك ، كأن كلام ابن مالك سيف مصلت عـلى الرقاب ، ولا يزال ذلك يعيش حتى العهد الحاضر .

وفى جلسة بالعاصمة المثلثة بالسودان أثرت هذا الموضوع وانضم لى أكثر الحاضرين من المفكرين ، وأبدينا دهشتنا من أن عشرين ساعة فى

الأسبوع لعلوم اللغة العربية طيلة أربع سنوات لا تأتى بطائل ، ويخرج الطالب ضعيفا فى اللغة العربية . وأجاب أستاذ متخصص فى النحو والصرف بأن السبب أن الطالب يدخل هذه الكليات وهو ضعيف فى علوم اللغة . ولكنه ووجه بعاصفة شديدة تقرر أن عشر ساعات فى الأسبوع أو حتى خمس ساعات تقدم لطالب لا يعرف كلمة فى اللغة العبرية أو الألمانية ... تكفى خلال أربع سنوات ليجيد الطالب اللغة العبرية وآدابها والكثير من تراثها . ولم يحر الأستاذ جوابا .

ان السبب الحقيقى الذى اضعف الطلاب بالمعاهد والكليات المتخصصة فى اللغة العربية هو سوء المناهج ، وهو الاهتمام بالقواعد فى النحو والصرف والعروض والبلاغة ... وهو البعد عن القراءة فى كتب الأدب ، وهو عدم التعاون بين اقسام اللغة ، اذ لم توضع خطة متكاملة لتخلق طالبا يشترك الجميع فى خلقه وتثقيفه فى مجال اللغة العربية وآدابها كما يحدث بالنسبة للطالب فى كليات الطب او الهندسة أو الزراعة أو غيرها .

ونختم حديثنا فى هذا الموضوع بكلمة لابن حزم الأندلسى عن النحو هـذا نصها :

« يكفى أن يعرف الطالب من النحو ما يصل به الى ضبط الألفاظ ، وما زاد على ذلك فليس بضرورى » (١) .

ومن الواضح أن شواهد النحو والبلاغة تتردد من كتاب الى كتاب فى كثير من الأحوال ، فكأنهم يضعون قاعدة لمثال قابلهم مع أنه قل أن توجد أمثلة أخرى مماثلة ويتضح ذلك من أمثلة الاستعارة والكناية وما ماثلهما ، واذا وضع المؤلفون المحدثون مثالا من عندهم فانهم يضعونه على نسق المثال الذى ذكره المؤلفون الأول ، فهو محاكاة وصناعة وليس مثالا طبيعيا ، وأذكر أننا تعلمنا أن « ما » المصدرية تكون هى وما بعدها مصدرا يكون له مكان فى الجملة ، وكان المثال الذى تكرر لذلك هو :

---

(١) التقريب (من رسائل ابن حزم) ص ١٩٨ .

يسر المرءَ ما ذهب الليالي وكان ذهابهن له ذهابا

والتقدير : يسر المرءَ ذهابُ الليالى .

وأذكر أننا حاولنا تقديم مثال آخر فتعسر علينا وكانت « ما » دائما تكون محاكاة صناعية لما ورد فى البيت السبق ، اذ تتجه على الرغم منا لتكون « ما » الموصولة .

هذا ، والأمل واسع فى الجيل الجديد الذى يمسك الزمام الآن فى هذه العلوم بكليات الأزهر الشريف وكلية دار العلوم ليعيدوا الاهتمام بدراسة اللغة وآدابها على الوجه الأمثل .

التاريخ الإسلامى :

وانحرف تدوين التاريخ الاسلامى كذلك فى ضجيج الانحرافات التى أصابت الدراسات الاسلامية ، فاتجهت عنايته للحروب والدماء ، وخلا أو أوشك من التأريخ للحركات الحضارية والفكرية .

وانحرف كذلك بقضايا سجلها غير دقيقة ولا موثقة ، فتاريخ الأمويين كتب فى عصر العباسيين ، ومن هنا ظُلم الأمويون ، ومثل ذلك يقال بالنسبة للخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمى ، وبالنسبة للخديوى اسماعيل ، وبالنسبة لتاريخ جمال عبد الناصر وغير هؤلاء ، فكم هوجم من يستحق المدح ، ومُدح من يستحق الهجوم ، واختفت عند الكثيرين أسماء جديرة بالخلود كعبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك [1] .

وحرّف التاريخ كذلك حينما لم يعتمد على القرآن الكريم أو الحديث الشريف فيما ورد فيه قرآن أو حديث ، وللأسف تكاد الكتب التى كتبت عن تاريخ الرسول تخلو من الآيات القرآنية والأحاديث ، حتى اذا لم تكن الرواية

---

(١) اقرأ منهما فى الجزء رقم ٣٧ من المكتبة الاسلامية لكل الاعمار للمؤلف .

قادرة على ابراز الفكرة ، وأية رواية تستطيع أن تبرز المعنى الذى يبرزه قوله تعالى : « اذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ، وتظنون بالله الظنونا ، هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا »[1] ٠

وحرف التاريخ الاسلامى عندما توقف تدوينه عند سقوط بغداد بيد المغول سنة ٦٥٦ هـ وبغداد إن كانت قد سقطت فإن عواصم أخرى إسلامية كثيرة لم تسقط ، ثم ان بغداد التى سقط أفاقت من الضربة بعد حين ٠

وحرف التاريخ الاسلامى عندما زاد اهتمام الكتاب بالفتن ، وعندما اختفت روح الإسلام عند كثير من الباحثين ، وعندما ظهر المستشرقون (الذين اتجه كل اهتمامهم أو أكثرة للقضايا التى تثير الخلاف والاضطراب كالشيعة والخوارج والقرامطة والنصيرية والموالى والباطنية والاسماعيلية ، كأن التاريخ الإسلامى ليس إلا هؤلاء وللأسف اعتمد كثير من المؤرخين المسلمين على هؤلاء المستشرقين ، فترجموا كتبهم أو نقلوا أفكارهم فى مؤلفاتهم ٠

وهكذا بدل أن يلعب التاريخ الإسلامى دورا فى دفع المسلمين للأمام أصبح هذا التاريخ عائقا ومثيرا للمشكلات والمساوىء ٠

وحرف التاريخ الاسلامى كذلك عندما وجه الاهتمام فيه لتاريخ الدول العربية وأهملت الدول الاسلامية غير العربية ، كما أهملت الأقليات الاسلامية بالدول غير الاسلامية ، مع أن تعداد المسلمين غير العرب أضعاف المسلمين العرب ، وتسبب عن هذا الانحراف تمزق العالم الاسلامى بدل الوحدة التى أرادها بقوله « ان هذه أمتكم أمة واحدة »

(١) سورة الأحزاب الآية ١١ ٠

والرأى الذى نراه فى ذلك أن يكتب التاريخ الاسلامى شاملا كل مناطق العالم الإسلامى فى جميع العصور ، وعند تدريسه يعرض هذا التاريخ مجملا لكل الطلاب المسلمين، ثم يعرض منه بالتفصيل بعض الفترات كفترة صدر الإسلام (فترة الرسول والخلفاء الراشدين) وكالزحف الصليبى متمثلا فى الحروب الصليبية وفى الاستعمار الذى شمل العالم الإسلامى كله ، كما يفصل أيضا تاريخ القطر والمنطقة التى يعيش فيها الطالب

والرؤية المستقبلية بالنسبة للتاريخ سهلة ، وذلك بإعادة كتابته بروح إسلامية وبمنطق الالتزام ، وحينئذ سيصبح تاريخا مشرفا ، وسيكون دعامة لخدمة المستقبل الإسلامى ، وإذا جاز لى ان أوضح مدى اليسر فى الوصول لتلك الغاية فإننى أسجل أننى كتبت تاريخ العالم الاسلامى كله من مطلع الاسلام حتى الآن فى عشر مجلدات شملت كل ما أشرنا له من التزامات ، وقد ظهرت الطبعة الثانية عشرة من طبعاته ، والمطلوب أن تعمم هذه الدراسة أو نظائرها فى كل المعاهد الإسلامية .

وحدث فى تسمية عصور التاريخ الاسلامى تحريف عجيب مصدره أن مستشرقا اسمه Wellhausen كتب كتابا بعنوان :

« الدولة العربية وسقوطها » The Arab Kingdon and its Fall

وهو يقصد صدر الاسلام والدولة الأموية ، وللأسف اقتبس عدد من الأساتذه وعدد من الجامعات العربية هذا التعبير ، فتراهم وهم يؤلفون أو يوزعون جداول المحاضرات يطلقون هذا التعبير على هذه الحقبة . ونحن نختلف معهم فى هذا التعبير ، لأن هذه الفترة لم تكن فترة عربية ، انها كانت فترة اسلامية بكل ما يحتمله التعبير من معنى ، فقد اتسع النطاق الاسلامى حتى شمل السند ومصر وشمال افريقية والأندلس وغيرها ، وكانت الروح الاسلامية هى التى تحكم هذه المساحة الهائلة ، واذا كان هناك مظهر من الصراع بين الأمويين والفرس ، فهو مظهر فى موقع واحد من الدولة

الاسلامية ، وكان رداً على عدوان الفرس على السلطة الإسلامية ، ولم يحدث صراع كهذا فى أى موقع آخر بالعالم الإسلامى ، وعلى هذا فإطلاق بعض الباحثين كلمة « الموالى » على المسلمين من غير العرب ، والاعتقاد بأن الموالى كانوا فى مستوى أقل من مستوى العرب ، كل هذا خطأ لأن المسلمين فى غير بلاد فارس لم يحسوا بأى تفاوت بينهم وبين العرب .

ثم ان كلمة « سقوطها » كلمة نابية تنم عن حقد على العرب والمسلمين ، فاذا كانت الخلافة الأموية قد اختفت ، فان خلافة أخرى قد قامت وبقيت الدولة الاسلامية وستبقى .

ولذلك فنحن نؤيد التقسيم الذى يطلق على فترة الرسول والخلفاء الراشدين « عصر صدر الاسلام » ثم يجىء بعده عصر الدولة الأموية ، فعصر الخلافة العباسية وهكذا .

تلك لمحة سريعة عما حدث من انحرافات فى العلوم الاسلامية ، ومن المحقق أن هذه الانحرافات كانت بمثابة الصدأ الذى أوشك أن يغطى على المعدن الحر الأصيل .

العلوم التى برزت على انها اسلامية وهى ليست كذلك

هناك علوم لم يعرفها صدر الاسلام ، وانما برزت متأخرة ، واتخذت ثوب الاسلام ، وأصبحت من مناهجه ، والعجيب أنها رسخت فى المناهج حتى اليوم ، مع ظهور السفسطة فيها وعدم جدواها ، وسنلم ببعض هذه العلوم فيما يلى :

علم الكلام :

علم الكلام — ويسمى أحيانا علم التوحيد — علم ظهر فى القرن الثانى الهجرى ، وارتبط بواصل بن عطاء (١٣١ هـ) الذى عنى هو وأتباعه عناية كبيرة بعلم الكلام ، وقالوا ان مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا بكافر ، وانما هو منزلة بين المنزلتين ، وكان واصل يجلس لأتباعه فى مسجد البصرة ليدرس لهم علم الكلام الذى كان قد ظهر على يده [١] ، وقد أشرنا لذلك من قبل .

ومن هذا يتضح أن علم الكلام علم ليس من علوم صدر الاسلام من جانب ، وأنه من جانب آخر نتاج البصرة التى تحدثنا عن ظروفها فيما سبق .

وواصل بن عطاء زعيم المعتزلة ، وقد انقرض مذهب المعتزلة منذ أمد طويل ، وانقرضت أفكارهم فى خلق القرآن وفى موضوع مرتكب الكبيرة ، ومع ذلك لا يزال هذا العلم موجودا ، وهذا شىء يدعو للعجب .

ويروى أن الامام الجنيد (٢٩٧ هـ) رأى جماعة من رجال علم الكلام يلتفون حول سارية بمسجد بغداد فسأل : من هؤلاء ؟ فأجيب :

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٢٥٢ .

جماعة ينزهون الله بالدليل . فقال : إماطة العيب حيث لا عيب عيب»(١) .

واشتهر بين الباحثين أن المسلمين اتخذوا علم الكلام ليكون سلاحا فى أيديهم يردون به الشبه عن الاسلام مثل السلاح الذى يستعمله أعداء الاسلام ، وهذا الكلام كالقاعدة التى ليس لها تطبيق ، فلم يحدث قط أن كان علم الكلام سلاحا يفيد الاسلام والمسلمين وانما كان فلسفات وتعقيدا بدون جدوى .

ويقول الأستاذ محمد المبارك فى ذلك « الكتب الشائعة فى هذه المادة هى جوهرة التوحيد للقانى ، والسنوسية وشرحها ، والعقائد النسفية ، وشرح التفتازانى عليها والعقائد العضدية ، والمواقف ، وتغلب على هذه الكتب الصنعة الفلسفية ، وتتصف بالتعقيد ، كما تتصف المتون المتأخرة بالجمود ، وبذكر الخلافات بين المذاهب الكلامية والفرق ، وهى بعيدة عن المنطلقات القرآنية التى تقنع العقل وتغذى القلب وتقوى الايمان ، وهى النهاية المتجمدة لكتب العقيدة على الطريقة الكلامية الفلسفية التى ازدهرت فى القرن الثالث الهجرى .

« ولابد أن نذكر أن علم الكلام أو كتب التوحيد التى كتبت على طريقة علم الكلام اشتملت على نظريات فلسفية وآراء فى الطبيعة والكون ففقدت اعتبارها وظهر خطؤها أو ضعفها ، ومن الخطورة بمكان أن يستمر طالب العلم الاسلامى فى الأخذ بها .. » (٢) .

وبين يدى الآن شرح البيجورى على الجوهرة المسمى « تحفة المريد على جوهرة التوحيد » وهو الكتاب المقرر حاليا على المرحلة الثانوية بالأزهر ، ومن الممكن أن أقتبس منه اقتباسات تبين مدى الظلم فى تدريسه لأبنائنا ، وأذكر أن فهمه صعب علىّ أنا ، ولا بأس على كل حال من اقتباس

---

(١) اللمع لابى نصر السراج والرسالة القشيرية للقشيرى .
(٢) البحث الذى سبقت الاشارة اليه من قبل .

بيت أو بيتين من جوهرة التوحيد كمثال لذلك :

ووحــدة أوجب لهــا وقبــل ذى   إرادة والعــلم لــكن عمّ ذى

وعم أيضــا واجبــا والممتنــع   ومثــــل ذا كلامــــه فلنتبــع

واذا ذهبنا الى شرح البيجورى زادت الأمور تعقيدا ، ولنأخذ مثالا قصيرا لشرح كلمة العلم فى البيت الأول يقول الشيخ البيجوري :

والعلم معطوف على قوله ارادة ، فهو مثل القدرة أيضا فى الأمور الثلاثة السابقة وهى تعلقه بالممكنات وعدم تناهى متعلقاته وايجاب الوحدة له باجماع من يعتد باجماعه ، فانه لم يذهب أحد الى تعدد علمه تعالى بعدد المعلومات الا أبو سهل الصعلوكى فقال بعلوم قديمة لا نهاية لها ، ولا يرد عليه استحالة دخول ما لا نهاية له فى الوجود لأن الدليل انما قام على هذه الاستحالة فى الحادث دون القديم [1] ...

وقد ألف الأستاذ حسن السيد متولى مفتش العلوم الدينية بالأزهر كتابا أسماه « مذكرة التوحيد والفرق » للفرقة الأولى الثانوية ليحل محل الجوهرة وفى مقدمة أوردها للتعريف بالعلم سار سيرة من سبقه من المؤلفين فى هذا العلم فقال فى ص ٢٢ : أن موضوع علم التوحيد « ذات الله .. » ومعاذ الله أن يكون ذلك ، فذات الله ليست موضع بحث ، والرسول صلوات الله عليه يقول : تفكروا فى آلاء الله ولا تفكروا فى ذات الله فتهلكوا . ويقول الامام محمد عبده ان الفكر فى ذات الخالق طلب للاكتناه وهو ممتنع عن العقل البشرى [2] .

ومن الموضوعات التى طرقها علم الكلام موضوع عصمة الأنبياء ، وقد اتبع شيوخ علم الكلام اتجاه الشيعة الذين قالوا أولا بعصمة الأئمة ثم قالوا بعصمة الأنبياء تبعا لذلك ، وعصمة الأنبياء لازمة ومعترف بها فى

(١) ص ١٠٠ من شرح البيجورى .

(٢) رسالة التوحيد ص ٤٨ .

التبيع ، أما فى شئون الحياة التى لا وحى فيها فليسوا بمعصومين بدليل مسألة تأبير النخل ، ومكان غزوة بدر الذى رجح فيه رأى الحباب بن المنذر ، وأمثلة كثيرة معروفة [١] . وقد تأثر جمهور الباحثين برأى علماء الكلام فى القول بالعصمة ، ولكن الامام محمد عبده يقول : ومن العسير اقامة الدليل العقلى ، أو اصابة دليل شرعى يقطع بما ذهب اليه الجمهور [٢] . وهناك آيات قرآنية كثيرة تشير الى هفوات وقع فيها الأنبياء عليهم السلام [٣] .

ليت شعرى لماذا يبقى هـذا العلم ، ولمـاذا لا نستبدل به دراسة هادفة عن العقيدة مما كتبه الامام ابن تيمية فى رسائله أو الامام محمد عبده أو مما كتبناه فى هذا الجيل ونحن ندرس « مقارنة الأديان » .

ويقول الدكتور محمد الجليند مدرس علم الكلام بجامعة القاهرة ان هذا العلم كان من أسباب الصراع بين المسلمين .

المنطق :

قلنا عن علم الكلام انه علم دخيل وليس من علوم صدر الاسلام ، وأنه ظهر بالعالم الاسلامى فى مطلع القرن الهجرى الثانى ، أما ظهور علم المنطق فى المناهج الاسلامية فكان بعد حوالى قرن ونصف من ظهور علم الكلام ، ويروى أن الكندى (٢٦١هـ) هو أول من علق على كتاب فى المنطق اسمه « الطوبقيا » ويمثل الكندى حركة الفكر والتعليق بعد حركة الترجمة التى حدثت فى بيت الحكمة خلال عهد الخليفة المأمون (١٩٨ — ٢١٨) ، وبعد الكندى بدأ المسلمون يؤلفون فى المنطق ولكن مؤلفاتهم ظلت متأثرة بمنطق أرسـطو .

ويدعون خطأ — كما قلنا آنفا — أن المسلمين اقتبسوا علم المنطق

---

(١) انظرها فى كتاب الاسلام من سلسلة مقارنة الأديان للمؤلف ص ١١٧ وما بعدها .

(٢) رسالة التوحيد ص ٨٣ .

(٣) انظرها فى كتاب الاسلام من سلسلة مقارنة الأديان ص ٦٢ ، ١٢٢

ليستعينوا به فى الجدل والمناقشة والحوار وبخاصة فى العلوم التى تعتمد على ذلك كعلم الكلام وأصول الفقه ، وأشهد الله أننا كنا نشفق على مدرس المنطق وهو يلقى علينا محاضراته ونحس أنه لا يفهم ما يقول ، وكان كثيرا ما يبعد عن المنطق ليتكلم فى الحضارة الاسلامية فنبدأ فى الاقبال عليه وفهم ما يلقيه ، فاذا عاد للمنطق عاد الغموض للمحاضرة ، وأخيرا عمدنا الى حفظ المقرر لنعبر الامتحان ثم تخففنا من هذا العلم الذى ليس منطقا وهو عن المنطق بعيد .

وينبغى أن نعطى نموذجا قصيرا نقتبسه من كتاب شهير هو « السلم » وشرحه « المختار » وهو المقرر على الصف الثانى بالقسم الثانوى بالأزهر ، وليكن النموذج مطلع الكتاب قبل أن يتعمق المؤلف والشارج فى الغموض والابهام ، يقول المؤلف فى أرجوزته

مستعمل الألفاظ حيث يوجد إما مركب وإما مفرد

فأول ما دل جزؤه على جزء معناه بعكس ما تلا

ويقول الشارح :

فصل فى مباحث الألفاظ

اعلم أن المنطق لا بحث له عن الألفاظ ، لكن لما كثر الاحتياج الى التفهم بالعبارة واستمر حتى كأن المتفكر يناجى نفسه بألفاظ متخيلة جعلوا بحث الألفاظ — من حيث أنها تدل على المعانى — بابا من المنطق تبعا ، ولذا فقد قال : (مستعمل الألفاظ) باعتبار دلالته التركيبية والافرادية (حيث يوجد اما مركب واما مفرد فأول) وهو المركب (ما) أى اللفظ الذى (دل) توطئة لما بعده ويحترز به — مع ذلك — عن اللفظ المهمل كزيد ، على رأى من يسميه لفظا (جزؤه) يخرج ما لا جزء له كباء الجر ولامه ، وما له جزء لا يدل كزيد وأبكم وتأبط شرا وعبد الله والحيوان الناطق أعلاما ، وأما ما يتوهم من دلالة أجزاء الأعلام الأخيرة فانما ذلك قبل جعلها أعلاما ، أما بعد تصييرها أعلاما فقد صارت دلالتها نسيا منسيا ، وصار كل جزء منها كالزاى من زيد ، نص عليه بعض المحققين ...

وهكذا نجدنا أمام علم دخيل على الدراسات الاسلامية ، وهو فى الوقت نفسه حافل بالغموض مما يسبب ضياع وقت الطالب وجهده ، وتكمل المأساة عندما نلاحظ أن الكتب التى اختيرت لتقديم المنطق كتب عقيمة تزيد الموضوع إبهاما وظلاما • وكان ابن تيمية يهاجم المنطق ، وقد كتب فى ذلك كتابا أسماه « نصيحة أهل الأديان فى الرد على منطق اليونان » •

ومن الشائع — كما قلنا من قبل — أن المسلمين اقتبسوا علم المنطق ليستعينوا به فى الجدل والمناقشة ضد أعداء الاسلام • ولكن ذلك كالقاعدة التى لا تطبيق لها ، فلم يعرف أنهم استعملوا المنطق لذلك •

الفلســـفة .

الفلسفة — كالمنطق — من العلوم الدخيلة التى تظاهرت بأنها لخدمة الاسلام ، وهى فى أصولها بعيدة كل البعد عن الاسلام لأنها ذات عناصر يونانية مادية ، وتلك الفلسفة اليونانية التى تتكلم عما وراء الطبيعة قد ظهرت فى مصر وسوريا والعراق قبل الاسلام ، وكان ظهورها فى مدرسة الاسكندرية ونصيبين وقناسرين وجنديسابور وحـران ، وكان القسس التابعون للكنيسة الأرثوذكسية أو الكاثوليكية يستخدمون من الفلسـفة اليونانية وسائل للدفاع عن القضايا المسيحية التى يعتنقونها [1] •

شيخ الأزهر ورأيه فى المنطق والفلسفة :

ولعل أكبر دليل على انحراف الفلسفة هو ما نشره الأستاذ الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار شيخ الأزهر السابق وهـو فى الأصل أسـتاذ للفلسفة ، فقد سئل عن الجانب العقلى الذى تمثله الفلسفة الاسلامية فأجاب :

ان لهذا الجانب العقلى صورتين •• صورة مبرأة من شوائب الدخيل

---

(١) انظر تفاصيل ذلك فى كتاب :
Muslim Thought : its Origin and Achievements.
الذى ترجمه المؤلف عن الانجليزية ص ٧٥ وما بعدها •

من الفكر الأجنبى ، وهى التى يمثلها القرآن والسنة فى أساسها ، وصورة أخرى متأثرة بفكر دخيل وعوامل طرأت على البيئة الاسلامية ، وحاولت التلاؤم معها ، ولكنها كثيرا ما تتنافرت معها ، ولاشك أن نظرة جمهور المسلمين فى القرون الأولى للاسلام ، انما كانت نظرة حذر من هذه الفلسفات ونظرة شك وريبة الى حد أن بعض العلماء وضع قاعدة هامة تتعلق بدراسة المنطق كمقدمة للفلسفة وهى أن « من تمنطق فقد تزندق » .

وقال فضيلته : انه يقال ان بعض المسلمين قد استعملوا المنطق والفلسفة للرد على الشبهات التى تطرأ على الاسلام بالتسلح بسلاح الخصوم من منطق وفلسفة .. ولكن فضيلته يقول لهؤلاء :

انه من الخير أن نرد على هذه الفلسفات ، بالفكر الاسلامى النقى المبرأ من كل مذهب فلسفى أو محاورات أو جدل أو شبهات فلسفية ، فان الفكر الاسلامى فى صفاته جدير بأن يرد على هذه المذاهب بما خط الاسلام من مبادىء ، وبما وضع من قواعد ، وبما وجه الانسان اليه من الرجوع الى نفسه لاستخلاص حقائق الكون والوجود ، ومن الأجدر أن يرد على هذه المذاهب الفلسفية الغربية بالصفاء والنقاء اللذين تضمنتهما الفكرة الاسلامية كما جاء بها القرآن والسنة النبوية الشريفة ، لا بمذاهب فلسفية اختلط فيها الحق بالباطل وتشابهت فيها معالم الطريق . وبذلك لا يكون هناك مجال لمداجاة أو لتشكيك أو مغالطة ، وانما نكون على جادة الحق وعلى طريق الله القويم الذى أمرنا الله بأن نتبعه فى قوله سبحانه وتعالى « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » .

وسئل عن الصلة بين هذه الفلسفات وبين الاسلام فقال :

هذه الفلسفات انتقلت الينا مشوبة بأشياء تتناقض مع الدين أحيانا ، أو مع العقيدة الاسلامية أحيانا أخرى ، كالوثنيات التى كانت شائعة فى الفكر الاغريقى حينذاك وفى تصورهم للألوهية فهذه تناقضت مع العقائد

الاسلامية ، ولهذا رفض المسلمون كل ما يأتى من جهة أرسطو حتى المنطق كمقدمة ومنهج [١] .

ومثل هذا ما يقوله الدكتور محمد كمال جعفر أستاذ الفلسفة الاسلامية بجامعة القاهرة عن مصادر هذه الفلسفة ، يقول سيادته [٢]

لقد تعددت وتعارضت آراء الباحثين حول مصدر أو مصادر الفلسفة الاسلامية كالآتى :

ــ فمنهم من رأى أن الحركة الفكرية لمدارس علم الكلام الأولى هى الأب الشرعى للفلسفة الاسلامية التى استقت فيما بعد من ينابيع فكرية أخرى أهمها وأعمها الفلسفة اليونانية .

ــ الفلسفة الاسلامية ليست الا فلسفة يونانية بلسان عربى ، وقد زينت بأفكار أخلاقية ودينية أملتها ديانة الاسلام ، ولكن هذه الاضافات لا تشكل جوهرا ولا أساسا فى هذه الفلسفة .

ــ أقرب الآراء الى الاعتدال هو الرأى الذى لا ينكر وجود الفكر اليونانى فى المحيط العربى ، ولكنه يوضح وجود بعض الملامح الأصلية للفكر الاسلامى لا يمكن جحدها ، غاية ما فى الأمر أننا لسوء الحظ نجد هذه الملامح والسمات الإسلامية الأصيلة غارقة وسط الاقتباسات الكثيرة من الكتّاب اليونانيين .

وفى ضوء هذا الكلام من الامام الأكبر ومن متخصص فى الفلسفة ، يضعف الأمل فى ابراز فلسفة اسلامية حقة ، وعلى هذا ينبغى إبعاد علم المنطق والفلسفة اليونانية من المناهج الاسلامية وأن يدخل الفكر الاسلامى عن وحدانية الله وصفاته وعن النبوة والدار الآخرة والبعث ... فى نطاق العقيدة وفى التعريف بالاسلام فى علم « مقارنة الأديان » .

---

(١) الأهرام فى ١٩٧٩/١/٢٦ .
(٢) من قضايا الفكر الاسلامى ص ١٦١ — ١٦٢ .

مناهج عصور الظلام تنحدر للعصر الحاضر

اختفت علوم اسلامية كما قلنا ، وانحرفت علوم اسلامية أخرى عن المسار الصحيح ، وبرزت علوم مدعية أنها اسلامية وهى فى الحق ليست كذلك ، وقد استغرق ذلك التغيير عدة قرون ، ثم جاء عصر المماليك والعصر العثمانى فاكفهرت الحياة فى مصر وفى غيرها من المراكز الاسلامية ، وتلقى الأزهر مناهج عصور الظلام دون أن يعيد أحد النظر فيها ، فأصبحت من المسلمات ، ثم جاء الاستعمار فأضاف الكثير ليزيد من ضعف الدراسات الاسلامية ، وقلل من قدر مدرس العلوم الاسلامية واللغة العربية ، ولما أصبح ضعف المعاهد الاسلامية شيئاً واضحاً تقدم فأنشأ المدارس ووضع فيها ما يريده من ثقافات وترك الأزهر فى حالته دون تحسين .

ونتيجة لسوء التعليم فى الأزهر فر الأستاذ محمد عبده منه عندما التحق به ، وهو يقول فى ذلك **«قضيت سنة ونصفاً لا أفهم شيئا لرداءة التعليم، فادركنى اليأس من النجاح وهربت من الدرس ، على نية أن اشتغل بالزراعة ... وهذا الأثر هو الذى يجده ٩٥٪ من الطلاب بالأزهر ، ولكن اغلبهم تفتشهم أنفسهم فيظنون أنهم فهموا شيئاً فيستمرون على الطلب الى أن يبلغوا سن الرجال وهم فى أحلام الأطفال ثم يبتلى بهم الناس ...»** [1] ولولا ضوء جديد ساقه الله للامام ليجذبه مرة أخرى للعلم ، لولا ذلك لحرم الفكر الاسلامى من واحد يوضع فى القمة بين العظماء والمفكرين المسلمين .

عبد الناصر والأزهر والاسلام :

وفى عصر عبد الناصر جاء القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ الذى قيل انه اتجاه لاصلاح الأزهر ، ولكنه كان بعيدا عن الاصلاح ، لأنه اهتم بفتح كليات عملية تابعة للأزهر وأصلح المرتبات ، ولكن الكليات الأزهرية

---

(١) انظر اعلام الفكر الاسلامى فى العصر الحديث لأحمد تيمور باشا ص ١٥٤ .

التى بنى الأزهر عليها مجده وهى كلية الشريعة وكلية أصول الدين وكلية اللغة العربية بقيت حيث كانت دون أن تمتد لها أية محاولة للاصلاح ، وقد عشت فى الأزهر طالباً ووقفت فيه أستاذاً ، فأنا عريق الصلة بمناهجه وطلابه من مطلع العقد الرابع حتى الآن ، ومن أخطر عيوب هذا القانون أنه ألزم طلاب القسم الاعدادى والثانوى بالأزهر بدراسة المواد المقررة على القسم الاعدادى والثانوى بالتعليم العام بالاضافة الى علوم الأزهر واذا كان المنهـاج الواحد يعيى الطلاب فمـا بالك بمنهاجين ، وكانت النتيجة أن غالبية الأزهريين جهلوا المنهاجين •

ومن أخطر عيوب هذا القانون كذلك أنه فتح الباب لنوابغ الطلاب بالقسم الثانوى الأزهرى ليلتحقوا بالكليات العملية كالطب والهندسة ، وتدفق هؤلاء على هذه الكليات ، ولم يبق للكليات الأزهرية الأصيلة أى نصيب من النابغين ، وقنعت هذه الكليات بالفتات •

بل انى أريد أن أضيف أن الدراسات الاسلامية التى تقدم لطلاب الكليات العملية بالأزهر دراسات لا تستهوى الطلاب بهذه الكليات ، لأنها نموذج من الدراسات التى سبق أن انتقدناها •

وعندما نتحدث عن الأزهر نقصد أنه ذلك المنار العملاق الذى تتأسى به جميع المعاهد والكليات الاسلامية ، وتقتبس منه مناهجـه وأسـماء كلياته وأقسام هذه الكليات ، بل تستعير الروح والفكر عندما تستعير علماءه للتدريس بها ، وقلما نجد جامعة اسلامية فى أى مكان لا يتولى التدريس بها علماء من أبناء الأزهر ، سواء كانوا من أبناء مصر أو وافدين تعلموا فى معاهد الأزهر وكلياته ، فالأزهر هـو المسئول عن انحراف الدراسات الاسلامية فى كل مكان •

وقد كتب كبار الأزهريين ضد قانون تطوير الأزهر وأبرزوه كفنا أسود أعده عبد الناصر فى ليل ضد هذا المعهد التليد ، كتب الدكتور محمد البهى والشيخ محمد متولى الشعراوى والشيخ صلاح أبو اسماعيل ، كما كتب عن ذلك الأستاذ فتحى رضـوان ، ونشرت كلمات هؤلاء فى الصحف وفى

البحوث [١] ، ولكن للاسف لم يحاول أحد أن يعيد النظر فى هذا القانون كأن الناس يخافون عبد الناصر بعد وفاته ، كما كانوا يخافون مظالمه وهو حى .

ومنذ فترة ليست بعيدة ظهر فى الولايات المتحدة اقبال على الاسلام وعلى اللغة العربية ، وممن دخل الاسلام شابان أمريكيان ، قرءا بعض الدراسات الاسلامية وتعلما اللغة العربية ، وقد رحبت احدى الدول الاسلامية بهذا الاقبال فخصصت منحتين لهذين الطالبين النابغين ليتعلما فى الجامعات الاسلامية بها .

وفرح الطابان بهذه المنحة وسرعان ما شدا الرحال الى الجامعة الاسلامية العربية ، والتحقا بحلقات العلم ، وظلا على ذلك بضعة شهور ، ثم أقبلا على ما أقبل عليه الأستاذ الامام من قبل ، فشدا الرحال مرة أخرى للعودة للوطن ، ولما سئلا عن ذلك أجابا بأن ما يسمعانه فى المحاضرات بعيد عن الاسلام ولا يجذبهما اليه ، فخلال هذه الشهور كان الحديث عن أنواع المياه وعن الجبيرة وعن المنطق وعلم الكلام وشواذ القواعد ، وما لهذا جاء هذان الطالبان وتركا الوطن والاهلين ، وصرخ الطالبان أين الفكر الاسلامى ؟ وأين حضارة الاسلام ، ؟ وأين أخلاقه ؟ وأين اللغة العربية الفصحى وبلاغتها ؟

ما أجدر هذين الطالبين بالاشفاق ، لم يجدا فى معاهد الاسلام اسلاماً فقنعا بما عرفا من مبادىء جذبتهما من قبل الى الإسلام وعادا قبل أن تأخذهما دوامة المناهج الحالية .

ونشهد كذلك زحف الاسلام فى هذه الأيام لدى أرقى الأوساط وكبار

(١) انظر كلمات هؤلاء ودراساتنا عن .. تطوير الأزهر أو تدميره فى الجزء التاسع من موسوعة التاريخ الاسلامى ص ٥٥٧ — ٥٦٤ .

المثقفين ، وليس اقبالهم على الاسلام الا نتيجة القراءة عن الفكر الاسلامى السليم ، أو الالتقاء ببعض الموهوبين المخلصين من الدعاة وهم قليلون

تلك هى المناهج التى تتقدم الآن باسم الاسلام ، وهى فى الحق لا تحمل الاسلام ، ولا تغرس اليقين ، وبسببها يعيش العالم الاسلامى فى اضطراب مقلق ، وما أجدرنا أن نسرع باحثين عن الاصلاح والعودة للاسلام الصحيح •

اصلاح المناهج الاسلامية

ان اصلاح المناهج الاسلامية ليس عملا عسيرا اذا خلصت النيات. واهتم المسلمون بالاصلاح ، فقد عرفنا الـداء ، ومعرفة الداء خطـوة مهمة فى وصف الدواء ، وأساس الاصلاح أن نعود للانحراف الذى سبق أن تحدثنا عنه فنقضى عليه ، وقـد ذكرنا من قبل ان المناهج أصيبت باضطراب وخلل وقصور ، وأن ذلك جاء للمناهج من ثلاث نوافذ هى :

١ ــ اختفاء علوم مهمة من المناهج مثل مقارنة الأديان والحضارة الاسلامية .

٢ ــ انحراف كثير من العلوم الاسلامية عن الطريق الصـواب كالتفسير والحديث والفقه وعلوم اللغة العربية .

٣ ــ بروز علوم غير اسلامية وادعاؤها أنها اسلامية مثل علم الكلام والمنطق والفلسفة .

ويدور العلاج فى فلك الداء كالآتى :

أولا ــ إعادة العلوم المهمة التى اختفت :

فيمـا يتعلق بالعلـوم التى اختفت يجب أن نسرع لنعيدهـا لساحة الفكر الاسلامى ونهتم بها كل الاهتمام . نعود لمقارنة الأديان فنحيى هذه المـادة المفيدة ونجعلها من أهم العلوم التى تقدم للمسلم بوجـه عام ولطلاب الثقافة الاسلامية بوجه خـاص ونعود كذلك للحضـارة الاسلامية فننسقها ونؤلف فيها ونقدمها للطلاب والجماهير .

وأشهد أن جموعاً هائلة من المسلمين أقبلت على عملى فى ميدانى مقارنة الأديان والحضارة الاسلامية أعظم اقبال : وأثنت عليه أعظم الثناء مما يدل على حاجة الناس لمثل هذه الأعمال .

على أني أرى أن النهوض بمقارنة الأديان والحضارة الاسـلامية

يستدعى أن نقيم مؤتمرات يلتقى فيها المفكرون المسلمون ليتدارسوا الأمر ، وليقترحوا أهم النظم والوسائل التى تضمن تقديم هاتين المادتين على أحسن وجه .

ولكنى أحذر من شىء أخشى وقوعه ، أو قل أنه قد بدأ يظهر فعلا ذلك أن بعض الجامعات اتجهت لاحياء مقارنة الأديان والحضارة الاسلامية ، ولكنها للأسف أسندت تدريس هاتين المادتين لغير المتخصصين وغير المتحمسين ، وكانت النتيجة أن ظهر كائن هزيل مرتبك سمى مقارنة الأديان أو الحضارة الاسلامية ، وهو ليس كذلك ، ومن أجل هذا أتمنى أن تكون لجان دقيقة لتضع الخطة التفصيلية لهاتين المادتين .

ثم اننا نسمع عن وجود مادة الحضارة الاسلامية ، وبجانبها مادة أخرى هى الاقتصاد الاسلامى أو التربية الاسلامية ... ونود أن نقول بدقة ان الحضارة الاسلامية تشمل النهج الاسلامى فى الاقتصاد وفى السياسة وفى التربية وغيرها كما ذكرنا من قبل .

ثانيا — تصحيح العلوم التى انحرفت :

نتجه بحماسة وقوة وكفاءة لتصحيح العلوم الاسلامية التى انحرفت وينبغى أن ينبرى لذلك كبار المفكرين لاعادة كتابة التفسير والفقه وعلوم اللغة العربية ، وتنقية أحاديث الرسول صلوات الله عليه مما يشوبها من دخيل ، وكذلك كتابة التاريخ الاسلامى ، وكل المواد الاسلامية التى أصابها التحريف وقبل أن نهيب بالأساتذة والمفكرين جميعاً أن يدخلوا هذا المجال نذكر بكثير من الاعجاب أن أقلاماً اسلامية قامت بدور مهم فى هذا المجال ، وما على الآخرين الا أن يضيفوا المزيد لهذه الجهود .

ففى التفسير كتب الامام محمد عبده تفسير جزء (عم) وهو نموذج طيب لتفسير كتاب الله ، وكتب الشهيد سيد قطب تفسيراً كاملاً للقرآن الكريم أسماه « فى ظلال القرآن » وفى هذا التفسير أفكار رائعة ، ولكنه فى تقديرى مسهب يحتاج الى نوع من الايجاز .

وأتمنى أن يتخلص أساتذة التفسير من ارتباطهم بالكتب القديمة ، فليقرءوها ليقتبسوا منها النافع ، ثم ليتجهوا بقدراتهم لكتابة التفسير الذى يوضح ما يحتاج الى توضيح من كلام الله جل وعلا .

وفى مجال الفقه كتب الأستاذ محمد الغزالى « فقه السيرة » وكتب الأستاذ سيد سابق « فقه السنة » وتلك نماذج نافعة يمكن أن ينتفع بها مدرسو الفقه وأن يضيفوا اليها من ثقافتهم ما أرادوا على ألا تكون هناك تلك الفروض والتفاصيل والحيل التى قدمنا نماذج منها .

وفى مجال العقيدة والتشريع كتب الأستاذ الامام محمد عبده كتاب « رسالة التوحيد » وكتب الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت كتاب « الاسلام عقيدة وشريعة » .

وفى مجال السياسة كتب الأستاذ عبد الوهاب خلاف « السياسة الشرعية » وكتب الأستاذ محمد المبارك « الدولة عند ابن تيمية » وكتب الشهيد عبد القادر عودة « المال والحكم فى الاسلام » وكتب السيد محمد رشيد رضا كتاب « الخلافة » .

وفى التاريخ الاسلامى كان لى الشرف أن كتبت « موسوعة التاريخ الاسلامى » فى عشرة مجلدات تحوى تاريخ العالم الاسلامى كله من مطلع الاسلام حتى الآن مع دراسة الجوانب الحضارية التى أسهم بها المسلمون فى ترقية العمران وتطوير الفكر البشرى .

وللأسف لايزال ميدان الحديث الشريف خاليا تقريبا ، ينتظر الباحث الفذ الذى يعمل على تنقية أحاديث الرسول من الدخيل الذى اقتحم هذا المجال المقدس ، واذا قلت الأحاديث الموجودة بنسبة ٢٪ مثلا فان العدد الباقى منها كفيل بأن يملأ حياتنا نورا وخيرا ، ومن العجيب أن يهتم كثير من العلماء باثارة الأحاديث التى تثير خلافات وشكوكا ويتركوا آلاف الأحاديث التى تحمل الهداية وحسن التوجيه والارشاد لبنى الانسان ،

فكم أثار حديث الذبابة وجناحيها من اختلافات وكذلك أحاديث الاسراء والمعراج التى أشرنا اليها ، وأحرى بعلماء الحديث أن يبذلوا الجهد ليقدموا للناس الذخيرة الواسعة من أحاديث سيدنا رسول الله التى تفيد فى شئون الدنيا والآخرة •

وميدان اللغة العربية لايزال ينتظر من يجول فيه ويصول بثقة وقوة فيجب أن يكتفى أساتذة القواعد بالضرورى منها ، فلا يتركون ضروريا ولا يهتمون بغير الضرورى من الأبواب أو من التفاصيل ؛ ونقصد بالقواعد قواعد اللغة وقواعد البلاغة ، وتأخذ القراءة فى كتب الأدب حقها الكامل فى الدراسة ، كما يتجه الاهتمام للكتابة والتعبير الشفوى (الخطابة) فكثير من الطلاب يتخرجون من كليات الآداب أو من كلية دار العلوم دون أن يكتبوا بحثا أو يلقوا خطابا ومعارفهم فى القواعد معارف لا تتعدى ورقة الامتحان ولا تعيش فى مجال الحياة •

الدعوة للإصلاح قديمة

وقد هتف شيوخنا الأوائل فى العصور المختلفة يحاربون الانحراف الذى أطل برأسه منذ عهد مبكر ، ونحن هنا نكرر كلامهم لعل الأوان قد آن لتحقيق آمالهم :

منهاج ابن حزم :

يتجه ابن حزم إلى حث المسلمين على سعة القراءة والاطلاع وإرشادهم لدراسة مقارنة الأديان والتعرف على الملل والنحل ، ويؤكد أن من الضرورى لطالب المعرفة من قراءة القرآن وفهم معانيه وقراءة الحديث والسيرة ، ويحذر من التعمق فى قواعد اللغة ويكتفى من القواعد بما يساعد على فهم المعنى الذى يختلف أحيانا باختلاف الحركات وفيما يلى كلمات ابن حزم [١]

(١) التقريب تحقيق الدكتور احسان عباس ص ١٩٨

« واعلم أن الوقوف على الحقائق لا يكون الا بشدة البحث ، وشدة البحث لا تكون الا بكثرة المطالعة لجميع الآراء والأقوال وبالنظر فى طبائع الأشياء ، وسماع حجة كل محتج والنظر فيها ، ومعرفة الديانات والنحل والمذاهب واختلاف الناس ، وقراءة كتبهم ، فمن ثم من الجهال الاطلاع على ديانات الآخرين فقد خالف ربه تعالى ، فقد أعلمنا عزّ وجل فى كتابه المنزل أقوال المخالفين من أهل الجحد ، القائلين بأن العالم قديم ، ومن أهل الثنوية ، ومن أهل التثليث والملحدين ، ليرينا تعالى تناقضهم وفساد أقوالهم .

« ثم نرجع فنقول : ولا بد لطالب الحقائق من الاطلاع على القرآن ومعانيه ، ورواية ألفاظه وأحكامه ، وحديث النبى صلى الله عليه وسلم وسيرته الجامعة . ولا بد مع ذلك من مطالعة الأخبار القديمة والحديثة والوقوف على اللغة التى نقرأ الكتب بها ، ولا بدّ له من مطالعة النحو ويكفيه منه ما يصل بـه الى اختلاف المعانى باختلاف الحركات فى الألفاظ ومواضع الاعراب منها . وأما ما عدا النحو فليستكثر منه ما أمكنه » .

منهاج الجاحظ :

ويهتم الجاحظ باللغة قراءة وكتابة ، ويحذر من الاشتغال بالنحو الا بالقدر الذى يحفظ من فاحش اللحن ومن جهل العوام ، ويقرر أن الزيادة فى النحو عن ذلك النطاق مشغلة عما هو أولى .

وفيما يلى كلمات الجاحظ :

لا تشغل قلب المتعلم بالنحو الا بقدر ما يؤديه الى السلامة من فاحش اللحن ، ومن مقدار جهل العوام فى كتاب ان كتبه ، وشعر ان أنشده ، وشىء إن وصفه ، وما زاد عن ذلك فهو مشغلة عما هو أولى منه ، كرواية الخبر الصادق ، والمثل السائر ، والمعنى البارع ويحكم بعض الرياضة ، ويعلم كتابة الانشاء بلفظ سهل وعبارة حلوة ، ويحذر التكلفة ،

ويحثه — فى قراءة كتب البلغاء — أن يستفيد المعانى لا الألفاظ [1] .

تعليق على كلام الجاحظ وابن حزم :

ولا بد من تعليق عن كلام الجاحظ وابن حزم ، فان كلامهما فى منتهى الخطورة من ناحيتين :

الناحية الأولى — يخاف الجاحظ من فاحش اللحن ، ومن جهل العوام ، ومعنى هذا أن اللحن الخفيف الذى لا يلقى بصاحبه فى نطاق جهل العوام ممكن ، وهذا شىء نراه فى أحاديث كبار المفكرين وعلماء اللغة ، فهم فى خطبهم قد يلحنون ، وقد يتداركون ذلك أو لا يتداركونه ولا يقلل هذا من أقدارهم ، ونستطيع أن نعدد عشرات الصور من هذا اللحن لشعراء مشاهير وكتاب مفوهين ، ولانزال نسمعه أحيانا من علية القوم وهم يرتجلون ولا يقلل هذا من أقدارهم .

الناحية الثانية — يشترك الجاحظ وابن حزم فى التوصية بأن النحو لا يدرس لذاته ، وانما ليحمى الانسان من الخطأ حينما يكتب أو ينشد شعرا أو يصف شيئا ، ويزيد ابن حزم أن ضرورة النحو تظهر فيما تختلف فيه المعانى باختلاف الحركات .

ومعنى هذا أن تدريس النحو لذاته شىء غير ضرورى ، فلا نطالب الطالب بأن يذكر لنا متى يتقدم الفاعل وجوبا أو ماهى أنواع الصفة المشبهة أو ما هو أصل « قال » ، بل يكفى أن نعرف ذلك لنستعمله استعمالا عند الحديث أو الكتابة أو القراءة ، وما زاد على ذلك فهو مشغلة عما هو أولى منه كما يقول الجاحظ .

ليت مفكرينا ينحون بطلابهم هذا المنحى ليرفعوا ملكتهم اللغوية وليرفعوا عن كاهلهم عبئاً لا ثمار له .

---

(١) رسالة المعلمين (مخطوط) .

مجمع اللغة العربية بمصر :

وقد عنى مجمع اللغة العربية بالقاهرة بتيسير النحو ، وليت أساتذة النحو والصرف بالكليات المختلفة يقرءون اتجاهات المجمع ويعملون بها ؛ فهى امتداد وتذكير باتجاهات الجاحظ وابن حزم ، يقول الأستاذ محمد شوقى أمين رئيس لجنة اللهجات ومقرر لجنتى الأصول والألفاظ والأساليب ما يلى (١) :

لقد عنيت لجنة الأصول على امتداد عامين كاملين بوضع صيغة ميسرة للنحو المدرسى أو النحو التعليمى حيث كثرت الشكوى من ضعف الجيل الجديد فى اكتساب قواعد اللغة ، وقد لاحظ الباحثون وخبراء التعليم واللغويون ان من أسباب هذا الضعف كثرة القواعد المعروضة ، وان فيها تعقيدا ، وان لها تفريعات يصعب على التلميذ العصرى تحصيلها فى النطاق المقرر لتعليم اللغة العربية فى مراحل التعليم ، والعلاج لذلك هو تبسيط القواعد واختصارها بحيث تقتصر على ما لا غناء عنه لكى يكتسب الطالب سلامة النطق وسلامة التعبير بالعربية ويكون ذلك بأن تقتصر القواعد على الأحكام العامة التى يندرج تحتها ما يجرى فى لغة الكتابة العامة من صيغ ومن أساليب ، ويضرب سيادته لذلك مثلا باسم التفضيل الذى ذكر له فى كتب التعليم ستة ضوابط أو سبعة ، يستلزم تحصيلها ومراعاتها جهدا عقليا على حين ان الدارسة الواعية المستنيرة اثبتت ان صوغ اسم التفضيل لا يحتاج الى أكثر من ضابطين اثنين ، وقد توصل المجمع الى صيغة ميسرة يكفل الاكتفاء بها صون الطالب عن الخطأ فى العربية نطقا وكتابة .

وحول وسائل النهوض بالفصحى بين أهل العصر .. قال محمد شوقى أمين عضو مجمع اللغة إنها كثيرة ، ومنها أن يكون هناك قدر مناسب من الضوابط ميسر ، لكى نخرج النحو من تعقيده .

---

(١) حديث نشرة بالأخبار فى ١٩٧٩/٤/٢٥ .

وحينما يدعو المجمع الى هذا التيسير فذلك من منطلق غيرته على الفصحى ، فإن تيسير النحو ضرورة قومية من أجل خدمة لغتنا العربية الفصحى فيستطيع أبناء العروبة على اختلاف فئاتهم التعبير عما فى نفوسهم بلغة عربية سليمة .

ثالثاً — إعادة النظر فى العلوم التى ادعت أنها اسلامية :

اتضح لنا مما سبق أن علم الكلام علم نشأ متأخرا وليست له جذور اسلامية ، وأن علم المنطق علم يونانى وكذلك الفلسفة وقد اقتبسنا آنفا قول شيخ الأزهر عن المنطق « مَنْ تمنطق فقد تزندق » وقوله إن الفلسفة يونانية الجذور اختلط فيها الحق بالباطل وتشابهت معالم الطريق ، ومثل ذلك ما قاله الدكتور كمال جعفر استاذ الفلسفة بجامعة القاهرة ، وهذه الأقوال تلزمنا أن نقف وقفة صارمة لنضع حدا لهذه العلوم بحيث لا تشغل فراغا بين العلوم الاسلامية فى معاهد العلم الاسلامية .

صحيح أن هناك جهوداً طيبة بذلها بعض الأساتذة فى هذا الميدان ليخلقوا ما يمكن أن يسمى فلسفة اسلامية ونحن نرحب بهذه الجهود إذا كانت قد نضجت واستوت على سباقيها .

هذا من جانب ومن جانب آخر فنحن لا نرفض تدريس الفلسفة اليونانية رفضا باتا وانما نرفض أن تدرس ضمن العلوم الاسلامية ، فاذا درست الفلسفة اليونانية بعيدا عن الأزهر وعن المعاهد الاسلامية دراسة عرض ونقد ، فهذا لا يدخل ضمن بحوثنا هنا ، وان كنا بوجه عام نكره أن تدرس الفلسفات الملحدة فى أرض الأديان .

أما علم المنطق فلا نجد كلمة دفاع عنه ، وأما علم الكلام فنقتنع بما اشتمله منه علم التوحيد على النسق الذى دوّنه الأستاذ الامام محمد عبده فى « رسالة التوحيد » أو على النسق الذى دوّناه فى أحاديثنا عن الاسلام ضمن الحديث عن « مقارنة الأديان » .

ذلك هو طريق الاصلاح وهو ليس صعبا ، ولو حمل كل انسان

بعض الجهد وتعاونت الجهـود مع بعضها البعض ، لعـدنا الى المنهج الاسلامى السليم الذى يحقق خير الدين والدنيا .

العناية بالسلوك :

بقيت كلمة عن السلوك الذى يجب أن يأخذ مكانه فى معاهد العلم الاسلامية ، وقد ذكرنا من قبل اهتمام الاسلام والمسلمين بالسلوك وعده أهم من العلوم ، وتتخذ العناية بالسلوك قواعدها الأساسية من القرآن الكريم ، ولنتذكر وصف السيدة عائشـة لرسول الله قائلة « كانت أخلاقه القرآن » فيجب أن نغرس فى نفس التلميذ والطالب المثل الواسعـة لخلق الطيب ، كما وضحها كتاب الله ، لنعرف مثلا الصـورة التى يذكر المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل (١) أنها صـورة الرجل الكامل رسمتها آيات سورة الاسراء ابتداء من قوله تعالى « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين احسانا .... » ولنعرف توجيه القرآن فى موضـوع السخرية من الناس ، والأخذ بالظن أو التجسس ، ودعوة القرآن المسلمين للاتحاد ، وأداء الأمانة ، والوفاء بالعهد ، ونهيه عن الحسـد ، وأكل مال اليتيم والعدالة مع الصديق والعدو ... (٢) .

ومع كتاب الله تتقدم أحاديث الرسـول فى التشريع وفى موضوع السلوك والآداب . وكذلك نهج السلف الصـالح ، ولابد أن يكون الآباء والمدرسون قدوة صالحة للجيل الجديد ، فالقرآن الكريم موجود بيننـا وكذلك أحاديث الرسول ، ولكنا نفتقد القدوة الحسنة التى تضع تعليمات الإسلام أمامنا موضع التنفيذ .

ونهتم كذلك بما كتبه المربون المسلمون حول ضرورة مراعاة سلوك الطالب وتفوقه فى هذا المجال ، كما يراعى تفوقه فى العلوم ، وربما نال السلوك عناية أكبر من العلوم ، فقد سبق أن رأينا فى توجيهات ابن سينا التى اقتبسناها من قبل قوله : ان الجاهل بالعلوم قد لا يضر ولكن الجاهل بالسلوك والآداب لا يتوقف ضرره .

---

(١) حياة محمد ص ٢٤ .

(٢) اقرأ ما كتبناه عن اخلاق المسلم فى كتابنا « الاسلام » ضمن سلسلة مقارنة الأديان .

توزيع المناهج على مراحل التعليم

مراحل التعليم الحالية فى العالم الاسلامى متقاربة أو متشابهة ، انها المرحلة الابتدائية فالاعدادية فالثانوية فالجامعية ، وقد تكون هذه المراحل ذات طابع اسلامى خاص كالأزهر بمعاهده وكلياته ونظائرها فى العالم الاسلامى ، وقد تكون عامة أو مدنية إذا صحت هذه التسمية كالمدارس والجامعات التابعة لوزارات التربية والتعليم العالى ، مع ملاحظة أن بعض الكليات التابعة للجامعات المدنية تتخصص أحياناً للدراسات الاسلامية والعربية ككلية دار العلوم بجامعة القاهرة ، وعلى هذا نحن أمام المراحل المجملة التالية :

١ — مدارس التعليم العام •

٢ — مدارس التعليم الدينى (ويكثر أن تسمى معاهد) •

٣ — الكليات والمعاهد العليا الاسلامية •

٤ — الكليات والمعاهد العليا العامة •

وسنقترح المنهج الاسلامى لكل مرحلة من هذه المراحل :

الدراسات الاسلامية بمدارس التعليم العام :

من الحق علينا أن نقرر أن مناهج الدراسات الاسلامية واللغة العربية بمدارس التعليم العام بمصر مقبولة نوعا ما ، لأن المربين بالوزارة أجادوا رسم المنهج ، فقد وضعوا لكل فرقة من الفرق الدراسية كتاباً ثقافياً ، يقرؤه الطلاب ويجرون فيه محاورات ومناقشات ، وتدرج المربون بالكتب مع أعمار التلاميذ وثقافتهم ولكن من الملاحظ أن بعض الكتب التى اختاروها كانت أعلى جدا من مستوى الطلاب •

وقد كتب المربون بالوزارة كتباً للنحو والبلاغة فى مستوى طيب الى حد ما ، ملاحظين اليسر من جانب وشمول كل الأبواب من جانب آخر ،

ونظرة سريعة الى كتـاب (البلاغة للصف الثانى الثانوى) ترينـا أن الكتـاب يهاجم البلاغة القديمة ، ويقدم موضوعات جيـدة يسـتفيد منها التلاميذ عندما يكتبون أو يتكلمون ، وقد جاء فى مقدمة هـذا الكتاب « ... ان البلاغة كانت تعتمد على الأمثلة المبتورة وتنتزع من نصوصها انتزاعاً ، فاذا لم تف هذه الأمثلة بعرض الفكرة ، وضعت أمثلة تكملها ، منها ما يحقق غايته ومنها ما أفسده التكلف ، فهان بسبب ذلك شـأن الدراسة البلاغية ، وضعف الاهتمام بها ، وعجزت عن أن تحقق أهدافها فى تنمية قدرات التذوق والنقد ، وارهاف الحس بمواطن الجمال فى الكلام ».

أما الموضوعات التى يتدارسها هـذا الكتـاب فتشمل الحديث عن الأسلوب وعن التقديم والتأخير ، وعن الذكر والحذف ، وعن القصر ، وما ماثلها من الموضوعات المهمة ، ويقدم الكتاب أمثلة من موضوعات حية ومما كتبه الأدباء والباحثون والشعراء ، وبخاصـة المحـدثون منهم ، ويبتعد عن التكلف وعن الأمثلة شبه المصنوعة .

وعلى هذا فكل ما نقترحه فى مناهج التعليم العام أن تزيد الساعات المخصصة للدراسات الاسلامية بحيث لا تقل عن ست ساعات أسبوعياً فى القسم الابتدائى والإعدادى وعن أربع ساعات فى القسم الثانوى ، وأن تخصص هذه الساعات فعلا للدراسات الاسلامية ، فمن الملاحظ أن مدرس اللغة العربية هو الذى يدرس الدين ، وكثيراً ما يزحف على الوقت المحدد للدين فيستغرقه فى دراسـة اللغة العربية ، ثم أن يضاف لمناهج التعليم العام : قدر مناسب من مقارنة الأديان ومن الحضارة الاسلامية ، ويمكن أن تبدأ الحضارة الاسلامية مع التعليم الاعدادى بشكل مجمل ، ثم يتجه التوسـع فيها فى التعليم الثانوى أما مقارنـة الأديان فتبدأ فى التعليم الثانوى ، ويكتفى فى التعليم الاعدادى بما به من دراسات اسلامية .

وتكون مقارنة الأديان والحضارة الاسلامية علمين يشبهان التاريخ والجغرافيا وغيرهما من العلوم النظرية التى تقدم لهؤلاء التلاميذ ، فيقدمان

للتلميذ أياً كانت ديانته . وقد كنا فى أوروبا ندرس هذه المــواد مع اختلاف أديان الطلاب .

ومدارس التعليم العام بها خطأ كبير فى دراسة التاريخ ، فقد تأثر كتاب المناهج بالحالة السياسية فقللوا من شأن أسرة محمد على ، وتحدثوا بافاضة عن ديون اسماعيل ولم يتحدثوا عن ديون مصر بعد أسرة محمد على ، كما أنهم لم يتحدثوا عن اصلاحات هذه الأسرة حديثاً كافيا ، وبودى أن نصحح التاريخ حتى لا نخدع الطلاب .

الدراسات الاسلامية بمعاهد التعليم الدينى

تولى معاهد التعليم الدينى للدراسات الاسلامية عناية أكبر ، ومع هذا فان جانب الانحراف فيها واسع كما قدمنا من قبل ، ولذلك نقترح أن يعاد النظر فى مناهجها بحيث نصحح العلوم الاسلامية ، وعلوم اللغة العربية ، وبحيث نبعد اتجاهات الاختلاف والغموض فيما يدرس لهؤلاء الطلاب ، ثم يتحتم أن تكون الدراسة لهم شاملة بمعنى أن يعرفوا فى القسم الاعدادى فكرة سريعة عن كــل أبواب الفقــه وأبواب النحــو واتجاهات الحضارة الاسلامية ، فاذا انتقلوا الى المرحلة الثانوية انتقلوا الى مزيد من التفصيل فى هــذه المواد ، وعرفوا فكرة كافية عن مقارنة الأديان ، وعلى العموم فان الدراســة التى أوردناها من قبل عن العلوم التى تعاد الى المناهج ، والعلوم التى تصحح ، والعلوم الدخيلة ، ينبغى أن تطبق بوضوح على المعاهد الاسلامية .

ويكتفى فى معاهد التعليم الدينى بالقدر الكافى من الجغرافيا والتاريخ والعلوم والرياضة كما كان الحال قبل قانون تطوير الأزهر ، ذلك القانون المشئوم الذى اتجــه للقضاء على الفكر الاسلامى فحشــد فى هذه المعاهد منهاجى الأزهر والمدارس العــامة مع أن المنهاج الواحــد منهمــا يعيى الطلاب ، فما بالك بمنهاجين .

الدراسات الاسلامية بالكليات الاسلامية :

ان الكليات الاسلامية فى أمس الحاجة للتغيير الشامل ، فطلابها هم حملة راية الاسلام ، وشارحو فكره ، والألسنة المدافعة عنه ، وبقدر ما ننجح فى اعدادهم بقدر ما يؤدون مسئولياتهم خير أداء .

ثم ان هؤلاء الطلاب هم الذين مسهم الضر فيما يتعلق بالمناهج أكثر من الطلاب بالكليات الأخرى ، فطالب الطب يتطور منهجه ، وكذلك طالب الهندسة والفنون وغيرها ، لأن هذه الكليات متصلة بنظائرها فى العالم ، والمبعوثون يرسلون الى الخارج ويعودون بأفكار جديدة تجعل هذه الكليات تسير على قدم المساواة مع نظيراتها فى أرقى الدول ، ولكن الطالب فى الكليات الاسلامية لا يزال يعانى ما عانته الأجيال قبله من انحراف هذه المناهج ، والبعد بها عن السلامة وعن الطريق الصواب .

ومن أجل هذا فان منهاج هذه الكليات يجب أن يتغير تغيراً شاملا ، على حسب ما شرحنا من قبل ، فيزدهر فيه علم مقارنة الأديان ، وتنتعش الحضارة الاسلامية ، ويأخذ هذان العلمان مكان الصدارة ، حتى يمكن فهم الاسلام فهماً صحيحاً ، والاحاطة بمكانته وما قدمه من مآثر للجنس البشرى .

ويشمل المنهاج الجديد لهذه الكليات تصحيح ما انحرف من العلوم الاسلامية ، ويتخلص المنهاج من العلوم الدخيلة بقدر الامكان .

وإذا أردنا أن نعطى بعض التفصيل لهذا المنهاج ، وبخاصة للنواحى المنسية فيه ، فاننا نذكر ما يلى :

— يعنى فى هذه الكليات بقراءة القرآن الكريم قراءة دقيقة مع الحرص على فهم ما غمض من كلماته أو عباراته ، وتوزع أجزاء كتاب الله

على الفرق الدراسية ، بحيث يقرأ الطالب القرآن الكريم كله ويفهمه اجمالا ، ويحفظ بعضه ان لم يكن كله قبل تخرجه •

ـ يدرس الطالب الأديان السماوية بتفصيل كاف ، ويعرف بعض الديانات الوضعية وبخاصة الديانات التى لها دعاة ومبشرون كالبوذية ؛ وكذلك الديانات التى ترتبط بمنطقة يعيش بها الطالب ، فالمعاهد الاسلامية فى افريقية تضيف الطوطمية وعبادة الأرواح والأبطال ، والمعاهد الاسلامية فى الصين تضيف الكونفوشية ، والمعاهد الاسلامية فى الهند تضيف الهندوسية والجينية وهكذا ، كما يجيد المقارنة بين قضايا الأديان المهمة كقضية الألوهية ، وقضية النبوة ، وقضية الكتاب المقدس ، وقضية التشريع وهكذا ، ويقسم هذا المنهج على سنوات الدراسة بحيث يتيسر للطالب أن يحيط به قبل تخرجه •

ـ يدرس للطالب فى هذه الكليات الحضارة الاسلامية بكل إقسامها وأنواعها دراسة شاملة تحليلية ، ليعرف الطالب ماذا قدم الاسلام للجنس البشرى فى مجال السياسة والاقتصاد والحياة الاجتماعية والتربية والعلاقات الدولية وهكذا ، كما يدرس النظم الاسلامية أى المؤسسات التى أنشأها المسلمون لتطبيق الحضارة ، فقد أنشأ المسلمون مناصب ومؤسسات مختلفة لتطبيق الفكر الاسلامى فى المجالات السابقة ، ووضعوا لها نظماً وقوانين وشروطا مهمة [١] ، وتقسم الدراسات الحضارية على سنوات الدراسة بحيث يستوعبها الطالب قبل تخرجه •

ـ يدرس للطالب فقه السنة دون مذهبية أو تعصب ، ودون فروض أو حيل ، مع ايراد التيسيرات التى قال بها شيوخ المذاهب ، ويحيط الطالب بموضوعات الفقه كلها خلال مدة الدراسة •

(١) انظر هذه النظم فى موسوعة النظم والحضارة الاسلامية للمؤلف .

– تسير دراسة التاريخ الإسلامي على النحو الذي شرحناه من قبل ، ويعرف الطالب تاريخ صدر الاسلام معرفة جيدة ، ويلم إلمامة سريعة بالتاريخ الإسلامي كله في مختلف عصوره وأمكنته ، ثم يتجه بمزيد من العناية للتاريخ المحلي ، أي يعرف الطلاب المصريون مزيداً من التفاصيل عن تاريخ مصر ، والسودانيون والسعوديون والاندنسيون ... مزيداً من التفاصيل عن تاريخ بلادهم ، ومع ابراز العظة والفائدة من دراسة التاريخ ، تلك الفوائد التي عنى كثيرون من المفكرين المسلمين بالكتابة عنها (١) ، وعندما نهتم بهذه الفوائد سيتضح لنا أن التاريخ شعاع من الماضي ينير الحاضر والمستقبل .

ويتحاشى الإكثار من الحديث عن الفتن والاضطرابات والدماء وأمثالها مما كسا تدوين التاريخ الاسلامي بالظلام ، ويأخذ الجانب الحضاري حقه في دراسة تاريخ الدول الإسلامية .

– في اللغة العربية يعني بقراءة الكتب كما أشرنا سابقاً ، وتخصص محاضرات قليلة جداً لقواعد النحو والصرف على أن تتجه العناية للقواعد المستعملة ، ويراعي التطبيق عند القراءة ، كما توجه العناية الى بلاغة القرآن الكريم ، والى ما يقابله الطالب من أنواع الفصاحة في قراءته المختلفة بعد أن يعرف أسس البلاغة وقواعد اللغة بايجاز .

ويوجه اهتمام كبير الى قراءة الكتب الأدبية الشهيرة ، إذ لا يمكن أن يُعدّ متخصصاً في اللغة العربية من لم يقرأ أمالي القالي والعقد الفريد والبيان والتبيين والأغاني ، فكما أن وزارة التربية والتعليم تخصص لكل فرقة من فرق الدراسة الاعدادية والثانوية كتابا ، فان الكليات والمعاهد العليا ينبغي أن تخصص لكل فرقة مجموعة كتب شهيرة من العصر الذي يتدارسه الطلاب ، ففي الفرقة الأولى يتدارس الطلاب أهم القصائد والكتب التي تنحدر من العصر الجاهلي وصدر الاسلام والدولة الأموية

---

(١) انظر الدراسة التي كتبها المؤلف عن « فائدة التاريخ ». واقتبس فيها ما قاله هؤلاء المفكرون بالجزء الأول من موسوعة التاريخ الاسلامي .

أو كتبت عن هذا العصر ، وفى الفرقة الثانية يدرس الطالب بعض الكتب التى كتبت فى العصر العباسى أو كتبت عنه ، وفى الفرقة الثالثة يدرس كتباً اندلسية ومصرية ومحلية . وفى الفرقة الرابعة يدرس كتباً من العصر الحديث، وليس ذلك منهجاً محدداً وانما هو مجرد اقتراح يمكن تعديله ، والمهم أن ننقذ الطالب من أن يقرأ له الأستاذ ، ويقول له ان الشعر أو التأليف ازدهر فى هذا العصر أو ذاك ، وضعف فى عصر آخر ، نريد أن يقرأ الطالب بنفسه وأن يحاول أن يصل الى النتائج باشراف أستاذه وتوجيهه •

ونحن بذلك نقضى على ظاهرة عزل الطلاب عن المكتبة العربية ، وعن المفكرين العرب والمسلمين عبر التاريخ ، ولا شك أنه مما يدعو الى الخجل أن يتخرج طالب فى كلية من الكليات المتخصصة فى الدراسات العربية وهو لم يمسك بيده كتب الجاحظ أو أغانى الأصفهانى أو العقد الفريد ، وما ماثلها •

ذلك بشكل مجمل هو المنهاج المقترح للكليات الاسلامية أخذاً من دراسة واسعة ، ومن تجربة طويلة بهذه الكليات فى عدة دول •

الدراسات الاسلامية فى الكليات العامة :

ان الكليات والمعاهد التى ليست متخصصة فى الدراسات الإسلامية بالعالم الإسلامى يتحتم تزويدها بما يرفع مدارك طلابها فى الاتجاهات الاسلامية : فليس من العدل أن يترك الطبيب والمهندس والمحاسب ببضاعة القليلة التى تعلمها عن الاسلام قبل الجامعة ؛ ولذلك أرى أن نتدارك ذلك بالطريقين التاليين :

أولا : تدرس الحضارة الاسلامية ومقارنة الأديان بشكل مجمل فى جميع الكليات ، وتكون دراستهما للمسلمين وغير المسلمين كما سبق القول•

ثانيا : يدرس بكل كلية أو معهد أحد جوانب الحضارة الاسلامية الذى يناسب تخصص هذه الكلية ، وتكون دراسة هذا الجانب الاسلامى بالتفصيل على النحو الذى شرحناه من قبل تحت عنوان « برنامج شامل » •

الجماهير والثقافات الاسلامية :

وينبغي على وسائل الإعلام وعلى المفكرين المسلمين ألا ينسوا الجماهير التي تتطلع للتعرف على الاسلام الصحيح ، فيتحتم أن نتقدم لهؤلاء الجماهير مجلات واذاعات اسلامية تحوي بحوثاً اسلامية دقيقة جذابة ، وأن نقدم لهم كتباً كذلك تروي ظمأهم ، وتجيب عما يخطر بنفوسهم من أسئلة ، وأن نكف عن تهديد الجماهير ووعيدهم بالنار ، وأن نكف عن تقديم الخرافات مرتبطة بأسمى الأحداث وأجلها وأشهد الله أنني عندما أقدمت على ذلك أقبلت الجماهير على أعمالي بشغف دفعني لمزيد من الجهد .

ويوم تسير مناهجنا على هذا النحو أو قريباً منه سيختفي المثقف الذي لا يعرف الاسلام ، ويستطيع المتخرج في الكليات والمعاهد الاسلامية أن يقدم الاسلام للناس ويجذبهم اليه ، ولن يقتل مسلم مسلما باسم الاسلام ، ولن يحدث تعصب ضد أتباع الديانات الأخرى ، وانما هي الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ، وسينعم المجتمع بروح الاسلام ، وتختفي منه الرشوة والاهمال وعدم التعاون .

واعتقادي أن المناهج السليمة ستفرض نفسها يوما ، وكل ما أرجوه أن يبذل الجهد للاسراع بذلك ، وكل من يسهم في هذا العمل العظيم سيسهم في خدمة البشرية التي لن تجد غير الاسلام هاديا ودليلا .

خاتمة وأمل

وفي ختام هذه الدراسة يخطر ببالي سؤال هو : ما مدى طمعي في النجاح مع أن الامام الغزالي أحس بانحراف المناهج فألف كتابه « احياء علوم الدين » وعنوان الكتاب يوضح أن الغزالي أدرك اختفاء علوم الدين فألف كتابه لإحيائها ، وجاء حديثا الامام محمد عبده الذي عاني شخصيا من سوء المناهج وعمل على اصلاحها ولكن كلاً منهما لم ينجح في ذلك ؟

والاجابة أنني قوي الأمل في النجاح وأوشك أن أرى نتائج مشرقة لهذه الغاية ، ومصدر هذا الأمل عندي ناحيتان :

لولا : أن دعوة الامام الغزالى كانت مبكرة ، ولم يكن الجيل مستعداً لتقبلها ، فقد كان العالم الاسلامى مكبّل الفكر واليدين ، ولكن الجيل الحالى يتطلع الى الاصلاح ويستعد للمشاركة فيه ، ثم اننى أعتقد أن صيحة الامام الغزالى لم تذهب كلها فى الهواء فقد خلّف تلاميذ كثيرين كرروا نفس الصيحة ولعله آن الأوان لنجاحها •

ثانياً : ان الامام محمد عبده وصف الداء مجملا ، ولم يفصل القول فيه تفصيلا شافياً ، فهو يذكر أن التعليم ردىء ، ولكنه لم يوضح سبب الرداءة ، وبالتالى لم يصف الدواء ، صحيح أنه رحمه الله قدّم نموذجاً طيباً لتفسير القرآن الكريم فى تفسيره لجزء « عم » وفيما نشر من تفسير لبعض الآيات والسور فى مجلة المنار ، كما قدم فى العقيدة « رسالة التوحيد » وفى مقارنة الأديان « الاسلام والمسيحية مع العلم والمدنية » واهتم الامام محمد عبده بالدعوة الى العودة بالاسلام الى ما كان عليه فى الصدر الأول ، ولكنه لم يحدد معالم ذلك •

أما النهج الذى سرت عليه فهو وصف الداء وصفاً دقيقاً ، ثم تقديم الدواء الشامل كما رأينا من قبل ، وأعتقد أننى بذلك مهدت الطريق للنجاح ، وكل ما نحتاج اليه هو عملية التنفيذ التى تحتاج الى رجال مخلصين للدين والوطن ، لا يحكمهم الخوف أو التردد أو الأنانية ، وأعتقد أننا سنجد هؤلاء الرجال هنا وهناك •

وفى تقديم العلاج خطوت خطوات بناءة ، فاذا كنت قد دعوت لاحياء علم مقارنة الأديان فقد كتبت فيه دراسة فى أربعة مجلدات أعيدت طبعاتها عدة مرات وترجمت الى عدة لغات ، وهى بلا شك تصلح أساساً لتقديم هذه المادة ، وإذا كنت قد ناديت باحياء الحضارة الاسلامية فقد كتبت فيها موسوعة شاملة فى عشرة مجلدات . واذا كنت قد دعوت لتصحيح التاريخ الاسلامى فقد اتبعت منهج الاصلاح فى موسوعة التاريخ الاسلامى التى كتبتها فى عشرة أجزاء كذلك •

وأتيح لى ما لم يتح لغيرى من قبل ، فقد وقفت فى مدرجات

الجامعات أدرس هذا الفكر ، وقد تخرج على يدى عدد كبير من الطلاب والمريدين حملوا معى عبء هذا الجهد ، وهناك كذلك أحاديثى فى الاذاعة المسموعة والاذاعة المرئية ومقالاتى فى الصحف والمجلات ، ومحاضراتى العامة فى كل مكان ، وقد رأيت فعلا نتائج هذه الجهود .

ذلك هو عملى فى مجال تخصصى ، وفى التخصصات المختلفة قام العلماء الأجلاء بدراسات تسير مع النسق المطلوب ، فقد اشترك مجموعة من العلماء فى تفسير القرآن الكريم ، وأصدر المجلس الأعلى للشئون الاسلامية هذا التفسير باسم « المنتخب فى تفسير القرآن الكريم » وقام مجمع البحوث الاسلامية بنشر « التفسير الوسيط للقرآن الكريم » .

وفى الفقه كتب فضيلة الأستاذ الشيخ سيد سابق كتابه القيم « فقه السنة » . وكتب كثيرون سواهم كما ذكرنا من قبل .

ويوم تخلص النية ستستكمل الدراسات الاسلامية كتابة وتدوينا ، ولكن ينبغى أن يتضح أن تعديل المناهج هو الأساس ، وأن الكتابة والتأليف عمل تابع لتعديل المناهج ومنفذ له .

ومن هنا فنحن نحيى الحركة الطيبة التى تنادى فى الأزهر باعادة كتابة الكتب ، ولكنا نقرر أنها لابد أن تسبقها حركة تصحيح للمناهج ، فلا نريد كتابة فى المنطق أو علم الكلام ، وانما نريد كتابة فيما يفيد الاسلام والمسلمين ، ونريد منهجاً سليما يستعيد العلوم المفيدة ويستبعد العلوم قليلة الجدوى ، ويصحح العلوم التى انحرفت .

ونعتقد أن هذا الاتجاه سيجد صداه فى النفوس المؤمنة ، وأن الكثيرين سيلبون هذه الدعوة ، ففى ذلك صلاح الدين والدنيا ، وفيه الخير كل الخير لهم من الناحية الأدبية والمادية .

وستقابل موجة الاصلاح بعض المحافظين أو المعوقين ، ولكنى أرجو أن تدفعهم الموجة لينضموا للكادحين ، أو على الأقل ليخلوا الطريق أمام العاملين .

الأزهـر

بين الماضى والحاضر والمستقبل

لا بد من كلمة هنا عن الأزهر ، فالأزهر منارة عالية ، ويوم تصلح الأمـور فيه ستصلح فى كل الأنحاء ، وهذه الكلمة تجىء بدافع الغيرة عليه ، فقد تلقينا العلم فى رحابه ، ووقفنا فيه معلمين ، وبذلنا أقصى الجهد لخدمة المعارف التى أقيم لها الأزهر منذ أكثر من ألف عام .

ولقد كان ماضى الأزهر وضاء بلا شك ، وقد استطاع هذا المعهد العظيم أن يحمى الاسلام عدة قرون ، كان وحده خلالها حارساً عملاقاً للدراسات الاسلامية ، ففتح أبوابه وأروقته للطلاب من مختلف الأنحاء والأقطار ، وقدم لهم العلم والمسكن والطعام ، وعاد هؤلاء الى بلادهم فحملوا أفانين الفكر التى تلقوها فى هـذا المعهد العريق .

وعلى هذا فان التاريخ يسجل للأزهر ماضياً ناصعاً ودورا مشرقا فى القرون الخالية .

ومر الزمن ودارت دورته ، واستقلت دول اسلامية كثيرة ، وأنشأت هذه الدول معاهد وكليات وجامعات اسلامية ، وكان الأزهر فى كثير من الأحوال يمثل المعهد الأم لهذه المعاهد وتلك الجامعات ، ولكن الجامعات الجديدة سرعان ما وصلت أو أوشكت أن تصل الى الرشـد وأن تقف مع الأزهر موقف المناظر والمنافس ، فماذا أعد الأزهر لهذه المباراة ؟ أو بلغة أخرى ما هو حاضر الأزهر ؟

اننى أدرك حساسية الاخوة الأزهريين ، وأحس أنهم يكرهون النقد حتى من رجل مثلى أزهرى النشأة شديد الولاء للفكر الاسلامى شـديد الحرص على حسن العلاقة بهم ، ومن أجل هذه الحساسية فيهم فانى أترك الحديث عن حاضر الأزهر لرجل أزهرى هو فضيلة الأستاذ الشيخ يوسف

عز الدين عاقول المفتش بالأزهر ، والذى كتب فى صحيفة الجمهورية الصادرة فى ١٩٧٨/١/٢٠ يقول :

« هان الأزهر على أهله ، وفقد غيرتهم عليه ، فأبيحت حرماته ، وانتشر الفساد فيه ، والتحق به من لا يصلح لحمل رسالته .. وأثقل بالمناهج العديدة الشاقة التى جاء بها اليه فى غير حاجة ولا فائدة قانون التطوير رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ فأرهق طلاب الأزهر بما لا يقره عقل ، ولا تدعو اليه مصلحة ، ولا تظهر له حكمة ، وشغلهم عن مناهجهم الدينية والعربية التى هى رسالة الأزهر ، وحاجة المسلمين منه ، وأصبح التعليم فى الأزهر مسخاً مشوهاً لا هو دينى ولا هو ثقافى .. وعجز الأزهر عن أداء رسالته العلمية ، فصار يخرج للمسلمين أشباه علماء ، لا كفاءة فيهم ولا غناء بهم .. وأى كفاءة وغناء فى طلاب كلفوا بما لا طاقة لهم به وفرضت عليهم مناهج يضيق عنها وقتهم ، ويقصر جهدهم ، فانقطعوا عن اجادة شىء منها ، وتخرجوا فارغين من العلم والمعرفة ، وفقد الأزهر ثقة الناس فى علمائه ، وعجز عن بناء المجتمع الاسلامى الصحيح ، فادعى العلم غير أهله ، وظهرت الأفكار الفاسدة والمبادىء الهدامة فى عقول شباب المسلمين قادة مستقبل الأمة ، وقد كان لأبناء الأزهر فى القانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦ منهج دينى عربى ثقافى يتفق مع قدرات الطلاب وحاجة الأمة ..

الغش الرسمى :

« ولقد ترتب على ازدواج المناهج على طلبة الأزهر عجزهم التام عن النهوض بشىء منها ، وانتشار الغش والكذب والخداع فى كل الامتحانات الأزهرية حتى صار ذلك واقعاً مسلماً به فى الأزهر ، وصارت نتائج الامتحانات لا تمثل الواقع ولا ينبغى أن يبنى عليها حكم .. وأدلة ذلك كتابياً موجودة بيدى .. » اهـ .

وكأن الغش فى الأزهر أصبح شيئاً مسلماً به ، فان الجامعات المصرية لا تقبل الحاصل على الشهادة الثانوية الأزهرية مع أن بها علوم الشهادة الثانوية العامة ، ومن العجيب أن الجامعات المصرية تقبل الحاصلين على ما يعادل الشهادة الثانوية المصرية من كل أقطار الأرض إلا ثانوية الأزهر ، ولا يجد الأزهر قوة يدافع بها عن هذا الاتجاه ، لأنه يعرف موطن الداء فيه وهو ضعف الدراسة أولا ، والغش ثانيا .

ذلك هو حاضر الأزهر ، وهو كما ترى حاضر مرير لا يتناسب مع ماضيه المشرق ، وأكثر عثرات الأزهر الحالية ترجع الى القانون اللعين ، القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ الذى قصد به تدمير الأزهر وحرمان الاسلام والدراسات الاسلامية من الكفاءات الطيبة من الأزهريين ، وعيوب هذا القانون معروفة لدى قيادات الأزهر ، وطالما تناولناها فى أحاديثنا وكتاباتنا ، ولكن أحداً لم يتقدم لإنقاذ الأزهر من مثالب هذا القانون الجائر ، ومن أجل هذا نتساءل :

ـ أما آن للأزهر أن يقضى على ازدواجية التعليم بالمعاهد الأزهرية ، فان المنهج الواحد يثقل الطلاب فما بالك بمنهاجين ؟

ـ أما آن لنا أن نحافظ على نوابغ الطلاب بالقسم الثانوى بالمعاهد وندفعهم للكليات الدينية ليرفعوا شأن الدراسات الاسلامية ، بعد أن أغراهم هذا القانون بالالتحاق بكليات الطب والهندسة حتى يحرم الاسلام من صفوة الطلاب وخيرتهم . انها مؤامرة هذا القانون ضد الأزهر وضد الاسلام ؟

ـ أما آن لنا أن نعيد النظر فى المناهج الأزهرية كلها ، لنخرج من الأزهر العالم الذى يحسن تقديم الاسلام ، ويجيد ارشاد الجماهير .

ـ أما آن لنا أن نقضى على نغمة الامتحان فى المقروء ، وأن نعيد الدقة للامتحانات الأزهرية حتى تستعيد الهيبة والسمعة الطيبة .

مرة أخرى ذلك هو حاضر الأزهر وهو حاضر يهتف بشدة الحاجة للاصلاح ، ولا شك أن المسلمين فى كل أقطار الأرض يتمنون من قادة الأزهر أن يتجهوا له بمزيد من العناية ، وأن يؤثروه على أنفسهم ، فذلك أخلد لهم ، فإذا توانى قادة الأزهر فى الاستجابة لنداء الاصلاح فاننا نتطلع أن يقدم عليه أعضاء مجلس الشعب ورجال الصحافة وكل مسلم غيور ، فالأزهر أمل المسلمين جميعاً ، وحصن مهم من حصون الاسلام •

أما مستقبل الأزهر فمتوقف على الجهود التى تبذل لاصلاح الحاضر وهى جهود نعتقد أن بين الأزهريين كفاءات طيبة تستطيع أن تحمل مسئوليتها ، وأن تقود الركب لتستعيد للأزهر كرامته ومكانته بين جامعات العالم •

والذى نراه ونكرره أن جامعات اسلامية هنا وهناك تصارع للوصول الى الكمال ، وأن كثيراً من الجامعات المدنية أنشأت بها كليات للدراسات الاسلامية تصارع هى أيضاً للوصول الى الكمال ، حتى أوشك زمام الدراسات الاسلامية أن يتحول عن الأزهر وهو شىء ينبغى أن يثير غيرة الأزهريين على معهدهم الذى نخشى أن تشيل كفته ، وان كنا نحيى التنافس لخدمة الاسلام والمسلمين ، والبقاء دائما للاصلح •

وبالله التوفيق

معـاهد الدعـوة الإسلامية
ومنهج امثـل لهـا

أين معاهد الدعوة الإسلامية بالعالم الإسلامى ؟

وما المناهج المثلى لهذه المعاهد ؟

هذان سؤالان مهمان نختم بهما هذه الدراسـة عن تاريخ المناهج الإسلامية ، فإن معاهد الدعوة الإسلامية لم توجـد بَعْدُ بشكل حقيقى . ولكن الاتجاه بدأ نحـو ايجادها ، ولهذا فنحن هنا نتكلم عنها من جانب ، ومن جانب آخر نقترح لهـا مناهج أقرب الى الكمال قبل أن تغرق فى المناهج المنحرفة ، فانها ان غزتها المناهج القديمة كان معنى ذلك أنها تولد ميتة ، وهذا ما نخشاه ونعمل لنتحاشاه .

لمـاذا نحتاج لمعاهد الدعاة ؟ :

ان الذى يتصل بأركان العالم يدرك بسهولة أن هناك ملايين من غير المسلمين يريدون أن يعرفوا الاسلام ولا يجدون الطريق لذلك ، وهناك ملايين من المسلمين يحتاجون لتصحيح أفكارهم وتعميق إيمانهم ولا يعرفون وسيلة لذلك ، لمـاذا ؟

الجواب أن الجامعات الاسلامية والجامعات المدنية أيضا فى كل العالم الإسلامى قد غفلت عن فتح معاهـد للدعاة لتقـوم بهذا الواجب ، ومن المؤكد أن اهمال هـذا العمل وزر كبير يتحمله ولاة الأمور بالعالم الإسلامى من أمراء وعلمـاء .

ثم ان تقديم الاسلام للعالم مهمة ليست سهلة ، وينبغى أن يعد أولئك الذين يقومون بهذه المهمة اعداداً شاملا وحصيفاً ، وقد اتضح من دراسة النظم المماثلة فى العالم أن الداعية له صفات خاصـة ، ترتبط بمعلوماته

وشخصيته وقدرته على الحوار ، وهى دعائم ضرورية لنجاح رسالة الداعية ، وبدونها لا يصل الداعية للنجاح المطلوب •

وعلى كثرة ما عندنا من جامعات ومعاهد عليا لا تزال معاهد الدعاة فى مصر وفى العالم العربى والإسلامى قليلة جداً ، بل ليست موجودة على الاطلاق فى بعض البلدان مع شدة الحاجة لهذه المعاهد لمقابلة التحدى الذى يتعرض له مجتمعنا وديننا •

وهناك تقدم واسع فى الدراسات الاسلامية انبثقت عنه جهود المفكرين المسلمين ، ويتحتم أن يتعرف الداعية على هذا التقدم ليكون مسلحاً بالوسائل التى تضمن له نجاحه فى عمله ، والوقوف فى وجه الحركات التبشيرية والاستشراقية المغرضة •

شروط القبول بمعاهد الدعاة :

ان الشروط التى نضعها هنا هى الشروط المثلى التى نلتزم بها ان أردنا أن نخرج طائفة ممتازة من الدعاة ، وهذه الشروط هى :

ــ حفظ القرآن الكريم ، واجادة تلاوته ، وعند الضرورة يكتفى بحفظ بعض الأجزاء وحفظ آيات التشريع ، على أن يواصل الطالب جهده لحفظ القرآن الكريم كله •

٢ ــ الحصول على شهادة عالية من احدى الكليات التى تعنى بالدراسات الإسلامية (فى مصر : الكليات النظرية بالأزهر وكلية دار العلوم واقسام اللغة العربية بكليات الآداب) وما يعادل هذه الكليات بالعالم العربى والإسلامى •

ومن هذا يتضح رفض قبول الحاصلين على الثانوية بمعاهد الدعوة •

٣ ــ اجادة اللغة العربية فى التعبير الكتابى أو الالقاء ، وأن يعرفه معرفة جيدة احدى اللغات الأوربية الكبرى •

٤ ــ هناك صفات شخصية يتحتم أن تكون بارزة فى الداعية وفى

وهناك نقاط تكميلية ينبغى أن نسجلها هنا لعلها تحظى بالاهتمام

أولا ــ تدريس اللغة العربية لغير العرب :

هذا ومن التقصير فى ميدان اللغــة العربية أن العرب لم يضــعوا طريقا سليما لتعليم اللغة العربية لغير العرب ، فإذا وفد وافد من ماليزيا أو نيجيريا ليتعلم اللغــة العربية ، فإنه يدفع به الى المناهج المخصصة للعرب ، وربمــا قابل آلفية ابن مالك أو قطر الندى ليتعلم هذا الكتاب أو ذاك على أنه اللغــة العربية .

ثانيا ــ الاهتمام باللغات العالمية فى المعاهد الإسلامية :

ومن التقصير المرتبط بالمعاهد الإسلامية فى مجال اللغــة أن اللغات الأجنبية وبخاصة اللغات العالمية لا تدرّس فيهــا ابدا ، أو لا تدرس بقــدر كاف ويرى بعض المحــافظين أنــه من تضــييع الوقت أن يتعلم طالب الدراسات الإسلامية لغــة كالإنجليزية أو الفرنســية ، مع أن المؤتمرات الإسلامية تعقد من حين الى آخر وتكون هذه اللغات لسان المؤتمر بوجه عام .

ثالثا ــ كتب عن الإسلام باللغــات العالمية :

وكلمة استطرادية ونحن نتحدث عن الإسلام واللغات ، هى أنه لا يوجد حتى الآن كتب ذات بال عن الإسلام باللغــات الأجنبية كالإنجليزية أو الفرنسية أو الالمانية أو اليابانية وغيرها وتحوى هــذه الكتب دراسة شاملة موجزة عن الإسلام من ناحية العقيدة والشريعة والأخلاق ، وهذه الكتب ضرورية جداً لتؤدى واجبا تجاه التعريف بالإسلام .

رابعا ــ الأخلاق الإسلامية :

عُنِيَ الإسلام عنــاية بالغة بالأخلاق ، فحارب أخلاق الجاهلية ، وقدّم لمجتمع البشرى أخلاقا سامية جديدة ، وقد اهتم كثير من الباحثين بالأخلاق الإسلامية وكتبوا عنهــا كتابات رائعــة ، وقد كتبتُ جزأين

٤ ـ الدراسة العميقة لعلم مقارنة الأديان ، ودراسة مقارنة الأديان ستضع أيدينا على جمال الاسلام ، وعلى الدور الذى يحمله ليكمل به محاولات الأديان لهداية البشرية ، وسيستفيد الداعية من « مقارنة الأديان » فى مواجهة المبشرين بالمسيحية أو البوذية ، فهؤلاء يعرفون الاسلام ويتلمسون ما يعتقدونه نقاط ضعف فيه ، ليهاجموه عن طريقها كتعدد الزوجات والطلاق وانتشار الاسلام بالقوة ، ولا يجوز أن يقف الداعية موقف المدافع فقط ، بل يجب أن يعرف كيف يهاجم أحيانا ، ولن يكون ذلك إلا إذا تعرف على هذه الأديان ، ودرسها ، وأدرك ما حدث بها من تحريف على مر السنين .

ويشمل علم مقارنة الأديان دراسة عدة قضايا دينية مثل قضية الألوهية ، وقضية النبوة ، وقضية الكتاب المقدس ... وغيرها من القضايا التى تبرز روعة الاسلام وجلاله ، كما يشمل التعرف على الأديان ، والمعتقدات المنتشرة فى المناطق التى سيرتادها الداعية كالطوطمية والبوذية ... الخ .

٥ ـ الدراسة العميقة للحضارة الاسلامية بنوعيها ، أى دراسة الحضارة الاسلامية التى جاء بها الاسلام ، ولم تكن معروفة قبل الاسلام كاتجاهات الاسلام فى السياسة والاقتصاد ، وفى المجال التربوى والاجتماعى والعسكرى ، تلك الجوانب الحضارية التى تعد منحة الاسلام لهداية البشرية ، وتشمل الدراسة مقارنة النهج الاسلامى بالمناهج المعاصرة فى السياسة والاقتصاد وغيرها .

ثم دراسة الحضارة التجريبية التى كانت موجودة قبل الاسلام ثم ذبلت واختفت كالطب والرياضة والفلك مع ابراز دور المسلمين فى احياء هذه الحضارة وشرحها والكتابة فى نطاقها كتابة أضافت لهذه العلوم كثيرا من الابتكارات المفيدة [1] .

---

(١) اقرأ موسوعة النظم والحضارة الاسلامية للمؤلف (عشرة اجزاء) .

وتختم دراسة الحضارة الاسلامية ببيان انتقال هذه الحضارة من العالم الاسلامى الى الهند والصين ثم الى أوربا ، ومن أوربا الى العالم بأسره حتى أصبحت الحضارة الاسلامية أساسا للحضارة العالمية ، وتقتبس من ذلك اعترافات الغربيين من أمثال جورج سارتون وكيرك وغوستاف لوبون وريتشارد كوك وغيرهم [١] .

٦ ــ دراسة تاريخ العالم الاسلامى من مطلع الاسلام حتى العهد الحاضر مع العناية بالسيرة النبوية وسيرة الخلفاء الراشدين ، وسيرة السلف الصالح والمصلحين المسلمين ، ومع العناية بتصحيح ما حدث فى تدوين التاريخ من أخطاء ، ومع العناية بتاريخ المسلمين من غير العرب الذى تجاهله السابقون أو أوشكوا .

٧ ــ دراسة خريطة العالم الاسلامى مع بيان أنها خريطة مفتوحة ، اى تحتمل مزيدا من الاتساع والامتداد ، وأن بها منافذ جغرافية وفكرية لمزيد من العمق والانتشار .

٨ ــ دراسة تاريخ الدعوة الاسلامية ، وتحركات الدعاة المسلمين ووسائلهم التى اتبعوها هنا وهناك لنجاح مهمتهم .

٩ ــ الاستمرار فى تقوية اللغات الأوربية التى يعرفها الطالب ، وتقديم لغة شرقية تمثل المنطقة التى يتوق الطالب لارتيادها والدعوة للاسلام بها كلغة الهوسا أو اللغة الأندونيسية .

الانتساب لمعاهد الدعاة :

تفتح معاهد الدعاة أبوابها للانتساب لمن يريد ممن لا تتوافر فيهم الشروط السابقة ، ويرغبون فى التزود بالزاد الاسلامى ، دون رغبة فى أداء الامتحان ، ودون حرص على نيل اجازة من المعهد ، ولطلاب الانتساب أن يأخذوا شهادة استماع واحاطة إذا نجحوا فى امتحان يعقد لهذا الغرض .

* * *

---

(١) اوردنا هذه الاعترافات من قبل .

خلاصة وإضافة :

مؤتمر القمـة الإسلامى بالكويت
ينـاير ١٩٨٧

عندما دعت الكويت لعقد مؤتمر القمة الإسلامى بهـا فى يناير سنة ١٩٨٧ ، اتجه المشرفون على المؤتمر الى طبع كتاب باللغـات العالميـة عن « مستقبل الإسلام وكيف ينبغى أن يكون » ٠

وتبعا لهذا الاتجاه اتصل هؤلاء المشرفون بعدد من المفكرين والباحثين فى الدراسات الإسلامية لكتابة موضوعات معينة تكون مادة هذا الكتاب ، وشرّفنى أن كنت واحدا من هؤلاء ، وكان الموضوع الذى اتفقنا على أن أكتب فيـه هو :

مناهج الدراسات الإسلامية
رؤية مستقبلية

ترمى لإصلاح المناهج الإسلامية ، وبالتالى لإصلاح المجتمع الإسلامى

الطلاب لم ينهلوا الفكر الإسلامى السليم وبالتالى لم يقدموه للمجتمع

وقد وضحت° فى هذا البحث حقيقة مهمة هى أن تأخر المسـلمين فى مجال الحياة السياسة والاقتصادية ، وفى مجال الحياة الاجتماعيـة والاتجاهات الخلقية نشـأ عن انحراف المنـاهج ، فطالب الدراسـات الإسلامية لم ينهل من الإسلام على النهج الصحيح ، وبالتالى لم ينقل للمجتمع الإسلامى صورة دقيقة لديننا الحنيف ٠

وبلغة أخرى فإن طبيعة طالب الدراسات الإسلامية هى أن يقف وسيطا بين معلمى هـذه الدراسات وبين جمهور المسلمين ، وهو ينقـل للجمهور مـا يتلقاه من فكر ، فإذ كان مـا تلقاه منحرفا أو هزيلا كان ما يؤديه منحرفا وهزيلا كذلك •

والمناهج الإسلامية هى عصب الفكر ، وهى مقياس السـلامة ، فإذا صلحت صلح المعلم والمريد ، وصلح المجتمع الإسلامى تبعا لذلك ، وإذا فسدت فسدت كل الأطراف •

وبذلك ارتبط هـذا البحث فى كثير من جوانبه بهـذا الكتاب ، وكان طبيعيا أن أقتبس منه بعض ملامحه ، وبخاصة ضرورة أن يعود عـلم مقارنة الأديان والحضارة الإسلامية للمناهج الدراسة وأن تصحح العلوم التى مسها الانحراف وأبعدها عن روح الإسلام ، وأن تشطب من المناهج العلوم الدخيلة •

واقتضى ذلك أن أنقل كلمـات ابن حزم عن ضرورة علم مقـارنة الأديان ، وكلمات الجاحظ عن الانحراف فى تعليم اللغة العربية ، وكلمات الأستاذ محمد المبارك عن فساد مناهج الدراسات الإسلامية وكلمـات الإمام محمد عبده عن سوء التعليم فى الأزهر ونهجـه الذى تسرب للمعاهد الإسلامية بالعالم الإسلامى •

تلك هى ملامح الاقتباسات التى أخذتها من هذا الكتاب وأودعتها بحثى الذى قدمته الى المشرفين على الإعداد لمؤتمر القمة الاسلامى •

وبجانب هذه الاقتباسات هناك نقاط جديدة أضفتها لهذا البحث ، وفيما يلى أورد هذه الإضافات :

بحوث إسلامية فى احضان مؤتمر القمة الإسلامى :

تقام المؤتمرات الإسلامية من حين الى آخر هنا وهناك ، وتكون محلية حينا وعالمية أحيانا ، ويلقى كبار الأساتذة بحوثهم فيها ، وتعلن التوصيات

ثم ينتهى الأمر ، إنهـا اجتماعات تتم وتنفض دون أن تحدث نتائج ذات بال فى الحياة الإسلامية ، وكثيرا مـا اشتركت فى هذه المؤتمرات وشاهدت هـذه الأحداث ، وكم كنت أتمنى أن تعيش هذه البحوث ، وان تجد طريقهـا لواقع الحياة •

مقارنة بين المؤتمرات الإسلامية والمؤتمرات الطبية :

وكنا نحس بفرق كبير بين المؤتمرات الإسلامية والمؤتمرات الطبية مثلا ، فـإذا كانت المؤتمرات الإسلامية تقتنع بالقـاء البحوث واعلان التوصيات ، فإن نتائج المؤتمرات الطبية تنعكس عـلى مناهج التعليم بكليات الطب ، وعلى عيادات الأطباء ، ومصانع الأدوية ، ومثل هذا يقال عن المؤتمرات الخاصة بدراسات كليات العلوم أو الهندسة •••• ولعلنا بدءا من هذا المؤتمر الإسلامى الكبير ندفع نتائج المؤتمرات الإسلامية لتعيش وتزدهر •

التطور فى الكليات العملية والجمود فى الكليات الإسلامية :

ونستمر فى المقارنة بين الدارسات الإسلامية والدراسات فى العلوم الطبية أو الهندسية ، فنذكر أن معاهد العلم التى تعنى بالطب والهندسة فى بلادنا ، هى على صـلة وثيقة بنظيراتها فى أوربا وأمريكا ، ومن هنا فالدراسات عندنا فى هـذه العلوم متطورة الى حد كبير تبعـا للتطور العـالى •

أمـا فى الدراسات الإسلامية والعربية فاننـا نمثل الأصـل ، ونعد مسئولين عن التطور ، فاذا وقفنا حيث نحن بهـذه الدراسات فان هذه الدراسات فى العالم كله تقف دون حراك •

وعند الحديث عن المؤتمرات الاسلامية نسأل : هل تعالج بحوث هذه المؤتمرات مشكلات الحياة ؟ وهل يربط الباحثون بين مشكلات العالم الإسلامى ومناهج التعليم بالمعاهد الإسلامية ؟

والاجابة الدقيقة هى بالإيجاب عن السؤال الأول ، وبالنفى عن السؤال الثانى ، فالباحثون المسلمون يتدارسون كثيراً من القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدولية ، ولكنهم لا يصلون بها الى مناهج التعليم ، وانما يلقون بها فى المحيط الواسع ، فلا تتبناها جامعة أو هيئة ، وتكون النتيجة أن تضيع أصداؤها فى مهاب الرياح .

هذا من جانب ، ومن جانب آخر نجد البحوث لا تتحدث عن مناهج التعليم فى وضعها الحالى فهل هذه المناهج سليمة ؟ وهل هى معبرة عن روح الإسلام ؟ وهل هى متطورة تبعا للتطور الطبيعى فى شئون الحياة ؟ وبالتالى هل تساعد هذه المناهج على إعادة بناء الإنسان المسلم ؟

الإجابة الصريحة بالنفى ، فليست هذه المناهج سليمة على الاطلاق ، وليست كتلك التى عرفها صدر الاسلام ، واستعملها الرسول وهو يبلغ رسالة ربه ، واستعملها مبعوثوه الى الأمكنة المختلفة التى أرسلوا اليها ، ومن هنا يجىء الداء وإصلاح المناهج هو خير دواء .

إهمال الوسائل التى تنشر الإسلام بالغرب :

ونعرض نقطة أخرى وهى تتصل بالزحف الإسلامى ، وفى هذا المجال نذكر أننا نشهد فى هذه الايام زحف الإسلام لدى ارقى الأوساط وكبار المثقفين ، وليس إقبالهم على الإسلام إلا نتيجة للقراءة عن الفكر الإسلامى السليم ، أو الالتقاء ببعض الموهوبين المخلصين من الدعاة ، وهم قليلون ، ونقرر للأسف ان افذاذ العلماء المسلمين كتبوا كثيرا مما جذب ويجذب الناس الى الإسلام ، ولكن كتابات هؤلاء لا تجد طريقها لاذان الطلاب ولا لابصارهم ، ولا يسمح لها أن تؤثر فى المناهج الدراسية ، انها ثقافة عالية تشق طريقها للمثقفين ، أما المناهج والمعاهد الإسلامية فتعيش فى عالم آخر .

قمتها الايمان العميق بالعمل الذى سيزاوله وهو الدعوة ، والاحساس بأنه يريد أن يعطى من فكره وجهده لخدمة دينه ووطنه ، ثم وضوح الفكرة ، وطلاقة اللسان ، واجادة الحوار والمناظرة ، ثم سماحة النفس ، واتساع الأفق ، وحسن العشرة ، ثم الكرم ، وسمو الخلق ، والتطور الفكرى ، وسعة الاطلاع ، وقبل هذا وبعده أن يكون قدوة حسنة للناس ، وأن يجعل الآية الكريمة : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » نبراسا له وضوءا يهتدى به •

الدراسة بالمعهد :

مدة الدراسة فى معهد الدعاة سنتان يعطى الناجح بعدهما شهادة تعادل شهادة الماجستير من الناحية الأدبية والمادية ، وللحاصلين على درجة جيد جداً فى هذا الامتحان أن يعدوا رسالة لدرجة الدكتوراه خلال مدة لا تقل عن ثلاث سنوات بحيث يقدم الطالب رسالة يسهم بها فى خدمة الدعوة والدعاة •

والدراسة فى المعهد تكون مسائية من الخامسة الى الثامنة ، للتوفيق بين الدراسة وبين الأعمال التى يقوم بها غير المتفرغين لها ، والتفرغ أجدى لو خصصت الدولة مكافأة للطلاب ، وتكون الدراسة ثلاثة أيام أو أربعة أو خمسة فى الأسبوع حسب الأحوال •

خطة الدراسة ومنهج التعليم :

يتجه الاهتمام فى هذا المعهد الى دراسة ما لا يعرفه الطالب من علوم ترتبط بالدعوة ، وتساعد على نجاح مهمة الداعية ، وهذه العلوم هى :

١ — علوم القرآن الكريم من مستوى رفيع ، مع العناية بدراسة مناهج المفسرين •

٢ — علوم السنة مع حفظ مجموعة كافية من أحاديث الرسول صلوات الله عليه ومع دراسة منهج المحدثين فى ضبط السنة •

٣ — الفقه المقارن مع ابراز روعة التشريع الاسلامى •

من « المكتبة الإسلامية لكل الأعمار » عن « الأخلاق الإسلامية من القرآن الكريم » ووضحت أن الأخلاق الإسلامية جزء من الإيمان ، ولا يكمل إيمان المرء الا باتباع الأخلاق التى فرضها الله ، وجمعت الآيات الكريمة التى تتحدث عن الدعوة للخير ، وعن الإخلاص فى العمل وعن بر الوالدين ، وعن حقوق الجار ، وعن معاملة اليتيم ، وعن الكرم ، وعن الوفاء بالوعد ، والصبر ، والحلم ، والعدل ، وضرورة البعد عن الرشوة ، وعن الحسد ، وعن إشاعة الفرقة ، والسخرية بالآخرين ، والكبر والغرور ... وعلقت عليها تعليقات سريعة .

ومع القرآن الكريم وقف سيدنا رسول الله يطبق عمليا هذه الالتزامات ويعلن ضرورتها ، كما وردت عنه أحاديث كثيرة وهو يربى القضاة والولاة والدعاة .

ولكن الأخلاق الإسلامية لم يعد لها مجال ذوبال فى المناهج الإسلامية ، وبالتالى اختفت أو ضعفت فى المجتمعات الإسلامية .

تصحيح المناهج عمل يطبقه الأساتذة الذين انتقدنا عملهم :

بعد هذه الجولة الموجزة عن انحراف المناهج الإسلامية أحب أن أوضح تفاؤلى وتأكيدى أن اصلاح المناهج ليس بالعمل العسير ، وإذا كان مثلا بعض أساتذة اللغة العربية يتمسكون بكتبهم فى النحو والصرف ويرونها ثروة لا يريدون أن يفقدوها فإننا نؤكد لهم أن هذه الثروة ستبقى ملاذا لطلاب الدراسات العليا والراغبين فى التعرف على فلسفات القواعد النحوية والصرفية ، ثم إن هؤلاء قادرون بلا شك أن ينزلوا للمحيط الجديد ، وأن يكتبوا دراسات مقارنة عن البيان والتبين والعقد الفريد ودراسات عن شعراء كتاب « الأغانى » وعن الموسيقين فى كتاب الأغانى وهكذا ... وسيكون عملهم هذا أكثر انتشارا من كتبهم فى النحو والصرف ، لأن الدراسات عن اللغة العربية تستهوى جمهورا واسعا من المثقفين بالإضافة إلى الطلاب ، والذى نقوله لأساتذة النحو والصرف يقال لأساتذة الفقه والحديث والتاريخ الإسلامى والتفسير .

هـذا ركن من أركان التفاؤل ، وركن آخر هـو أن الكثيرين من شيوخنا الأولين وضعوا الأساس لإصلاح المناهج ، وعلينـا أن نتابع خطواتهم ، فالإمام الغزالى كتب كتابه الشهير « إحياء علوم الدين » وعنوان الكتـاب يوضح أن الغزالى أدرك ضعف علوم الدين فألف كتابه لإحيائهـا .

وجاء بعد الغزالى علماء أفذاذ كتبوا كتابات تسـاعد كثيرا على تحقيق ما نهدف له من اصلاح كابن تيمية وابن القيم وغيرهما كثيرون .

وفى العصر الحديث أخرج مجمع البحوث الإسلامية « التفسـير الوسـيط للقرآن الكريم » وكتب الأسـتاذ محمد كرد على كتـابه الإسلام والحضارة العربية » وكتب الأستاذ عفيف طبارة كتابه « روح الدين الإسلامى » وكتب فضيلة الأستاذ الشيخ محمد الغزالى « فقه السيرة » والشيخ سيد سابق « فقـه السنة » وكتب كثيرون مؤلفـات أخرى قيمـة أشرنا لها فيما سبق .

وفيما يتعلق بتخصصى أذكر أننى كتبت موسوعة التاريخ الإسلامى فى عشرة مجلدات ، وقد كتبتها بروح إسلامية ، وأبرزت فيهـا الجانب الحضارى ، كمـا جعلتها تشمل الدول الإسلامية جميعهـا عربية أو غير عربية ، وتشمل كذلك الأقليات الإسلامية فى الدول غير الإسلامية ، وبسطت القول فى مشكلاتها ، وكتبت كذلك موسوعة الحضـارة الإسلامية فى عشرة مجلدات أيضا ، وموسوعة مقارنة الأديان فى أربعة مجلدات .

وهذه الأعمال يمكن أن تكون أساسا لإصلاح شامل لمناهج الدراسات الاسلامية ، وإصلاح المناهج سيكون أساسا عظيما لإصـلاح المجتمع الذى آن الأوان ليهب من رقدته ، وأن يستعيد أمجاده ماديا وأدبيـا ، وأن يسهم بنصيب كبير فى تحقيق خير البشرية وسعادتها .

وقد بلغت فاللهـم اشـهد

مراجـع البحث

اسـاس هذا البحث هو تجربة المؤلف الذاتية طالبا واستاذا ، بالاضافة الى المراجع التالية التى ذكرت مرتبة ابجديا حسب الاسم المشهور للمؤلف :

١ — القرآن الكريم .

٢ — كتب الصحاح .

٣ — مجموعة من كتب التفسير .

٤ — منهاج المتعلم (مخطوط مجهول المؤلف) .

٥ — بعض اساتذة وزارة التعليم بمصر : المنهج الواضح فى البلاغة .

٦ — The Encyclopaedia of Islam

المؤلف	الكتاب
٧ — ابو يحيى الانصارى	اللؤلؤ النظيم فى روم التعليم
٨ — آدم متز	الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجـرى
٩ — دكتور ابراهيم العدوى	العرب والتتـار
١٠ — ابن ابى اصيبعة	عيون الانبـاء
١١ — دكتور احمد شلبى	موسوعة التاريخ الاسلامى (عشرة اجـزاء)
١٢ — دكتور احمد شلبى	مقارنة الاديان (اربعة اجزاء)
١٣ — دكتور احمد شلبى	الفكر الاسلامى : منابعه وآثاره
١٤ — دكتور احمد شلبى	السياسة فى الفكر الاسلامى
١٥ — دكتور احمد شلبى	الاقتصاد فى الفكر الاسلامى
١٦ — دكتور احمد شلبى	الحياة الاجتماعية فى الفكر الاسلامى
١٧ — دكتور احمد شلبى	تاريخ التشريع الاسلامى
١٨ — احمد تيمور باشا	اعلام الفكر الاسلامى
١٩ — الأصفهانى	محاضرات الأدباء
٢٠ — Emerton	Midiaeval Europe
٢١ — Bulus	The Influence of Islam
٢٢ — Priffault	Making of Humanity
٢٣ — البغدادى (ابو منصور)	الملـل والنحـل
٢٤ — البيجورى	تحفة المريد على جوهرة التوحيد
٢٥ — الجاحظ	رسالة المعلمين (مخطوط)
٢٦ — دكتور جلال مظهر	حضارة الاسلام
٢٧ — الحبيب الجنحانى	المقرى صاحب نفح الطيب

المؤلف	الكتاب
٢٨ ـــ ابن حزم الاندلسى	الفصل فى الملل والأهواء والنحل
٢٩ ـــ ابن حزم الاندلسى	التقريب
٣٠ ـــ حسن السيد متولى	مذكرة التوحيد والفرق
٣١ ـــ ابن خلدون	المقـــدمة
٣٢ ـــ ابن خلكان	وفيـــات الاعيـــان
٣٣ ـــ Richard Coke	The City of Peace
٣٤ ـــ Samuel Nisenson	History of 100 Great Events
٣٥ ـــ دكتور زكى حسن	التصوير فى الاسلام عند الفرس
٣٦ ـــ ابن سينا	القـــانون
٣٧ ـــ سيد سابق	فقه السنة
٣٨ ـــ سيد قطب	التصوير الفنى فى القرآن
٣٩ ـــ السيوطى	الاتقان فى علوم القرآن
٤٠ ـــ الشريف الرضى	الرســـائل
٤١ ـــ محمد شريف	الفكر الاسلامى : مناهجه وآثاره
٤٢ ـــ الشهرستانى	الملـــل والنحـــل
٤٣ ـــ الشوكانى	نيـــل الأوطـــار
٤٤ ـــ طه حسين	قادة الفـــكر
٤٥ ـــ ابن عبد ربه	العقـــد الفريد
٤٦ ـــ عبد الحميد العبادى	علم التاريخ
٤٧ ـــ عبد الرحمن الأخضرى	السلم وشرحه
٤٨ ـــ العـــاملى	الكشـكول
٤٩ ـــ الغـــزالى	احياء علوم الدين
٥٠ ـــ القشيرى	الرسالة القشيرية
٥١ ـــ Kirk	A Short History of The Middle East
٥٢ ـــ ابن كثير	التفســـير
٥٣ ـــ دكتور محمد حسين هيكل	حيـــاة محمـــد
٥٤ ـــ الامام محمد عبده	رسالة التوحيد
٥٥ ـــ الشيخ محمد الغزالى	خلق المسلم
٥٦ ـــ غوستاف لوبون	حضارة العرب
٥٧ ـــ محمد فريد وجدى	دائرة معارف القرن العشرين
٥٨ ـــ دكتور محمد المبارك	نظام التعليم الاسلامى (بحث)
٥٩ ـــ دكتور محمد كمال جعفر	من قضايا الفكر الاسلامى
٦٠ ـــ محمود ابو الفيض	الاسلام والحضارة الاسلامية

٦١ — المرزبانى	الموشـــح

٦٢ — المسبحى	درك البغيـــة فى وصـــف الأديان والعبادات

٦٣ — المسعودى	الديانات

٦٤ — ابن نباتة المصرى	سرح العيون

٦٥ — ابن النديم	الفهرست

٦٦ — النسفى	التفســـير

٦٧ — أبو نصر السراج	اللمـــع

٦٨ — النوبختى	الآراء والديانات

٦٩ — Philip Hitti	History of the 'Arabs

٧٠ — ابن هشام	الســـيرة

٧١ — Wellhausen	The 'Arab Kingdon and it Fall

٧٢ — ياقـــوت	معجم البلدان

٢١٥

الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية

رقم الايداع ٣٥٥٢ لسنة ١٩٨٧

مطابع سجل العرب

ISLAMIC
INSTITUTIONS AND CIVILIZATION

1

HISTORY OF
ISLAMIC SYLLABUS

- **The Islamic Syllabus in Early Times**
- **Diconstruction of the Syllabus During Dark Ages**
- **Reconstruction of the Syllabus**

BY

AHMAD SHALABY,

B. A. (Hon.) Cairo University,
Ph. D. Cambridge University,
Professor
of Islamic History and Civilization
Faculty of Dar El Ulum, Cairo University

Sixth Edition (1989)

Published by:
THE RENAISSANCE BOOKSHOP
9 Adly Street, Cairo.



دكتور أحمد شلبى

— تلقى دراساته فى الأزهر وفى كلية دار العلوم (جامعة القاهرة) وفى جامعة لندن وجامعة كمبردج .

— زار الولايات المتحدة الأمريكية كما زار أكثر دول أوربا وآسيا وافريقيا ، ومثل مصر فى عدة مؤتمرات دولية .

— درس مجموعة من اللغات الأجنبية ويجيد الانجليزية والاندونيسية .

— اشتغل بالتدريس بجامعة القاهرة حتى وصل الى درجة استاذ ورئيس قسم التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية — وقد حاضر — منتدبا وزائرا ومعارا — فى جامعة الأزهر ، وعين شمس ، واندونيسيا ، والسودان ، وماليزيا ، والمملكة العربية السعودية ، وليبيا ، وفى معهد الدراسات الاسلامية ، ومعهد البحوث والدراسات العربية ، ومعهد الدراسات الديبلوماسية .

— مؤلفاته — غير المكتبة الاسلامية — تزيد عن خمسين كتابا ظهرت الطبعة العشرون من بعضها ، واهم هذه المؤلفات :

١ — موسوعة التاريخ الاسلامى فى عشرة اجزاء .
٢ — موسوعة الحضارة الاسلامية فى عشرة أجزاء .
٣ — مقارنة الأديان فى أربعة أجزاء .
٤ — كيف تكتب بحثا أو رسالة .
٥ — المكتبة الاسلامية لكل الأعمار :
١٠٠ جزء من السير والتاريخ وقصص القرآن ، للأولاد والشبان والسيدات والرجال .
٦ — ISLAM : Belief Legislation Morals
٧ — History of Muslim Education

— كتب بعض كتبه بالانجليزية والاندونيسية ، وترجمت أكثر مؤلفاته الى الاوردية والتركية ، والاندونيسية والماليزية والفرنسية والفارسية .